ردمد: ٢٣١٢-٥٤٨٩
ردمد الالكتروني: ٢٤١٠ - ٣٢٩٢
الترقيم الدولي: ٣٢٩٧
العتبة العباسية المقدسة
جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي
تراث كربلاء
مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث الكربلائي
تصدر عن:
العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث كربلاء
السنة الثانية/ المجلَّد الثاني/ العدد الأول
جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / آذار ٢٠١٥م

العتبة العباسية المقدسة

تراث كربلاء: مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث الكربلائي= Karbala heritage: Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage / العتبة العباسية المقدسة. - كربلاء: الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة؛ ٢٠١٥.

مجلد: صور؛ ٢٤ سم

فصلية - العدد الاول السنة الثانية (٢٠١٥-)

ردمد: 2312-5489

ردمد الالكتروني: 2410-3292

الترقيم الدولي: 3297

المصادر.

النص باللغة العربية؛ مستخلصات بالعربية والانجليزية.

١.كربلاء (العراق) - تاريخ - دوريات ٢.الحسين بن علي (ع) الامام الثالث، ٤-٦١ هـ. - دوريات ٣.كربلاء (العراق) - تاريخ - تاريخ الغزوا الوهابي - دوريـات - ٤.كربلاء (العراق) - الأوضاع الإجتماعية دوريات. الف. العنوان. ب. العنوان: Karbala heritage Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage

A8 2015 .V2 DS79.9.K37

الفهرسة والتصنيف في العتبة العباسية المقدسة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾
(القصص: ٥)
صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمْ

قواعد النشر في مجلة

تستقبل مجلة تراث كربلاء البحوث والدراسات الرصينة وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٢. يقدم البحث مطبوعاً على ورق (A4) وبنسخ ثلاث مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥٠٠٠-١٠٠٠٠) كلمة بخط (simplified Arabic) على أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

٣. تقديم ملخّص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف أو المحمول، والبريد الالكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث أو أي إشارة إلى ذلك.

٥. يشار إلى المراجع والمصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة، هذا عند ذكر المرجع أو المصدر أول مرة، ويذكر اسم

الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٦. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلة للمرة الأولى، وأن يشير فيما إذا كان البحث قد قُدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث منشورًا وليس مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى.

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١١. تخضع البحوث لتقويم علمي سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ. يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج. يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

ح. يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٢. يراعى في أسبقية النشر:

- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.
- تاريخ تسليم رئيس التحرير للبحث.
- تاريخ تقديم البحوث كلما يتم تعديلها.
- تنويع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٣. ترسل البحوث على البريد الألكتروني للمجلة (turath@alkafeel.net)، أو على موقع المجلة http: / /karbalaheritage.alkafeel.net أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان التالي: (العراق/ كربلاء المقدسة/ حي الإصلاح/ خلف متنزه الحسين الكبير/ مجمَّع الكفيل الثقافي/ مركز تراث كربلاء).

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq Ministry of Higher Education & Scientific Research Research & Development		جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي دائرة البحث والتطوير

No: الرقم: ب ت ٤ / ٩٨١٤

Date: التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٧

" معاً لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "**مجلة تراث كربلاء**" المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

كلمة العدد الاول

إيقاد الشمعة الثاني

المشاريع الكبيرة تبدأ بخطوة متواضعة، وليس من المعيب أن تتأخر الامتيازات، وتصدر بعض التعثرات في المسير، لكن المعيب أنّ ينهي المُنْطَلِقُ بمشروعه الجديد انطلاقتَهُ مع أول تعثّر، أو شعور بخيبة أمل، فعليه أن يداوم في محاولته، ويصرّ على بلوغ هدفه، ومن دون المداومة والإصرار لا يتحقق الوصول.

هكذا يخاطب فريق الهيأتين التحريرية والاستشارية خطواتهم وهم يبدؤون سنتهم الثانية مع وليدهم الغضّ مجلة (تراث كربلاء) المحكّمة، فما زالت أمامهم عقبات جسام، تفترش طريقهم نحو تحقيق طموحهم بتأسيس مجلة رصينة ذات بُعد عالمي يقصدها عشّاق المعارف التراثية من كلّ حدب وصوب، لكنّ الطموح لوحده لا يكفي، فهو به حاجة لهمم عاليات، وذوات بدافعية بالغة.

ومن لطائف همم الهيأتين التحريرية والاستشارية هذا السِّفْر الجليل الذي حوى مجموعة طيبة من أبحاث الكتّاب الأكاديميين ودراساتهم، بحسب تخصّص أبواب المجلة الخمسة، مع لحاظ الاشتغال على الأبعاد الزمنية بمنظار (الذي مضى) ومزجه بمعطيات الحاضر، أو حتى استشراف المستقبل، كلّ ذلك التشابك الزمني محصور في دائرة مكان واحد هو (كربلاء).

وقد ضمّ هذا العدد أنظاراً منهجية متنوّعة بحسب طبيعة البحث المقدّم أو الدارسة، فهناك من الباحثين من اعتمد الوصف منهجًا لبلوغ هدفه البحثي، ومنهم من داخلت كتابتَه المنهجيةُ التجريبيةُ فنحى المنحى التطبيقي، ومنهم من مال إلى المنهج التاريخي مُسْتَنَدًا للكشف المعرفي، ومنهم من قارن في خطواته المنهجية بين موضوعتين تنتميان إلى حيزين متباينين لبلوغ ما يصبو إليه بحثه، ومنهم من جمع في أنظار منهجه بين أكثر من بُعد منهجي من المناهج المذكورة في الأسطر السابقة.

هذا العدد الأول من السنة الثانية جاء مزدانًا بكتابات الباحثين الأكاديميين، لكن عمر المجلة لا يكون مديدًا إلاّ باستمرار هذه الكتابات؛ لذا نأمل من الباحثين ولاسيما المعنيون بتراث كربلاء أن يرفدونا بجديد كتاباتهم من الأبحاث والدراسات.

كلمة الهيأتين الاستشارية والتحريرية

لماذا التراث؟ لماذا كربلاء؟

١. تكتنز السلالات البشرية جملةً من التراكمات المادية والمعنوية التي تشخص في سلوكياتها؛ بوصفها ثقافةً جمعيةً، يخضع لها حراك الفرد: قولاً، وفعلاً، وتفكيراً. تشكّل بمجموعها النظام الذي يقود حياتها، وعلى قدر فاعلية تلك التراكمات، وإمكاناتها التأثيرية؛ تتحدّد رقعتها المكانية، وامتداداتها الزمانية، ومن ذلك تأتي ثنائية: السعة والضيق، والطول والقصر، في دورة حياتها.

لذا يمكننا توصيف التراث، بحسب ما مر ذكره: بأنه التركة المادية والمعنوية لسلالة بشرية معينة، في زمان معين، في مكان معين. وبهذا الوصف يكون تراث أي سلالة:

- المنفذ الأهم لتعرف ثقافتها.
- المادة الأدق لتبيين تاريخها.
- الحفرية المثلى لكشف حضارتها.

وكلما كان المتتبع لتراث (سلالة بشرية مستهدفة) عارفاً بتفاصيل حمولتها؛ كان وعيه بمعطياتها، بمعنى: أنّ التعالق بين المعرفة بالتراث والوعي به تعالق طردي، يقوى الثاني بقوة الأول، ويضعف بضعفه، ومن هنا يمكننا تعرّف الانحرافات التي تولدت في كتابات بعض المستشرقين وسواهم ممّن تَقَصّدَ

دراسة تراث الشرق ولا سيما المسلمين منهم، فمرة تولّد الانحراف لضعف المعرفة بتفاصيل كنوز لسلالة الشرقيين، ومرة تولّد بإضعاف المعرفة؛ بإخفاء دليل، أو تحريف قراءته، أو تأويله.

٢. كربلاء: لا تمثل رقعة جغرافية تحيّز بحدود مكانية مادية فحسب، بل هي كنوز مادية ومعنوية تشكّل بذاتها تراثاً لسلالة بعينها، وتتشكّل مع مجاوراتها التراث الأكبر لسلالة أوسع تنتمي إليها؛ أي: العراق، والشرق، وبهذا التراتب تتضاعف مستويات الحيف التي وقعت عليها: فمرة؛ لأنّها كربلاء بما تحويه من مكتنزات متناسلة على مدى التاريخ، ومرة؛لأنها كربلاء الجزء الذي ينتمي إلى العراق بما يعتريه من صراعات،ومرة؛لأنها الجزء الذي ينتمي إلى الشرق بما ينطوي عليه من استهدافات، فكل مستوى من هذه المستويات أضفى طبقة من الحيف على تراثها، حتى غُيِّبت وغُيِّب تراثها، واخُزلت بتوصيفات لا تمثل من واقعها إلا المقتطع أو المنحرف أو المنزوع عن سياقه.

٣. وبناءً على ما سبق بيانه، تصدى مركز تراث كربلاء التابع للعتبة العباسية المقدسة إلى تأسيس مجلة علمية متخصصة بتراث كربلاء؛ لتحمل هموماً متنوعة، تسعى إلى:

- تخصيص منظار الباحثين بكنوز التراث الراكز في كربلاء بأبعادها الثلاثة: المدنية، والجزء من العراق، والجزء من الشرق.
- مراقبة التحولات والتبدلات والإضافات التي رشحت عن ثنائية الضيق والسعة في حيزها الجغرافي على مدى التاريخ، ومديات تعالقها مع مجاوراتها، وانعكاس ذلك التعالق سلباً أو إيجاباً على حركيتها؛ ثقافياً ومعرفياً.

- اجراء النظر إلى مكتنزاتها: المادية والمعنوية، وسلكها في مواقعها التي تستحقها؛ بالدليل.
- تعريف المجتمع الثقافي: المحلي، والإقليمي، والعالمي: بمدخرات تراث كربلاء، وتقديمه بالهيأة التي هو عليها واقعاً.
- تعزيز ثقة المنتمين إلى سلالة ذلك التراث بأنفسهم؛ في ظل افتقادهم إلى الوازع المعنوي، واعتقادهم بالمركزية الغربية؛ مما يسجل هذا السعي مسؤولية شرعية وقانونية.
- التوعية التراثية وتعميق الالتحام بتركة السابقين؛ مما يؤشر ديمومة النماء في مسيرة الخلف؛ بالوعي بما مضى لاستشراف ما يأتي.
- التنمية بأبعادها المتنوعة : الفكرية، والاقتصادية، وما إلى ذلك، فالكشف عن التراث يعزز السياحة، ويقوي العائدات الخضراء.

فكانت من ذلك كله مجلة "تراث كربلاء" التي تدعو الباحثين المختصين إلى رفدها بكتاباتهم التي بها ستكون.

المحتويات

باب التراث المجتمعي

Society Heritage Section

حمّامات السوق الكربلائية في العصر العثماني وأثرها على الحياة الاجتماعية

(دراسة آثارية حضارية)

Karbala Souk Baths in the Ottomans Period and their Impact on the Social Life: An Archeolegical and cultural Study

أ. د. عادل محمد زيادة البهي

جامعة القاهرة

كلية الآثار

Prof. Dr. Adil Muhammad Ziyada Al-Bahy

Cairo University

College of Archeolegy

الملّخص

ورثت الحضارة الإسلامية الحَمَّامات التقليدية أوحَمَّامات السوق ضمن ما ورثته عن الحضارات السابقة لها، وانتشرت الحَمَّامات في مدن العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وحَتَّمت ضروريات الحياة على المسلمين في مجتمعاتهم بصفة عامة أن يقتبسوا فكرة الحَمَّام البيزنطي - الروماني وجعلوا منه مرفقاً عاماً شعبياً بالمعنى الصحيح. ومع مرور الزمن وتَطَوُّر العمائر المدنية أصبح الناسُ كافة يمتلكون حمامات داخل بيوتهم، ومن هنا بدأ الاستغناء عن ارتياد الحَمَّامات العامة مما عرضها في معظم المدن الإسلامية ومنها كربلاء للتخريب والاندثار، فبعد أن كانت تُحْصَى بعدة آلاف في بعض المدن كبغداد والقاهرة ودمشق وغيرها، أصبحنا لا نرى إلا القليل منها في حالة متردية أوفي انتظار المصير المحتوم وهو الهدم أو التبديد.

وكانت حَمَّامات السوق تهدف -منذ نشأتها- إلى خدمة المجتمع في مختلف المجالات، ولذلك وقع اختياري على تقديم دراسة مبسطة ومحددة حول هذا النوع من العمارة الاجتماعية التي تميزت بكثرتها وانتشارها الواسع في المدن الإسلامية لتقديم خدمات مطلوبة ومُلِحَّة في المجتمع الإسلامي، وأقصد بتلك العمائر حَمَّامات السوق، وأما عن خدماتها الضرورية للمجتمع فتتلخص في الحفاظ على النظافة والطهارة التي تُعِين على أداء الواجبات والفروض المنوطة

بكل فئات المجتمع الإسلامي، فضلاً عما تمخضت عنه من عادات وتقاليد انتشرت في كل مجتمعات المدن الإسلامية بداية من الأسلوب المعماري الإسلامي الذي تميزت به الحمّامات وحتى حفلات الزواج والختان وغيرها من العادات والتقاليد التي أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوجودها في المدن الإسلامية.

وعلى اعتبار أن مدينة كربلاء من أهم مدن العراق وأقدمها، فقد شهدت أيضاً تشييد العديد من حمَّامات السوق على مدار العصر الإسلامي والتي لم تختلف في تخطيطها وعناصرها المعمارية والفنية عن مثيلاتها في بقية المدن الإسلامية، ولكن من سوء الطالع فَقَدَت كربلاء العدد الأكبر من هذه الحمَّامات ولم يتبق منها إلا النزر اليسير، وقد ساعد على ذلك انصراف أفراد المجتمع الكربلائي عن استخدام هذه الحمَّامات عندما تضمنت منازلهم حمَّامات خاصة، إلى جانب إزالة الكثير منها لأسباب عمرانية أخرى افتقد منفذوها الكثير من الوعي بقيمة التراث المعماري الإسلامي، وقد تسبب ذلك في تناقص أعدادها بشكل ملحوظ.

وستتناول الدراسة أهمية البحث في هذا الموضوع، والوصف المعماري لحمَّامات السوق الباقية في مدينة كربلاء ومميزاتها المعمارية كتراث معماري، وأصول نشأتها في الحضارة الإغريقية والرومانية وكيفية اقتباس المسلمين لفكرتها وإعمال الفكر المعماري الإسلامي في تشييدها بما يتلاءم مع الذوق والفن الإسلامي، ثم تتناول الدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية المتمثلة في حفلات العرس والختان والمناسبات الأخرى المتعلقة بالحمَّامات.

والله من وراء القصد...

Abstract

The Islamic culture inherited the traditional baths or souk baths as part of what is inherited from the previous cultures. The baths spread all over the Islamic world cities, east and west. Life necessities forced the Muslims in their societies in general to grasp the idea of the Beezentik-Roman bath and they made it a public utility in the strict sense of the word. All through time and with the development of the civil structures people started to possess baths inside their houses. As a consequence, people started to desert public baths, which led to their being destructed and exterminated in most Islamic cities such as Karbala. After their number being thousands in some cities such as Baghdad, Cairo, Damascuss and others, but nowadays we can notice very few of them and in a bad condition or in their way to the inevitable fate which is destruction or removal.

From their start, the souk baths aimed at serving the society in all respects. This is why I have decided to present a simple

and specified study on such type of the social architecture which is widely spread in the Islamic cities to provide wanted and urgent need in the Islamic society. By structures I mean souk baths and as for their necessary services for the society, they may be summarized by keeping cleanness and purity which help perform the duties and rituals required from all people of the Islamic society in addition to what has resulted from it like traditions and customs which spread among all the communities of the Islamic cities starting from the Islamic architectic design characterizing the baths to the marriage and circumcision ceremonies and other traditions and customs which have been completely considered part of Islamic cities.

Due to the fact that Karbala province is considered the most important and ancient of the Iraqi cities it has also witnessed the building of a great

number of the souk baths all through the Islamic period which have never been different, in their designing and architectic and artistic element from those found in the other Islamic cities. But unfortunately, Karbala lost a great number of such baths and it kept very few of them. What has contributed to that is the fact that the people of Karbala have

deserted those baths as their houses have had private baths in addition to the removal of most of them for the purpose of architectic reasons whose performers lacked any knowledge of the value and importance of the Islamic architectic heritage. This caused a noticeable decrease in their number.

This study is going to show the importance of dealing with this subject and also the architectic description of the souk baths still found in Karbala together with their architectic characteristics as an architectic heritage in addition to their origins in the Greek and Roman cultures and how Muslims adopted their idea and the contribution of the Islamic architectic thinking to it in constructing it in accordance with the Islamic taste and art. The study will then deal with the social traditions and customs represented by the marriage and circumcision ceremonies and the other occasions related to the baths.

مقدمة

قامت على أيدي الملوك والأمـراء بالمدن الإسلامية، وكذلك على أيدي الأعيان والعلماء والتجار العديد من المنشآت المعمارية التي كانت تهدف إلى خدمة المجتمع في مختلف المجالات، وتنوعت تلك المنشآت فكان منها العمائر الدينية كالمساجد والجوامع والزوايا والمـدارس وغيرها، ومنها العمائر التي اختصت بتقديم الرعاية الاجتماعية كالبيمارستانات والأسبلة والحمَّامات.

وقد وقع اختياري على تقديم دراسة مبسطة ومحددة حول نوع من العمائر الاجتماعية التي تميزت بكثرتها وانتشارها الواسع في المدن الإسلامية لتقديم أهم الخدمات المطلوبة والمُلِحَّة في المجتمع الإسلامي، وأقصد بتلك العمائر حمَّامات السوق، وأما عن خدماتها الضرورية للمجتمع فتتلخص في الحفاظ على النظافة والطهارة التي تُعِين على أداء الواجبات والفروض المنوطة بكل فئات المجتمع الإسلامي، فضلاً عما تمخضت عنه تلك العمائر من عادات وتقاليد انتشرت في كل مجتمعات المدن الإسلامية والتي تندرج بالفعل تحت مفهوم الفنون الشعبية في المجتمع الإسلامي بداية من الأسلوب المعماري الإسلامي الذي تميزت به الحَمّامات وحتى حفلات الزواج والختان وغيرها من العادات والتقاليد التي أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوجودها في المدن الإسلامية.

وعلى اعتبار أن مدينة كربلاء من أهم مدن العراق وأقدمها، فقد شهدت أيضاً

تشييد العديد من حمَّامات السوق على مدار العصر الإسلامي والتي لم تختلف في تخطيطها وعناصرها المعمارية والفنية عن مثيلاتها في بقية المدن الإسلامية، ولكن من سوء الطالع فَقَدَت كربلاء العدد الأكبر من هذه الحَمَّامات ولم يتبقّ منها إلا النزر اليسير، مثلها في ذلك مثل بعض المدن الإسلامية، وقد ساعد على ذلك انصراف أفراد المجتمعات الإسلامية عن استخدام هذه الحَمَّامات عندما تضمنت منازلهم حمَّامات خاصة، إلى جانب إزالة الكثير منها لأسباب عمرانية أخرى افتقد منفذوها الكثير من الوعي بقيمة التراث المعماري الإسلامي، وقد تسبب ذلك في تناقص أعدادها بشكل ملحوظ.

وستتناول الدراسة أهمية البحث في هذا الموضوع، وكذلك تناول الوصف المعماري لحَمَّامات السوق الباقية في مدينة كربلاء ومميزاتها المعمارية كتراث معماري شعبي، نبدأها بتعريف الحمام لغوياً ثم الأصول الأولى لنشأته عند الإغريق والرومان وكيفية اقتباس المسلمين لفكرته وإعمال الفكر المعماري الإسلامي في تشييده بما يتلاءم مع الذوق والفن الإسلامي، ثم تتناول الدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية المتمثلة في حفلات العرس والختان والمناسبات الأخرى المتعلقة بالحَمَّامات. ولذلك قسمت الدراسة بعد المقدمة وأهمية الموضوع إلى مبحثين رئيسين الأول بعنوان: فكرة الحَمَّامات العامة وتاريخ عمارتها قبل وخلال العصر الإسلامي، تناولت فيه التعريف بالحَمَّام لغوياً، ونشأة عمارة الحَمَّامات قبل الإسلام وطراز تخطيطها، ثم ضرورة وجود الحَمَّامات في المدن الإسلامية وكيفية اقتباس فكرتها من الحضارات السابقة وأسلوب تخطيطها حسب الفكر المعماري الإسلامي. والمبحث الثاني بعنوان: الحَمَّامات الباقية في مدينة كربلاء ودورها

الاجتماعي، ويتناول هذا المبحث التعريف بأقسام الحمَّام تتعرض بعدها الدراسة للمجتمع الإسلامي وضرورة وأهمية الحمَّامات لديه كضرورة اجتماعية لا غنى عنها، ثم دور المحتسب كسلطة إدارية تنفيذية في تنظيم العمل داخل الحمَّامات وخضوعها لإشرافه خضوعاً تاماً، بعده تتعرض الدراسة لتناول الحمَّامات الباقية في كربلاء دراسة وصفية تحليلية مع ذكر أثرها على الحياة الاجتماعية في كربلاء، وتأتي الخاتمة في نهاية الدراسة بأهم النتائج.

أهمية الدراسة

في الواقع أن هذا الموضوع كان في حاجة إلى دراسة علمية متكاملة ومستوفاة، ولكني هدفت فقط إلى أن يكون هذا البحث خطوة لتأصيل قيم مجتمعنا الإسلامي وإلقاء الضوء على جذور هذه القيم وذلك بإبراز الدور الحضاري لهذه العمائر الباقية من حمَّامات كربلاء والتعرف على أصولها وتطورها ودورها في المجتمع الكربلائي، وما كانت تؤديه من خدمات اجتماعية وصحية، خاصة وأن المكتبة الأثرية تفتقر إلى مثل هذه الدراسة عن حمَّامات السوق بمدينة كربلاء.

المبحث الأول

فكرة الحمَّامات العامة وتاريخ عمارتها
قبل وخلال العصر الإسلامي

أولاً: تعريف الحمَّام

الحـمَّام -مشدداً- هومفرد الحمَّامات؛ وهي بيوت الاستحمام المعروفة، وهومذكر وليس مؤنثاً كما جاء في التهذيب عن أهل اللسان لأنه من الحميم وهوالماء الحار[١]، والحميمة هوالماء الذي يُسخَّن، فيقال أحموا الماء أي أسخنوه، وأيضاً حَمَّمت الماء أي سخنته، وكل ما سُخِّن فقد حُمِّم. وقال ابن بَرِّيّ: وقد جاء الحمَّام مؤنثاً، بينما قال ابن سِيدَهْ: والحمَّام الديماس مشتق من الحميم مذكر تذكِّره العرب والجمع حمَّامات. واستَحَمَّ إذا اغتسل بالماء الحميم، وأحَمَّ نفسه إذا غسلها بالماء الحار، والاستحمام هوالاغتسال بالماء الحار[٢].

هذا وقد ورد لفظ الحمَّام بصيغة المؤنث في النص التأسيسي لحمَّام بشتاك في القاهرة حيث ورد بالنص التأسيسي لهذا الحمَّام بصيغة «هذه الحمام المباركة»، وقد ورد أيضاً بصيغة المذكر وذلك في النص التأسيسي لحمَّام السلطان إينال في القاهرة أيضاً حيث جاء فيه «هذا الحمام المبارك»[٣]، وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد في وثائق العصر المملوكي مؤنثاً[٤].

ويذكر الإمام المُناوي أن أول من وضع الحَمَّام الجن حيث اتخذوه لسليمان عليه السلام حين تزوج بلقيس فوجد في ساقيها خموشة[٥] فسألهم عما يزيلها فبنوه له واتخذوا له النورة[٦]، ودليل ذلك ما رواه البخاري في تاريخه عن أبي موسى الأشعري أن أول من دخل الحَمَّامات وصُنعت له النورة سليمان بن داود فلما دخله وجد حَرَّه وغَمَّه فقال: «أواه من عذاب الله أواه»[٧].

ثانياً: نشأة حَمَّامات السُّوق وأصولها التاريخية

وُلدت فكرة بناء الحَمَّامات العامة التي عُرفت كمنشآت معمارية تقوم بدور كبير -إلى جانب دورها في النظافة والطهارة- في تقديم الرعاية الاجتماعية في كثير من المجتمعات على مرِّ العصور المختلفة بسبب ما أوجبته العقائد الدينية وطقوسها منذ القدم في استخدام الماء للنظافة والطهارة[٨].

وقد يكون من الصعب تحديد الوقت الذي عُرفت فيه الحَمَّامات كمنشآت معمارية عامة عند الإغريق فعلى الرغم من أن (هوميروس) شاعر اليونان هوأول من تحدث عن أهمية الحَمَّامات الساخنة واعتبرها خطوة من خطوات العلاج الطبيعي واسترداد الصحة والحيوية، إلا أن الحَمَّامات التي أشار إليها كانت حَمَّامات خاصة، وغلب على الإغريق استعمال الماء البارد في الاستحمام، فضلاً عن استعمالهم الماء الساخن الذي كانوا يعتبرونه نوعاً من الرفاهية[٩]. ويُستدل على وجود الحَمَّامات من خلال بعض المناظر والرسوم المسجلة على الأواني والزهريات التي ترجع إلى الفن الإغريقي والتي أمدتنا بتسجيل لمراحل تطور الحَمَّامات العامة ووسائل الاستحمام -في تلك الفترة- على أن أصل الحَمَّامات

العامة يرجع إلى بلاد اليونان[١٠]، وربما كانت تلك الحمّامات التي سجلتها رسوم هذه الفترة حمَّامات ذات مياه باردة حيث لا يوجد ما يُستدل من خلالها على أنها قد خضعت لإحدى طرق التسخين، وربما كانت بذلك خطوة أولى نحو خطوات تطور الحمَّام. وكان انتشار الحمَّامات العامة عند الإغريق أمراً طبيعياً في مجتمع قليل الماء لا يعرف نظام إمداد المباني بالمياه عن طريق الأنابيب[١١].

وقد عرف قدماء اليونانيين حمَّامات البخار الساخن منذ القرن الخامس قبل الميلاد حيث أصبحت بديلة عن الميادين الرياضية[١٢]، وكان يُطلق عليها (Tholos) وتعني الحجرة الساخنة، وكان هذا النوع من الحمَّامات عبارة عن مبنى دائري تعلوه قبة ضخمة بها صرة برونزية بالوسط ذات سلسلة تُرفع وتُسدل إذا ما أريد تقليل درجة الحرارة أوزيادتها بالإضافة إلى فائدتها المعمارية حيث كانت تعمل على تخفيف الثقل عن القبة الضخمة[١٣]. وكانت أرضيته مفروشة بالفسيفساء ذات الرسوم المختلفة متعددة الألوان، وكانت الحرارة تُوَّلد به في البداية عن طريق تسخين أحجار صغيرة تُرش بالماء البارد فيتصاعد منها البخار، إلى أن ابتُكرت غرف التسخين السفلية المعروفة باسم «الهيبوكاوست» (Hepocawest) والتي يرجع الفضل في ابتكارها أيضاً إلى اليونانيين القدماء، تلك الطريقة التي ظل يعمل بها الحمَّام بعد ذلك حتى القرون الأولى في العصر الإسلامي، وتتلخص في تسخين الأرضيات عن طريق غرف التسخين بأسفل حجرات الحمَّام[١٤]. ثم حدث تطور آخر في نظام التسخين عندما ابتكر الإغريق أيضاً نظاماً ساد فيما بعد عند الرومان وهوما يُطلق عليه اسم (سسبنسورا – Suspensurae) ويعتمد هذا النظام على الجدران المزدوجة المبنية من نوع

خاص من القرميد المفرغ (المفتوح الجوانب) والتي ينبعث منها الهواء الساخن داخل حجرات الحَمَّام[١٥].

وعندما ورث الرومان الحَمَّام الإغريقي كمنشأة عامة أخذوا في تطويره وزيادة ملحقاته، وتعود أولى الحَمَّامات الرومانية إلى القرن الثاني قبل الميلاد واستمرت في تطورها حتى وصلت أوج ازدهارها في القرنين الثالث والرابع الميلاديين[١٦]. وقد تفنن الرومان في بنائها بشكل كبير لم يجارِهم فيه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين حيث أُضيف إليها مبنىً جديدٌ يفوقها حجماً، وزُوِّدت بأحواض الماء البارد والفاتر والساخن، كما أُضيف إليها غرف لتغيير الملابس بالإضافة إلى الملاعب الرياضية المغلقة وقاعات المحاضرات العامة[١٧].

وجدير بالذكر أن الحَمَّامات في المدن الإسلامية كانت من بين المنشآت المعمارية التي تعددت الآراء بشأن أصلها[١٨]. فيرى البعض أن الحَمَّام في المدينة الإسلامية هونفسه الحَمَّام اليوناني القديم[١٩]، بينما يعتقد البعض الآخر أن الحَمَّام الإسلامي لا يمكن أن يكون وريث الحَمَّام اليوناني[٢٠]، ورأى فريق ثالث أن الحَمَّامات الإسلامية مقتبسة من الحَمَّامات الرومانية التي كان لها تأثيرٌ مباشرٌ عليها، وربما اشتُقت أيضاً من الحَمَّامات البيزنطية أوالسورية التي ترجع إلى القرون الأولى للميلاد[٢١].

ثالثاً: تخطيط حَمَّامات السوق قبل العصر الإسلامي

خضع الحَمَّام الروماني إلى تخطيط ثابت يتكوَّن من ثلاثة أقسام رئيسية عبارة عن ثلاث قاعات متتالية تبدأ بالقاعة الباردة (Frigidarium) وهي عبارة

عن فناء كبير أُلحقت به أبنية من ثلاث جهات لغرف خلع الملابس والتدليك وغيرها، ويتوسطه حوض كبير للمياه الباردة مخصص للسباحة إلى جانب أحواض صغيرة للاغتسال، يلي القاعة الباردة، القاعة الثانية وهي الدافئة حيث درجة حرارة متوسطة بين البارد والساخن (Tepidarium) وهي على هيأة بهوكبير يمثل مركز الحمَّام، وقد أُعدت هذه القاعة للإقامة والتسلية والمناقشات والاستراحة لأوقات طويلة، وتشتمل على أحواض مياه دافئة تساعد على تدرج حرارة الجسم للوصول إلى المياه الساخنة بعد ذلك، ويُسقِّف هذه القاعة عدد من الأقبية المتقاطعة. وتعتبر القاعة الثالثة وهي الساخنة (Caldarium) أهم أجزاء الحَمَّام، وهي قاعة مستديرة تشتمل على حوض للمياه الساخنة، وتغطيها قبة ضخمة، وأُنشئت بأسفل أرضية هذه القاعة غرف التسخين وممراتها التي صُمِّمت بشكل منحدر للداخل حتى يتسنى للتيارات الهوائية الساخنة أن تسري بداخلها(٢٢).

وبالإضافة إلى هذه القاعات الثلاث أنشأ المعمار عن يمينها ويسارها غرفاً كثيرة لخلع الملابس والألعاب الرياضية إلى جانب قاعات للقراءة والاستراحة وغير ذلك من وسائل رياضة الفكر والجسم، وزيادة في الفخامة استعمل الفنان الروماني أنفس أنواع الرخام الملون والمرمر المعرَّق والجرانيت والفسيفساء اللامعة في تغشية الجدران(٢٣).

رابعاً: المدن الإسلامية وضرورة تشييد الحَمَّامات

ورثت الحضارة الإسلامية الحَمَّامات العامة ضمن ما ورثته من منجزات

الحضارات السابقة لها فقد انتشرت الحَمَّامات في مدن العالم الإسلامي شرقاً وغرباً. وهي كمنشآت اجتماعية تعتبر دخيلة على العمارة الإسلامية، إذ أن العرب المسلمين الأوائل لم يأْلفوا استعمال الماء الغزير لا قبل الإسلام ولا في صدره(٢٤). ولكن ضروريات حياتهم جعلتهم يقتبسون فكرة الحَمَّام العام البيزنطي – الروماني ويضعونه في مكانة لم يحتلها من قبل في المدن الرومانية نفسها، وجعلوا منه مرفقاً عاماً شعبياً بالمعنى الصحيح، ذلك أن المدن الرومانية لم تعرف –حتى في أوج ازدهارها– ذلك العدد الهائل من الحَمَّامات التي غصَّت بها المدن الإسلامية، ويرجع ذلك بدون شك لاختلاف الدَوْر الذي لعبته تلك الحَمَّامات في كل من المدن الرومانية والمدن الإسلامية، فقد كانت في الأولى للأثرياء والرياضيين ونخبة من المجتمع، كما كان الغرض منها اللهووالترفيه والمتعة، أما في الثانية فقد كانت للناس كافة من أجل أداء حاجة ضرورية أوالقيام بواجب مفروض وأصبح كل ما يدور حولها من خدمات وعادات وحكايات أسطورية لم يكن إلا نتيجة لارتباطها بكل طبقات المجتمع بشكل دائم وفي مناسبات كثيرة(٢٥).

وقد كَثُر إنشاء الحَمَّامات العامة في المدن الإسلامية، ويرجع ذلك لارتباطها بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر، ولعدم مقدرة العامة على تضمين منازلهم حَمَّامات خاصة، وارتبطت كذلك برغبة القادرين على إنشاء هذه الحَمَّامات في استثمار أموالهم في إنشائها لما تدره من ريع وفير لشدة الطلب عليها هذا إلى

جانب الاهتمام بتشييدها كأوقاف على أعمال الخير والبر(٢٦).

١. تطور تخطيط الحَمَّامات في المدن الإسلامية

أُقيمت الحَمَّامات في المدن الإسلامية بصفة عامة لخدمة كافة سكانها، لذلك كثر إنشاؤها لتلبية حاجات وظيفية، مما دفع سلطات المدينة أن تنظم إنشاءها وما يتصل بتزويدها بمصادر المياه وقنوات الصرف، وما يصدر عن بنائها من دخان تحكَّم أحياناً في تحديد مواضعها وأيضاً وحداتها(٢٧).

طوَّر المسلمون تخطيط وعمارة الحَمَّامات بما يتوافق مع طبيعة مناخ بلادهم ومدنهم وبما يتوافق أيضاً مع عاداتهم وتقاليدهم، لذلك عَرَفَت الحَمَّامات في المدن الإسلامية مُخَطَّطَيْن اثنين من حيث الشكل، ظل المسلمون يستعملونهما منذ بداية العصر الإسلامي حتى نهاية حكم الدولة العثمانية: أولهما متأثر بالتخطيط البيزنطي وهوالتخطيط الذي احتلت فيه القاعة الدافئة المكانة الأولى بين بقية القاعات، وهوالتخطيط الذي اتبعته الحَمَّامات العثمانية في مدينة كربلاء، أما المخطط الثاني فقد كان طولياً تصطف فيه قاعات مستطيلة بطريقة طولية متتالية، تحتل فيه القاعة الأولى (الباردة) بدل الدافئة مركز الصدارة(٢٨).

وإذا كانت تعاليم الإسلام قد غيَّرت إلى حد ما في عمارة الحَمَّام المتوارث من الحضارات السابقة، فإنها في الوقت ذاته قد حافظت بلا شك على التصميم والهيكل المعماري له، ولم يُتناول في هذا التعديل سوى الزخارف والصور وكذلك النسب بين القاعات، وذلك نظراً لغياب استعمالات وبروز أخرى، وأيضاً زوال عادات وظهور غيرها وكذلك التغير الذي طرأ على المجتمع الإسلامي خلال

العصور المختلفة[٢٩].

ويُعَدُّ تخطيط حمَّام سرجلا[٣٠] (شكل رقم ٣٠) أول نموذج حقيقي لتخطيط الحمّامات الشرقية، واعتُبر هذا الحمّام أول مرحلة من مراحل التطور من التخطيط الروماني إلى مرحلة أكثر شرقية تتماشى مع الشرق وطبيعته، وهويمثل مرحلة انتقالية إلى تخطيط الحمّام في العصر الإسلامي بصفة عامة، ولذلك اشتمل الحمَّام لأول مرة على ثلاثة أقسام متجاورة تبدأ بقاعة خلع الملابس (المنزع اوالمخلع) ويليها القسم الثاني وهوالدافئ وهوعبارة عن قاعة أُعدت بحيث تكون تمهيداً لدخول القسم الثالث والذي تمثله القاعة الساخنة وهي أهم أقسام الحمَّام[٣١].

٢. تطبيق الفكر الإسلامي في تخطيط الحمّامات

إِلْتَزَم الفكر الإسلامي منذ بداية بناء الحمّامات بمنهج يُجسِّد حرص الشريعة الإسلامية على ما ينفع الناس في حياتهم ويحفظ أبدانهم، ومن هنا قامت تصميمات الحمّامات في العصر الإسلامي على عدة أسس، من أهمها: أن يشتمل الحمّام على هواء وماء حارين[٣٢]، وأن يتوفر لمن بداخله فرصة جيدة للتنفس الصحيح فلا يحدث غَثَيَانٌ أوإغْمَاء[٣٣]، ورُوعِيَ أيضاً ألاَّ يتسرَّب إلى داخل الحمّام أي دُخَان من الذي يصدر عن المستوقد الملحق بالحمَّام[٣٤] حتى لا تنتج عن ذلك رائحة كريهة. وحرص المعمار على ألا تُعَرَّض الوحدات الداخلية للحمّام لتيارات هوائية حتى لا تكون لها تأثيرات سلبية على رواده[٣٥]. كما كان هناك اهتمام بتوفير الْمُقَوِّمَات الجمالية التي تبعث الراحة النفسية لمرتادي الحمَّام في كل الوحدات. وأخيراً عمل المعمار على تحقيق الخصوصية لبعض الفئات من أصحاب الحالات الخاصة من

المرضى والمعوِّقين أوالعجزة.

جَسَّد المعمار هذه الأمور في تخطيط الحَمّامات خلال العصر الإسلامي بصفة عامة، وعلى ما تقدم نرى أنها قد تضمَّنَت الاعتبارات الإنسانية مادية كانت أم نفسية، كما تَضَمَّنَت أيضاً ما هومرتبط بالعقيدة الإسلامية كالطهارة(٣٦)، وتماشى ذلك كله مع الذوق الشعبي الذي يمثل القاعدة العريضة في المجتمع الإسلامي.

وقد حَدَّدت الأسس أوالشروط المشار إليها مجتمعة ضوابط المسقط الأفقي للحَمّام وترتيب وحداته وعناصره ترتيباً مُعيناً بحيث أصبح ابتكاراً إسلامياً خالصاً. فمن المعروف أن اختيار شكل المسقط الأفقي لأي حيِّز يرتبط بوظيفة هذا الحيِّز ومدى قدرة هذا التخطيط على التلاؤم مع وظيفته.

وتتمثل وظيفة الحيز في الحَمّام في توفير مكان لرواده يخلعون فيه ملابسهم ويأخذون فيه قسطاً من الراحة قبل خروجهم منه لتفادي التعرض لتيار هوائي مفاجئ، وقد عُرف هذا المكان بوظيفته الأولى فسُمي «المنزع اوالمخلع» أو«بيت أول» وأُطلق عليه في بعض المدن «البَرَّانِيّ» لكونه خارج نطاق الأقسام الحقيقية للحَمّام، ثم تليه قاعتان أوثلاثة خاصة بالاستحمام تتدرج في حرارتها من المستوى العادي إلى المستوى الدافئ ثم المستوى الساخن في ترتيب مكاني ثابت. وفي هذه القاعات تتم عملية الاستحمام وما يصاحبها من تطهر واغتسال، وأيضاً ما يتبعها من عمليات إزالة الشعر والتجميل والتزين(٣٧)، وقد حرص مشيدوالحَمّامات في كربلاء على اتباع هذا التصميم كبقية المدن الإسلامية.

المبحث الثاني

الحمَّامات الباقية في مدينة كربلاء وتأثيراتها الاجتماعية

أولاً: أقسام الحَمَّام الكربلائي في العصر العثماني

تَمَيَّزت حمَّامات السوق الكربلائية في العصر العثماني بتخطيط مستوحى من فكر الفن الشعبي الإسلامي الذي كان سائداً في مدن العالم الإسلامي، ولِمَ لا فقد أُسست الحَمَّامات في المقام الأول لخدمة تلك الطبقة الشعبية التي تمثل القاعدة العريضة في المجتمع الكربلائي ولذلك نجد عمارة الحَمَّامات قد تميزت بالبساطة وعدم الإسراف عكس ما نجد عليه الحال في المشيدات المعمارية الأخرى مدنية كانت أم دينية، ومن ثم لم يخرج تخطيطه عن ثلاثة أقسام تتدرج فيها الحرارة من القسم البراني إلى الوسطاني فالجُوَّاني، علاوة على المقاصير الملحقة بكل من الوسطاني والجواني، فضلاً عن «القِمِّيم» وهومكان تسخين المياه (بيت النار).

١. البَرَّانِيُّ (المَنزع اوالمخلع):

ويُعرف أيضاً بـ «بيت أول» وهوالقسم المخصص لاستقبال رواد الحَمَّام، ومنه يغادرونه، فيه يخلعون ويرتدون ملابسهم قبل وبعد الحَمَّام، كما أنه مُعَّد أيضاً

-خاصة للنساء- لإحياء بعض المناسبات الاجتماعية المتعلقة بتقاليد الحَمّام مثل الخطبة والنفاس والختان والتي من خلالها انبثقت بعض الفنون الشعبية التي تميزت بها المجتمعات الإسلامية بصفة عامة. ومن هنا اختلف تخطيط قاعة البراني وأسلوب بنائها عن باقي أقسام الحَمّام(٣٨) حيث تميزت مساحتها بالاتساع وجدرانها بالارتفاع وتغطيتها بقبة شاهقة ذات نوافذ متعددة لتوفير الإضاءة والتهوية، وانتشار المصاطب حول جوانبها وقد فُرشت بأنواع من البسط والسجاد هي في ذاتها تجسيد واضح للفنون الشعبية المتمثلة في صناعة السجاد.

٢. الوسطاني (القاعة الدافئة)

يُعَدُّ الوسطاني أوالقاعة الدافئة القسم الثاني في الحَمّام العام، وهوبمثابة القاعة الدافئة به، وهوفي واقع الأمر يُعْتبر مرحلة انتقالية من القاعة الأولى معتدلة الحرارة إلى القسم التالي الأكثر حرارة وهوما يعرف بقاعة الجواني أوبيت الحرارة، هذا من حيث الوظيفة. أما من حيث عمارة هذا القسم فهوعبارة عن قاعة مستطيلة كانت تغطى في معظم الأحوال بقبونصف برميلي، ويتضمن مصطبة برسم راحة رواده، ومن الأمور التي حرص عليها المعمار تغشية جدران الوسطاني بطبقة من الكلسة ذات تركيبة معينة كانت عاملاً هاماً في احتفاظ الجدران بدرجة الحرارة داخل الحيز الذي تحيط به(٣٩). وتحت أرضية هذه القاعة المفروشة ببلاطات حجرية أورخامية ملونة كانت توجد أنابيب فخارية تمر من خلالها حرارة المواد المحترقة الناتجة عن تسخين المياه بالحلل النارية(٤٠) والدخانية(٤١) في القميم، ومنها تندفع هذه البقايا إلى المدخنة العامة للحَمّام(٤٢).

ويتضمن الوسطاني وحدات وعناصر ومرافق أخرى تمثل مقوِّمات وظيفة الاستحمام، فيلاحظ أن هذه القاعات قد أُلحقت بها مقاصير (خلوات) خُطِّطَت بطريقة معينة تتوفر من خلالها الخصوصية لمن بداخلها[٤٣] إلى حد كبير خاصة خلال مراحل التنظيف والتدليك وإزالة الشعر التي تتم فيها. وقد اختلفت مساحات هذه المقاصير فنجد أن بعضها يتسع لفرد واحد أوفردين، وبعضها ذومساحة أكبر من ذلك[٤٤].

٣. الجُوَّانِيُّ (بيت الحرارة):

تُشكِّل قاعة الجواني أوبيت الحرارة القسم الداخلي في الحَّامات وهي القاعة الحقيقية للاستحمام حيث الحرارة الشديدة المدرة للعرق. وقد حَرَص المعمار في تخطيط هذه القاعة على تطبيق المواصفات المعمارية التي اشترطها الفكر المعماري الإسلامي المتعلقة بعملية التنفس وعدم الضيق، في تشكيل الحيز الفراغي لقاعة الجواني من حيث ارتفاع الجدران واستخدام القباب والأقبية في التغطية.

وقد تعددت أنماط التخطيط في قاعات الجواني بحَّامات مدينة كربلاء في العصر العثماني ولكنها مع الأسف تغيرت بعض عناصرها مع مرور الزمن بسبب الهدم تارة وبسبب أعمال الترميم غير الدقيقة تارة أخرى، فكان النمط الأول منها عبارة عن قاعة مستطيلة يغطيها قبوبيضاوي الشكل، وقد أُلحقت بها عدة مقاصير (خلوات) ذات مساحات صغيرة تغطي كلاً منها قبة، والنمط الثاني عبارة عن قاعة وسطى مربعة المسقط تغطيها قبة، وعلى جانبي القاعة إيوانان متماثلان تسقف كلاً منهما قبة، أما النمط الثالث فهوعبارة عن أربعة إيوانات

متعامدة على قاعة وسطى مركزية مغطاة بقبة بينما تغطِّي كلاً من الإيوانات أقبية نصف برميلية. وجدير بالذكر أن قاعات الجواني كانت تشتمل على مغاطس عبارة عن أحواض مستطيلة تملأ بالماء الساخن وتعلوها قبة صغيرة محمولة على أعمدة.

وقد أدرك الفكر المعماري الإسلامي أهمية الاعتبارات الإنسانية المتصلة بعملية التنفس وكذلك أهمية تجنب الشعور بالضيق داخل القاعات الساخنة بالحَمَّامات. ولذلك أكد على مواصفات معمارية لكل من قاعتي الوسطاني والجواني على النحوالتالي:

أولها: حَرَص المعمار على ارتفاع الجدران في هذه القاعات عن طريق استخدام القباب والأقبية في تغطيتها، وتُعد هذه المواصفات غاية في الأهمية، ذلك لأن نسبة البخار في هذه القاعات تكون عالية بسبب الماء الساخن، ويساعد ارتفاع الجدران وما يعلوها من قباب وقبوات على زيادة الاستيعاب لكميات بخار الماء في الحيز الفراغي، كما يساعد على تحريك الهواء داخل هذه القاعات في دائرة مغلقة(٤٥).

وثانيها: التأكيد على ضرورة اتساع وحدات الحَمَّام الساخنة حيث يساعد ذلك على صفاء الهواء وتفريق الحرارة، ومن ثم لا تنحصر الأنفاس المختلفة فيه، ويكون خروج النَفَس ودخوله سهلاً بخلاف الضيق في المساحات(٤٦).

٤. القمِّيم (المستوقد)

يُعَّد القِمِّيم أو المستوقد من الوحدات المعمارية الهامة الملحقة بالحَمَّام، فهو المكان المخصص لتزويد الحَمَّام بالماء والهواء الساخن حيث كان يتم به تسخين الماء في قدور كبيرة، كما كان يستفاد منه أيضاً في سحب الهواء الساخن وبقايا اللهب

والدخان عن طريق أنابيب لتدفئة أرضية كل من قاعتي الجواني والوسطاني(٤٧).

قامت فكرة التخطيط المعماري للقميم على تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء هي: المستوقد، والخزانة، وسكن القميمي(٤٨)، وتمثل هذه الأجـزاء الثلاثة كتلة بنائية مستطيلة أومربعة يزيد ارتفاعها على مستوى الحمَّام، وتنقسم من الداخل إلى ثلاث غرف صغيرة في ثلاثة مستويات يُعرف المستوى الأول ببيت النار أوالأتون، في أرضيته فتحة تنطلق منها بقايا النار والدخان عبر ممرات خاصة ممتدة تحت أرضية كل من الجواني والوسطاني وكذلك المقاصير المتفرعة عنهما تتجمع كلها في ممر بيت النار الـذي يتوسط أرضية كل من قاعتي الجواني والوسطاني ويساعد ذلك بطبيعة الحال على تدفئة أرضية القاعتين مما يذكرنا بأسلوب التدفئة الذي كان مستخدماً في الحمَّامات الرومانية(٤٩). ويغطي المستوقد أوبيت النار سقف هو في الوقت ذاته أرضية للحجرة العلوية، وشُكِّل هذا السقف على هيأة قبة ضحلة تتوسطها فتحة تُعرف «بالمرازة» يتصاعد منها اللهب للمستوى الثاني الذي يعرف بالدبكونية(٥٠) وهي حجرة قد تكون مربعة أومستطيلة سقفها عبارة عن قبة ضحلة تساعد على عدم تبديد البخار المتصاعد من حلل الماء الساخن الموجودة فيها ويخرج هذا البخار المتصاعد من الحجرة عبر فتحة مستطيلة بجدارها المشترك بينها وبين قاعة الجواني. ويمثل المستوى الثالث مسكن القميمي، وهوعبارة عن حجرة بسيطة قد تكون مستطيلة أومربعة، يغطيها سقف مسطح يتوسطه شخشيخة(٥١). ويُدخل إلى القميم عادة من باب فرعي للحمَّام غالباً ما كان يقع مطلاً على حارة ضيقة أوزقاق صغير في الجهة المقابلة للبراني (المنزع اوالمخلع).

ثانياً: المجتمع الإسلامي وعمارة الحمَّامات

إن استقراء نصوص الشريعة الإسلامية السمحاء يوصِّلنا إلى نتيجة ثابتة ومحـدَّدة هي أنها جاءت لتحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم، حيث أن هذه الشريعة بُنيت على أصل عظيم وهوجلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم، ولذلك نجد أن مقاصد الشريعة لا تتعدى ثلاثة أقسام: أولها أن تكون ضروريـة، والثاني أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية. فالضرورية هي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، والحاجية هي ما يحتاجه الناس للتوسعة عليهم ورفع الضيق والحرج والمشقة عنهم. وتركها يـؤدي بالمكلفين إلى الحـرج والمشقة، وهما مدفوعان بحكم الشريعة، يؤيد ذلك قوله تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حـرج»[٥٢]، أما التحسينية فهي توفير ما تُحَسَّن به حياة الناس من منشآت دينية ومدنية وغيرها، وقد جاءت نصوص الشريعة وأحكامها محققة لهذه الحاجيات وذلك بالتوسعة على الناس كإباحة المحظورات عند الضرورات[٥٣].

وبذلك وَجَد المجتمع الإسلامي دستوراً واضحاً كان على المسؤولين عنه أن يطبقوه فقط، وكان توصيل أفكاره للعامة في المجتمع من مهمة الفقهاء وعلماء الدين الذين حاولوا ذلك وإن اختلفت مذاهبهم[٥٤]. ومن هنا صار الفقه الإسلامي منهجاً متكاملاً في كافة مناحي الحياة الإنسانية كلها، في العقيدة والعبادة والاجتماع والاقتصاد وكذلك أسلوب التشييد والبناء[٥٥].

وقد نظمت الأحكام الفقهية العمل داخل الحمَّامات العامة في المدن الإسلامية وأسلوب ارتفاقها والحرص في تصميمها على طهارة الماء مما استوجب تصميم

أحواضها وأجرانها بطريقة معينة تكفل ذلك(٥٦). وتماشياً مع هذا الاتجاه أُنشئت حمَّامات خاصة للنساء وأخرى للرجال، وهناك من الحمَّامات ما استُخدم للرجال في أوقات محددة وللنساء في أوقات أخرى، كما أُلحقت ببعض المنشآت الدينية حمَّامات كانت مخصصة لخدمة آهليها إلى جانب خدمة العامة.

وفي ظل الظروف الاجتماعية وتطبيق نصوص الشريعة الإسلامية في المجتمع بُنيت الحمَّامات العامة كنوع من المنشآت الاجتماعية التي روعي في عمارتها ما يتماشى مع ما ينص عليه الفكر المعماري الإسلامي، وقد كان لذلك صدىً كبيرٌ في تطبيق هذا الفكر في عمارة الحمَّامات من جانب المعماريين.

ولما كان للحمَّام دور واضح في الحياة الاجتماعية للمدن الإسلامية وأصبح سلوكاً اجتماعياً جرت به عادة المجتمعات الإسلامية خضع لإشراف المحتسب خضوعاً مباشراً يكفل له استمرار عمله وفق القواعد والقيم التي تنادي بها الشريعة الإسلامية(٥٧).

ثالثاً: دور المحتسب في المدن الإسلامية مع الحمَّامات

لعب المحتسب في المدن الإسلامية دوراً بارزاً في علاقة المجتمع بالحمَّامات وعمارتها، فكان عليه أن يتفقدها كل يوم ليزاول إشرافه ورقابته عليها بنفسه، فإن رأى أحداً قد كشف عورته عزَّره على كشفها وهوبذلك قائم على تطبيق حدود الشريعة في داخلها(٥٨)، وإن تدارك ذلك في حمَّامات النساء فعليه أن يوعظهن ويخوفهن عقوبة الله تعالى إن كان قادراً على ذلك(٥٩).

ولم يقتصر دور المحتسب في إشرافه على الحمَّامات على ما تقدم فقط

بل كــان له أن يأمر القائمين عليها بكنسها وغسلها بالماء الطاهر عدة مرات في اليوم الواحد(٦٠) ويدلِّكون الأرضيات حتى لا يَعْلَق بها السدْر(٦١) والخَطْمِيّ(٦٢) فتزلق أرجل الناس عليها(٦٣).

حرص المحتسب على التشديد على نظافة الخزنة (جفنات المياه) التي تزوِّد الحَمَّام بالمياه الساخنة، فأوصى بتنظيفها كل شهر مرة على الأقل وتسليك مجاريها من الرواسب المجتمعة فيها حفاظاً على عدم تغيُّر طعم الماء أورائحته، كما حرص على توصية القيِّم حين الصعود إلى الخزنة لفتح الماء إلى الأحواض أوحين تنظيفها أن يغسل رجليه توخياً للطهارة، وأن لا تُستخدم النفايات أوالشعر في سد أنابيب الماء عند إغلاقها، بل تُسد بالليف والخِرَق الطاهرة. وأوصى المحتسب بأن لا يُحبس الماء المستعمل في مجاري الصرف حتى لا تفوح رائحته، ولا يدع القيِّم أحد من الأساكفة أوغيرهم أن يغسلوا أويصبغوا الجلود في الحَمَّام فيتضرر الناس من رائحة الدباغة، كما كان عليه أن يمنع الأبرص والمجذوم من دخول الحَمَّام لمنع انتشار المرض والعدوى، وأخيراً كان من مهام المحتسب أن يبخِّر الحَمَّام مرتين يومياً وخاصة عند كنسه أوغسله، ومتى برد الحَمَّام يبخِّره القيِّم بالخزامى(٦٤) فإن دخانها يحمي هواءه ويطيِّب رائحته(٦٥). كما كان على القيِّم أن يأمر الأتَّان(٦٦) بأن لا يستخدم الزُبُل ورَوْثْ الحيوان المجفف ونحوه في وقوده حتى لا يتأثر الماء برائحة دخانها السيئة فيفسد أويفقد طهارته(٦٧).

ويُلزم القيِّم أيضاً «المزيِّن» –وهوالبلان– باستعمال الأمواس الجيدة، كما ينبغي أن يكون هذا المزين خفيفاً رشيقاً بصيراً بصنعته، ولا يحلق شعر صبي إلا بإذن وليِّه، ولا عبداً إلا بإذن سيده، ولا يحلق عذَّار أَمْرَد ولا لحية مُخَنَّث،

كما ألزمه أيضاً بعدم أكل ما يغيِّر رائحة فمه كالبصل والثوم والكرَّاث وأشباه ذلك في يوم نوبته لئلا يتضرر الناس بذلك(٦٨). وكان للمحتسب أيضاً أن يأمر المدلِّك أن يدلِّك يده بقشور الرمان لتصير خشنة فتُخرج الوسخ وينتفع بها الإنسان، ويُمنع من دلوك الباقلاء والعدس في الحَمَّام لأن ذلك طعام فلا يجوز أن يُمتهن(٦٩).

ومراعاة للآداب العامة أيضاً حرص المحتسبون والولاة على مراقبة الشباب ومنعهم من التسكع على أبواب الحَمَّامات لملاحظة النساء، وكذلك منع المخنث والأمرد من الدخول درءً للشبهات وحتى لا يكونوا مدعاة للفساد والشذوذ(٧٠).

تعدَّت رقابة المحتسب والسلطة الإدارية كل ما سبقت الإشارة إليه حيث شُدِّدَت الرقابة أيضاً على حسن معاملة العاملين بالحَمَّام لمرتاديه وكذلك حسن أدائهم لما يقومون به من خدمات، إلى جانب تحسين سير العمل والاهتمام بجودة الأدوات المستخدمة فيه(٧١). وربما ينم ذلك كله عن مدى أهمية الحَمَّام في ذلك الوقت في حياة الناس ومدى اهتمام أولي الأمر به.

رابعاً: حَمَّامات السوق الباقية في مدينة كربلاء

كانت حَمَّامات السوق في كربلاء من مراكز الحياة الاجتماعية حيث ارتبطت ببعض المناسبات الهامة في حياة المجتمع(٧٢)، كما تُعد هذه الحَمَّامات من المعالم الأثرية في كربلاء على الرغم من أن عددها قد تقلص وتضاءلت أهميتها بالمدينة حيث هجرها السكان إلى حدٍ كبير وأصبح الإقبال عليها ضعيفاً ولم تعد كما كانت وقت إنشائها.

ونظراً لافتقار حمَّامات السوق بكربلاء للدراسات العلمية الحديثة وكذلك عدم ذكرها بالمصادر العربية القديمة -على حد علمي- بالقدر الذي يساعدنا على التعرف على تاريخ تشييدها أوحتى العصر الذي شُيدت فيه، تجدر الإشارة إلى أن ما نشر من دراسات عن تاريخ وعمارة هذه الحَّمامات من جانب بعض المجتهدين والهواة قد جانبها الصواب تماماً لعدم استنادها على أسس علمية أوتاريخية، ولا تخرج جميعها أومعظمها عن اجتهادات شخصية عشوائية وأخرى عبارة عن أقاويل تناقلتها الأجيال، ومعظمها في الحقيقة بعيد عن الصدق والصواب.

لكننا نستطيع أن نقرر أن فكرة تصميم الحَّمام وعناصره المعمارية التي نص عليها الفكر المعماري الإسلامي وحرص معماريو المدن الإسلامية على تنفيذها هي نفسها التي اتبعها وسار عليها معماريو العصر العثماني في مدينة كربلاء، يؤكد ذلك أن الحَّمامات الأثرية الباقية فيها -بصفة عامة- اتسمت بطابع خاص يميزها وهوالبساطة الشديدة، فضلاً عن خلوها من العناصر الزخرفية الفنية التي تميزت بها الحَّمامات الأثرية الباقية في معظم المدن الإسلامية الأخرى، هذا إلى جانب الإضافات المعمارية الحديثة التي شوهت المعالم الأثرية الأصيلة التي كانت موجودة فيها، وكذلك استعمال أساليب حديثة في طريقة تسخين المياه الخاصة بها مما استدعى تغيير العناصر المعمارية الفنية للقميم أو بيت النار. ونضيف إلى ذلك زوال العادات والتقاليد التي كانت متبعة في المجتمع الكربلائي في ظل وجود الحَّمامات والتي كانت معروفة في سائر المجتمعات في المدن الإسلامية.

وعلى الرغم من اختلاف مخططات الحَّمامات الباقية في مدينة كربلاء إلا أنها تشابهت مع مثيلاتها الباقية بمدن الشام والقاهرة منذ العصر الأموي وحتى

العصر العثماني ولم تختلف إلا في تفاصيل بسيطة.

وجدير بالذكر أن حمَّامات السوق الكربلائية قد استمدت أصولها المعمارية من الطراز الفارسي والتركي ولكنها تميزت عنهما بصفات محلية، وهي سمة متبعة في المشيدات المعمارية في كل المدن الإسلامية عامة، فقد استعملت مواد البناء المحلية كالطابوق والجص والنورة والقار الأسود العازل للحرارة، وفي الوقت ذاته استُعملت العناصر المعمارية التي عرفتها سائر حمَّامات المدن الإسلامية كالقباب والقبوات في التسقيف(٧٣). أما التخطيطات والتكوينات المعمارية فقد ظلت كمثيلاتها في حمّامات المدن الإسلامية دون أن يلحق بها تغييرات جوهرية، حيث نجد أقسام الحمّام الثلاثة كما هي: البراني -الوسطاني- الجواني.

تعرضت حمَّامات مدينة كربلاء للهدم والزوال إما بسبب إهمالها وعدم ترميمها وتجديدها، ويرجع ذلك بطبيعة الحال لهجر المجتمع الكربلائي لها، وإما بسبب التوسعات التي شهدتها المدينة مؤخراً منذ عام ١٩٩٧ وشق شوارع جديدة مما استوجب هدم كثير من المباني التراثية والتاريخية في كربلاء ومن ضمنها حمَّامات السوق، ومع تجوالنا في المدينة خلال الدراسة الميدانية لم نجد غير أربعة حمَّامات لا تزال قائمة ولكنها معطلة عن مزاولة نشاطها لعدم إعدادها وتجهيزها بالأسلوب الذي يتلاءم مع استقبال روادها إلا حمَّام واحد منها هو حمَّام السيد سعيد الشروفي الكائن في باب السلالمة، وسنتناول من هذه الحمَّامات الأربعة حمَّامين فقط هما حمَّام الشروفي وحمَّام البغدادي حيث استطعنا أن نرجح تأريخهما عن طريق الاستنتاج والمقارنة، أما الحمَّامان الآخران فقد ضاعت تماماً عناصرهما المعمارية الأثرية واستبدلت بعناصر مستحدثة ذات طرز

لا تمت للقديم من قريب أوبعيد، وهما حمَّام نينوى وحمَّام النمرة.

١. حمَّام السيد سعيد الشروفي

أ. الموقع والتاريخ

يقع هذا الحمَّام في منطقة باب السلالمة في بشارع الوزون عند الجهة الجنوبية الغربية من مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام، حيث يطل بواجهته الرئيسية على هذا الشارع، وفي حديث مع القائم على الحمَّام ذكر لنا أن تاريخ بنائه يعود إلى عام ١٩٢٠م، ولكن بمعاينة العناصر المعمارية للحمَّام وعلى وجه التحديد القبة التي تعلوقاعة الاستقبال، وكذلك القبة التي تغطي القاعة الساخنة (الجواني) والطراز الفني لمناطق انتقالها المتمثل في استخدام المثلثات الكروية التي تميزت بها مناطق انتقال القباب في العصر العثماني والتي نراها منتشرة في حمَّامات دمشق والقاهرة واسطنبول على وجه الخصوص، إلى جانب بيت النار (المستوقد) وأسلوب بناء عقوده وسقفه المروحي، نرجح من جانبنا أن هذا البناء يرجع إلى نهاية العصر العثماني في العراق أي نهاية القرن التاسع عشر على أقل تقدير وذلك بمقارنة هذه العناصر مع مثيلاتها في معظم حمَّامات مدينتي دمشق والقاهرة التي ترجع لنفس الفترة الزمنية.

وقد نما إلى علمنا أن مالك الحمَّام قد اشتراه بالفعل عام ١٩٢٠م، واستنتجنا أنه ربما قد قام بعد شرائه بإجراء بعض أعمال الترميم والتجديد مما جعل أهل الحي يرجعون تاريخ تشييده إلى ذلك العام حيث نُسب الحمَّام إليه وظل يُعرف باسمه حتى وقتنا الحاضر.

ويستطيع الباحث المتخصص في العمارة الإسلامية عامة وعمارة الحمَّامات خاصة أن يميز بين العناصر القديمة التي ترجع للعصر العثماني والعناصر الحديثة التي أُضيفت لهذا الحمَّام فيما بعد والتي غيرت من معالمه الرئيسية بعد عام ١٩٢٠، حيث يتضح سقوط خوذتي القبتين التي تغطي كلاً من قاعة الاستقبال (المخلع أوالمنزع) وقاعة بيت الحرارة (الجواني) وإعادة بنائهما بأسلوب مخالف للأسلوب الذي كان متبعاً في العصر الإسلامي بصفة عامة، خاصة خوذة بيت الحرارة التي فقدت (القماري) أي الفتحات الصغيرة المستديرة المغشاة بالزجاج الملون التي كانت تسمح بمرور الضوء دون الهواء لإنارة تلك القاعة، فضلاً عن إضافة كمرات حديدية أسفل مناطق الانتقال ذات الطراز القديم لتقويتها وتدعيمها لتحمل ثقل القبة المقامة فوقها.

ب. الوصف العام للحمَّام

شُيِّد الحمَّام حسب الطراز المعماري المتبع في المدن الإسلامية بصفة عامة وكذلك حمَّامات مدينة بغداد التي ترجع للعصر العثماني بصفة خاصة، حيث يتميز بمدخله الضيق الذي يؤدي إلى ردهة صغيرة كانت تخصص للحلاق (المزين) وما زالت كذلك حتى الآن، ومنها ندلف إلى قاعة الاستقبال المعروفة بالمخلع أوالمنزع والتي تغطيها قبةٌ شاهقة، ويؤدي باب صغير من المنزع إلى قاعة دافئة في حرارتها تُعرف بالوسطاني ومنها إلى قاعة بيت الحرارة المعروفة أيضاً بالجواني والتي تغطيها هي الأخرى قبة مرتفعة، وقد أُلحقت بهذه القاعة عدة مقاصير أوخلاوي بالإضافة إلى المغطس. ويقع مستوقد الحمَّام أوبيت النار في

الناحية الشمالية لبيت الحرارة.

ت. الواجهة الرئيسية

تتميز معظم واجهات حمَّامات العصر العثماني في المدن الإسلامية مثل دمشق والقاهرة واسطنبول وغيرها باشتمالها على حوانيت تجارية إلى جانب المدخل بدلاً من النوافذ التي كانت تضمها واجهات الحمَّامات التي ترجع للعصور السابقة لها في تلك المدن، ومما يرجح نسبة هذا الحمَّام أيضاً لهذا العصر اشتمال واجهته الرئيسية المطلة على شارع الوزون على عدة محلات تجارية، متماثلة في ذلك مع واجهات حمَّامات المدن المشار إليها. وتبدو من أعلى الواجهة خوذتا كل من قبتي قاعة الاستقبال وقاعة بيت الحرارة، وهما متشابهتان في شكلهما العام الذي يدل على إعادة بنائهما في وقت لاحق لتاريخ المبنى الأصلي وذلك لاختلاف طراز البناء عن الطراز المتبع في بناء خوذات العصر العثماني، حيث نجد أن كلاً منهما ترتكز مباشرة على الجدار دون وجود الرقبة المستديرة ذات النوافذ الصغيرة، بالإضافة إلى تدرجها كلما ارتفعت لأعلى.

يقع مدخل الحمام في أقصى الناحية الغربية للواجهة ويؤدي مباشرة إلى ردهة مربعة المسقط تُستعمل كمكان للحلاَّق الذي كان من العناصر الأساسية العاملة في الحمَّامات. ويفتح بالجدار الشرقي لهذه الردهة باب يفضي مباشرة إلى الإيوان الجنوبي لقاعة الاستقبال.

ث. المنزع (قاعة الاستقبال)

وهي عبارة عن قاعة وسطى مربعة المسقط كان يتوسطها فسقية حجرية أورخامية مثمنة أومستديرة على غرار حمَّامات العصر العثماني، تحيط بالقاعة أربعة إيوانات يطل كل منها على القاعة بعقد منكسر ويلاحظ أن أكبرها وأعمقها الإيوان الجنوبي الذي يستغل لجلوس قيِّم الحَمَّام على تخته لاستقبال الرواد. كانت المصاطب الحجرية المخصصة لجلوس رواد الحَمَّام تصطف حول جدران هذه الإيوانات، استُبدلت حالياً بأرائك خشبية، وتفتح أعلى كل من الإيوانين الشرقي والغربي نافذةٌ مستطيلة للإضاءة والتهوية وهما العنصران الوحيدان الموجودان في القاعة من أجل هذا الغرض إضافة إلى الفانوس الزجاجي في أعلى القبة التي تغطي القاعة. ترتكز هذه القبة مباشرة دون رقبة على مناطق الانتقال ذات الطراز العثماني وهي على هيأة مثلثات كروية ناتجة عن التقاء العقود المنكسرة التي تشغل واجهات الأواوين الأربعة، وقطب القبة عبارة عن فتحة مستديرة يعلوها فانوس زجاجي بغرض الإضافة والتهوية.

ونظن من جانبنا أن هناك تغييراً قد طرأ على بناء خوذة هذه القبة، حيث تميزت القباب التي تغطي قاعات المخلع بالحَمَّامات عامة بوجود رقبة مستديرة تعلومناطق الانتقال لترتكز عليها خوذة القبة وحتى تسمح للمعمار بفتح نوافذ صغيرة تتراوح بين ثماني أوست عشرة نافذة على أكثر تقدير تسمح بإضاءة وتهوية القاعة، وقلما وُجدت قبة في أحد الحمامات دون هذه الرقبة، وإن وُجدت كان المعمار يحرص أيضاً على فتح عدة نوافذ في أسفل الخوذة.

ج. قاعة الوسطاني (القاعة الدافئة)

يوجد في الجهة الجنوبية الشرقية من قاعة الاستقبال درج حجري هابط مكون من ثلاث درجات يوصل إلى باب صغير مستطيل يفضي مباشرة إلى قاعة الحمّام الوسطى وهي القاعة الدافئة التي تُعرف بالوسطاني أوبيت أول، وهي قاعة متسعة مستطيلة المسقط تمتد من الشمال إلى الجنوب ويغطيها قبونصف برميلي ضحل تتوسطه فتحة مستديرة مغطاة بفانوس زجاجي، وقد أُلحق بهذه القاعة مرحاض في الجهة الجنوبية نصل إليه عبر باب صغير مستطيل، بينما يتوسط الجدار الشرقي باب آخر يوصل إلى القاعة الساخنة للحمّام.

ح. الجواني (بيت الحرارة)

نصل إلى هذه القاعة عن طريق الباب الكائن في الجدار الشرقي للوسطاني المشار إليه، وهي عبارة عن قاعة مربعة المسقط تحيط بها أربعة إيوانات وأُلحقت بها عدة مقاصير أوخلاوي إضافة إلى المغطس في الجهة الشمالية الغربية، وجدير بالذكر أن تخطيط هذه القاعة مماثل لمخططات قاعات الجواني في الحمّامات العثمانية لكلٍ من دمشق والقاهرة.

تتوسط القاعة الوسطى مصطبة حجرية مستطيلة مخصصة لتدليك المستحمين، ويطل كل إيوان على القاعة بواجهة، نجدها في الإيوان الشمالي معقودة بعقد منكسر، وبعقد موتور لكل من الإيوانات الثلاثة الأخرى، وقد أُدخلت على كل الإيوانات تعديلات وإضافات معمارية غيرت من معالمها الأصلية عدا الإيـوان الجنوبي الذي لا يزال يحتفظ بتصميمه القديم، حيث

مسقطه المستطيل الممتد من الشرق إلى الغرب ويغطيه سقف مقبي، وعلى جوانبه أحواض مستديرة للماء الساخن. أُلحقت بالقاعة مقصورتان أوخلوتان، إحداهما بالركن الجنوبي الشرقي والثانية في الركن الشمالي الشرقي تشتمل كل منهما على أحواض مستديرة برسم الماء الساخن، ويغطيها قبونصف برميلي في وسطه فتحة مستديرة مغشاة بالزجاج لعدم تسرب الحرارة. وجدير بالإشارة إلى أنه يوجد في الركن الشمالي الغربي للقاعة مغطس يُصعد إليه بأربع درجات سلم حجرية وهوعبارة عن تجويف مربع المسقط يُملأ بالماء الساخن يغطس فيه المستحمون.

غُطيت قاعة الجواني بقبة مرتفعة ترتكز على مثلثات كروية تحول مربع القاعة إلى مثمن ترتكز عليه خوذة القبة مباشرةً.

وتجدر الإشارة إلى أنه يجري تحت أرضية بيت الحرارة أنبوب اسطواني قادم من بيت النار (المستوقد) وربما يتفرع منه فرعان أوأكثر تحت أرضيات الأواوين الأربعة والمقصورتين المشار إليهما، يمر بهذا الأنبوب هواء ساخن يعمل على تسخين أرضيات القاعة وملحقاتها، وفي الوقت ذاته يحمل الأدخنة الناتجة عن احتراق الوقود إلى المدخنة ومنها إلى خارج الحَمّام.

خ. القميم (بيت النار)

يقع في الناحية الشمالية من الحَمّام خلف بيت الحرارة، والقميم هوالمستوقد الخاص بتسخين مياه الحَمّام وكان يوقد في الماضي باستخدام الزبل وروث الحيوانات بعد تجفيفه، وقد تغيرت الآن طرق التسخين بأساليب حديثة تعتمد على السولار أوغيره من المواد. ويشتمل حَمّام الشروفي على العناصر المعمارية

الأصيلة للقميم فهوعبارة عن إيوان رأسي مستطيل مبني بالآجر واجهته عبارة عن عقد مدبب ويغطي سقفه قبومروحي.

٢. حمَّام البغدادي

أ. الموقع والتاريخ

يقع حمَّام البغدادي في منطقة العباسية الغربية على الجانب الجنوبي لشارع الجمهورية عند تقاطعه مع ساحة البلوش. لم نستطع الحصول على تاريخ الحمّام من خلال المصادر التاريخية أوالمؤلفات الحديثة، كما لم نستطع أيضاً الوصول إلى معلومات مفيدة عن تاريخ إنشائه من القائمين عليه أوكبار السن القاطنين في منطقة أوبالقرب من الحمَّام.

وعند دخولنا للحمَّام فوجئنا بحالته المعمارية السيئة حيث وجدناه في حالة يرثى لها، فقد آلت جدرانه للسقوط وارتفعت أرضياته عن مستواها الطبيعي بحيث اقتربت سقوفه من الأرض لدرجة يصعب فيها التجول في داخله إلا في وضع انحناء تام حتى لا تصطدم رأس من بداخله بالسقف. وخلاصة القول أنني شعرت بحزن شديد ينتابني على ما وصل إليه المبنى الذي يُعد من أقدم حمَّامات كربلاء في العصر العثماني، فهوبحق تحفة معمارية معرضة للزوال نهائياً تاركة فراغاً كبيراً في تاريخ عمارة الحمَّامات الكربلائية.

ومن خلال تلك الأطلال الباقية تبين أن هذا الحمَّام من نوعية الحمَّامات المزدوجة حيث يتكون من حمَّام للرجال وآخر للنساء، وقد كان مشيداً على نسق تخطيط الحمَّامات التي تنتمي للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

حيث تدل على ذلك كل عناصره المعمارية المتمثلة في العقود المدببة وعقود حدوة الفرس، والقباب، ويؤيد اتجاهنا هذا تطابقه في تخطيطه وعناصره المعمارية مع حمَّام الرفاعي الكائن في حي الميدان في مدينة دمشق الذي يرجع تاريخه للقرن العاشر الهجري، وما يؤكد عودته لهذا التاريخ أيضاً المواد المستخدمة في البناء من الطابوق المحلي، هذا إلى جانب السُمْك الكبير للجدران الذي تميزت به حمَّامات العصر العثماني في المدن الإسلامية بصفة عامة.

ب. التخطيط العام للحمَّام

اقتُطع جزء من مساحة الحَمَّام من الجهة الشمالية لم يُبْقِ على وجود واجهة له، وحل محل الواجهة عدد من الحوانيت الحديثة. وأصبح المدخل يمثل واجهته الرئيسية.

وينقسم الحَمَّام من الداخل إلى ثلاثة أقسام تبدأ بالبراني الذي يتكون من قاعتين متجاورتين يفصل بينهما عقد موتور مدبب، ويغطي كلاً منهما قبة يفتح بقطبها فانوس زجاجي، وعلى جوانب كل منهما مصاطب حديثة والقسم الثاني هو بيت أول (الوسطاني) ويقع في الجهة الجنوبية الغربية لقاعة الاستقبال (البراني)، ويتألف من قاعتين متتاليتين تمتدان من الشمال إلى الجنوب ويغطي كلاً منهما قبة، وفي النهاية الجنوبية للوسطاني باب يؤدي إلى القسم الثالث والأخير للحَمَّام وهوبيت الحرارة (الجواني)، ويتكوَّن من قاعة وسطى مربعة تغطيها قبة، يطلّ عليها من الجهات الأربع أربعة إيوانات كانت تغطي كلاً منها قبة صغيرة كما يطل كل منها على القاعة الوسطى بعقد موتور مدبب.

ت. البراني (المنزع اوالمخلع)

نصل إلى قاعة البراني من باب الدخول الرئيسي عبر ردهة مربعة،والبراني عبارة عن قاعتين متشابهتين، تقع الأولى جهة الشرق من الردهة المربعة المشار إليها، وتليها الثانية جهة الشرق ويفصل بينهما -كما سبقت الإشارة- عقد مدبب موتور، تشغل كلاً من الجدارين الشمالي والجنوبي للقاعة دخلة باتساع الجدار معقودة بعقد منكسر، وينتج عن تلاقي أرجل العقود مثلثات كروية تمثل منطقة الانتقال التي تحول مربع القاعة إلى مثمن ترتكز عليه خوذة القبة التي تغطي القاعة والتي يشغل قطبها فتحة مستديرة كان يعلوها فانوس خشبي أوزجاجي فيه نوافذ للإضاءة والتهوية، وتتشابه القاعة الثانية مع الأولى غير أن جدارها الشرقي المقابل للعقد الأوسط الفاصل بين القاعتين تشغله دخلة معقودة تشبه دخلات القاعة الأولى.

ث. الوسطاني (القاعة الدافئة)

يقع الوسطاني في الجهة الجنوبية الغربية لقاعة الاستقبال وتتقدمه من جهة الشمال ردهة صغيرة مربعة مغطاة بقبة ضحلة، ويتكون الوسطاني من قاعتين متتاليتين الأولى جهة الشمال تشغل كلاً من جدرانها الشمالي والشرقي والغربي دخلة معقودة بعقد موتور، بينما فُتح الجانب الجنوبي لها المتوَّج بعقد موتور على القاعة الثانية في الجهة الجنوبية، وتتلاقى أرجل عقود الدخلات الجدارية المشار إليها لتكون مثلثات كروية تمثل منطقة انتقال ترتكز عليها قبة ضحلة ذات فتحة مستديرة بقطبها. يربط الجانب الجنوبي المفتوح لهذه القاعة بالقاعة الثانية

للوسطاني التي تليها جهة الجنوب وهي مشابهة للأولى في كل تفاصيلها المعمارية. وفي نهاية هذه القاعة من الجهة الجنوبية باب يؤدي إلى قاعة الجواني.

ج. الجواني (القاعة الساخنة)

تتميز قاعة الجـواني في حمَّام البغدادي بتخطيط فريد متطور عبارة عن قاعة وسطى مربعة المسقط تسقفها قبة وتتعامد عليها أربعة إيوانات تغطي كلاً منها قبة.

ويُعد قسم الجواني والذي يمثل القاعة الساخنة في هذا الحَمَّام من أكثر أقسام الجواني في الحَمَّامات الكربلائية اتساعاً وتنظيماً، فهويتألف من قاعة وسطى مركزية مربعة المسقط جوانبها الأربعة المفتوحة عبارة عن عقود نصف دائرية محمولة على أربع دعامات، وتغطي القاعة قبة ترتكز على العقود الأربعة المشار إليها، وتنحصر مناطق الانتقال بين كوشات هذه العقود وهي عبارة عن مثلثات كروية. تفتح الجوانب الأربعة للقاعة الوسطى على أربعة إيوانات صغيرة متعامدة يتماثل فيها كل إيوانين متقابلين.

ح. حَمَّام النساء

يقع حَمَّام النساء في الجهة الغربية لحَمَّام الرجال المشار إليه وملاصقاً له، ومن خلال أطلاله الباقية يتضح أنه كان مماثلاً لحَمَّام الرجال في تخطيطه وعناصره المعمارية، ولكن لسوء الطالع لم نستطع الدخول إليه لارتفاع منسوب أرضياته واقتراب سقوفه من أرضيته وحالة التهدم الشديدة التي يعاني منها.

خامساً: أثر حمامات السوق على الحياة الاجتماعية

إلى جانب ما قدمته حمَّامات السوق من خدمات اجتماعية خلال العصر الإسلامي من حفاظ على مستوى النظافة العامة ومن كونها منتدى الأخِلاء والأصدقاء، ومتنفس المرأة للخروج من بيتها، إضافة إلى دورها كدور علاجية ومساهمتها في الحفاظ على الصحة العامة، فقد لعبت دوراً هاماً ظهرت من خلاله تقاليد جديدة على المجتمع الإسلامي صارت من العادات الاجتماعية وهي تقاليد الزواج والختان(٧٤). وصار الحَمَّام يمثل جزءً هاماً في مراسم الزواج حيث كانت زيارة كل من العروسين للحمَّام تكاد تمثل جزءً أساسياً بين هذه المراسيم، وقد اهتمت بذلك كل فئات المجتمع وتساوى في ذلك الغني والفقير وإن اختلفت زيارة كل منهما فقط في مقدار فخامة موكب الزيارة وأبهته(٧٥).

وإذا كانت المصادر التاريخية قد خلت من تسجيل مثل هذه العادات الاجتماعية إلا من لمحات قليلة لها وتبعها في ذلك الرحالة بصفة عامة، فإن هذه التقاليد والعادات قد لفتت أنظار بعض الرحالة الأوروبيين المحدثين، فأقبلوا على تسجيلها تسجيلاً دقيقاً منذ القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وإذا كان تسجيل هذه العادات لم يتم إلا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي فمن المسلَّم به أنها كانت موجودة قبل ذلك ربما بقرون طويلة ويدلنا على ذلك تلك اللمحات القليلة التي وردت في المصادر القديمة حيث أنه من المعروف أن العادات والتقاليد بصفة عامة لا تكون وليدة يوم وليلة، ولكن من المؤكد أنها كانت قائمة ربما منذ عُرفت الحَمَّامات، وتطورت هي الأخرى حتى أصبحت بالأسلوب الذي وصلنا تسجيله من المؤرخين المحدثين خاصة

وأنها كانت من العادات الرومانية القديمة مما يرجح أنها عادات متوارثة ضمن ما ورثته الحضارة الإسلامية من الحضارات السابقة لها(٧٦).

١. حمَّام العُرس

يُعَدُّ حمَّام العُرْس أوما يُعرف بزفَّة الحَمَّام من احتفالات الزواج الهامة التي كانت تحرص عليها المجتمع الكربلائي بصفة عامة من الأغنياء أوالفقراء، حيث أصبح من تقاليد الزواج التي كانت تحرص عليها النساء، حتى أن بعضهن لا تربطها بالحَمَّام سوى تلك المناسبات(٧٧).

اتسمت زيارة العروس للحَمَّام بمظاهر الابتهاج والفرحة حيث كانت ترافق العروس خلال زيارتها للحَمَّام الذي يكون مُعَدَّاً لاستقبال هذا الحفل مسبقاً نساء عائلتها وصديقاتها المقربات، ويتجمع الركب في قاعة البراني حيث يبدأن بخلع ملابسهن مغنيات مهللات، ثم من الوسطاني يدخلن إلى الجواني في شبه موكب صاخب، وبينما تُحمِّم النساء بعضهن تُجْلِس أُوسطى الحَمَّام العروسَ أمامها وتشرع في تحميمها(٧٨) وبعد قضاء وقت في قاعة الجواني يخرجن جميعاً إلى البراني لتناول طعام العروس حيث يقضين وقتاً طيباً ليعدن مرة أخرى إلى الجواني لاستكمال حمَّامهن، وتسمى جلستهن تلك بالخلوة، وبعد الانتهاء يعدن للبراني ويرتدين ملابسهن، وتتقدم أم العروس من الناطورة والأوسطى والبلانة لتكرمهن بما يتناسب وما قمن به(٧٩).

وقد اعتادت النساء في بعض الفترات خلال العصر العثماني أن يطالبن أزواجهن بالكثير من مصروفات الحَمَّام والمبالغة في أجرة القيِّمة، وقد ينتهي بها

ذلك إلى الخصام مع زوجها، وقد اعتدن أيضاً أن يأخذن معهن الحنَّاء والسدر والأشنان وغيرها، كما اعتادت الموسرات منهن أخذ صرر الديباج والأواني النفيسة والأطعمة المنوعة، ويلبسن أفخر ثيابهن(٨٠).

٢. حمَّام النِّفَاس

ومن التقاليد الاجتماعية المتعلقة بحمَّام النساء التي اتُبعت في تلك الفترة أيضاً ما يُعرف بحمَّام «الفَسَخ» (النفاس) وهو خاص بالنَفْسَاء ويكون اعتباراً من اليوم السابع للولادة حتى اليوم الحادي والعشرين(٨١). وقبيل اليوم الأربعين للنفساء كان هناك تقليد اجتماعي متَّبع مرتبط أيضاً بزيارة النفساء وأقاربها للحمَّام فيما كان يُعرف بحمَّام الأربعين، وكان هذا الحمَّام مصحوباً بالأفراح والأغاني من جانب الأهل(٨٢).

٣. حمَّام الختان

شاركت حمَّامات كربلاء أيضاً في العصر العثماني في حفلات الختان كتقليد اجتماعي حيث كانت تستقبل مثل هذه الحفلات التي كانت في أغلب الأحيان تصاحب مواكب العُرس إلى الحمَّام، فقد كان الطفل يُحمل على فرس غالباً ما يكون أبيض اللون، ويرتدي هو أيضاً ملابس بيضاء ويسير معه الأهل والأقرباء في موكب كبير قبل إجراء عملية الختان متجهاً إلى الحمَّام وبعد العودة يتم إجراء هذه العملية على يد المزيِّن(٨٣).

تعدى الدور الذي لعبه الحمَّام في حفلات الزواج والنفاس والختان إلى دور

آخر له بُعد اجتماعي هام وهومشاركته في الحياة الاجتماعية كمنتدى يشارك في الحياة اليومية حيث كان ملاذاً للأصدقاء يقضون فيه أوقات فراغهم، ويعقدون فيه اجتماعاتهم حيث تدور مناقشات حول الأخبار السياسية والفكرية والأدبية، كما كانت تُجرى فيه عقود الصفقات التجارية من خلال تلك الندوات، بل كان أحياناً بمثابة وكرٍ تُحاك فيه المؤامرات وتدبر فيه المكائد(٨٤).

ولم يقلّ الدور الذي قام به الحمَّام في الحياة العامة للنساء -بعيداً عن المناسبات المشار إليها- عن الدور الذي قدمه في الحياة العامة للرجال في هذه الفترة، فقد مثل أهمية خاصة في لحياة النساء في المجتمع الإسلامي لقرون عدة حيث كان هوالمكان الوحيد الذي يجدن فيه حريتهن كاملة، فنادراً ما كانت تخرج النساء للزيارات المنزلية، وكان الذهاب للحمَّام فرصتهن الوحيدة للاجتماع بصديقاتهن، وفضلاً عن اعتباره الملاذ الأوحد الذي يجدن فيه فرصة لسرد الحكايات وإطلاق الشائعات وممارسة النميمة، فقد كان أيضاً المكان المناسب لهن لاستعراض ملابسهن ومجوهراتهن، وكن يستخدمن العطر وماء الورد ببذخ، ويقضين أيضاً وقتهن في تناول الطعام، وغيرها من سائر المتع(٨٥).

وبسبب انكشاف النساء على بعضهن فلطالما تمت زيجات هناك، وذلك عندما ترى الأم أوالأخت فتاة تروقها فتختارها عروساً لابنها أولأخيها بعد سؤال معظم العاملات في الحمَّام وأخذ رأيهن في الفتاة المقصودة(٨٦).

وهكذا نرى أن الحمَّام بأنشطته المتنوعة ومشاركته في العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية كان يمثل مؤسسة اجتماعية قامت بدور هام في المجتمع الكربلائي على مدى قرون عديدة سواء بالنسبة للرجال أوالنساء وكذلك

بالنسبة للقادرين والفقراء وحتى المعدمين(٨٧)، ولم توصد الحمَّامات في وجه أولئك أوهؤلاء بل كانت كمؤسسة اجتماعية عامة تقدم خدماتها لقاء أجر زهيد يحصلون في مقابله على قدر من الترويح والنظافة إلى جانب تطهرهم استعداداً لأداء واجباتهم الدينية(٨٨).

خاتمة

تناولت الدراسة موضوعاً في العمارة الإسلامية المدنية المتخصصة في تقديم الرعاية لأفراد المجتمع الإسلامي بشتى طوائفه وطبقاته في كربلاء، وركزت الدراسة على الحمَّامات الباقية في مدينة كربلاء من العصر العثماني، وبيَّنت الدراسة مدى الحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية الحديثة المتخصصة في هذا النوع من العمارة التقليدية والحفاظ على ما تبقى منها خاصة في كربلاء.

كما ألقت الدراسة الضوء على الأصول القديمة للحمَّامات وأن العرب المسلمين اقتبسوا فكرتها فقط بينما جاءت عمارتها نابعة من الفكر المعماري الإسلامي لتتماشى مع الذوق والفكر الإسلامي.

بيَّنت الدراسة أيضاً بعضاً من العادات الاجتماعية في المدن الشامية وغيرها التي ترتبت على وجود الحمَّامات وارتيادها، وإلى جانب ذلك أظهرت الدراسة جانباً هاماً من العادات والتقاليد الاجتماعية التي صاحبت وجود الحمَّامات في حفلات الزواج والختان والنفاس التي كانت تقام بالحمَّامات.

الهوامش

(١) المناوي (الشيخ عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين بن يحيى بن محمد المناوي، ت. ١٠٣١هـ)، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧، ص١٧.

(٢) ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت. ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، ج٢، دار المعارف بالقاهرة، د.ت.، ص١٠٠٨ – ١٠٠٩.

(٣) محمد سيف النصر أبوالفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية العصر المملوكي، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب–جامعة أسيوط ١٩٨٠، ص١٥٨؛ سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار–جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص٢.

(٤) وثيقة السلطان قلاوون ١٠١٠، ١٠١١ أوقاف؛ حجة وقف الظاهر برقوق رقم ٥١/ محفظة ٩ دار الوثائق القومية بالقاهرة؛ وثيقة وقف قايتباي ٨٨٦ أوقاف؛ وثيقة السلطان الغوري ٨٨٢ أوقاف.

(٥) أي خدشة، وهي من الفعل خمش أي خدش.

(٦) النورة هي حجر الكلس ثم غلب على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره، ويستعمل لإزالة الشعر في الحمام، ويقولون تنور أي تطلى بالنورة.

(٧) المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، ت. ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر بيروت، د. ت.، ص٧٩؛ عبدالرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص١٨.

(٨) عبدالحميد زيدان، التجميل عند قدماء المصريين، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر لسنة ١٩٦٤ – ١٩٦٥، ص١٥.

(9) Pauty (E.). Les Hammams du Caire. Le Caire 1933. p. 10.

(10) EL -khashab (A.M.). Ptolamaic and Roman Baths of Kome EL-Ahmar. Imprimetie de L’Institue Francais d’Archeologi Oriental. Cairo 1979. p. 5.

(11) EL – khashab. Potlamaic and Roman Baths. p. 5

(12) Pauty (E.). Les Hammams du Caire. p. 10.

(13) Pauty (E.). Les Hammams du Caire. p. 11.

(14) Creswell (K.A.C.). Early Muslim Architecture. Oxforrd 1952. p. 275.

(15) EL – khashab. Potlamaic and Roman Baths. p. 18.

(١٦) منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي – مدخل–، منشورات جروس برس، طرابلس – لبنان د. ت.، ص١٦٦.

(١٧) ثروت عكاشة، الفن الروماني، المجلد الأول، ج١٠، الهيأة المصرية العامة للكتاب د.ت.، ص١٨٤؛ سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، الطبعة الأولى، ج٢، جدة ١٩٨٥، ص٣٠٩.

(١٨) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨، ص٢٤٨؛ أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٧٧، ص١٥٧.

(19) Xavier de Planhol. The World of Islam. New York 1959. pp. 22–23.

(٢٠) عبدالجبار ناجي، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية، دراسة نقدية معاصرة، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الرابع سنة ١٩٨٠، ص١٤٩.

(٢١) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٨.

(٢٢) سعاد ماهر، العمارة الإسلامية عبر العصور، ص٣١٠؛ EL-khashsab,Op. Cit., p. 20.

(٢٣) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر عصر الولاة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، ص١٠٧؛ سعاد ماهر، العمارة الإسلامية عبر العصور، ص٣١١؛ فوزي عبدالرحمن الفخراني، حمامات الإسكندرية الرومانية، مقال بمجلة كلية الآداب بالإسكندرية، العدد السادس عشر لسنة ١٩٦٣، ص٢١٣؛ Ibrahim (L.),

Yasin (A.), «ATulinid Hammam in Old Cairo», Islamic Archeaological .Studies. Vol. 3, 1988, pp. 4-5

(٢٤) عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، ص١٣٩.

(٢٥) عبدالرحيم غالب، موسوعة العـمارة الإسلامية، ص١٤٠؛ Michell (g.), .Architecture of the Islamic World, New York, 1973, p. 113

(٢٦) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٦.

(٢٧) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٦.

(٢٨) فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية المجلد الرابع عشر، دار الغد العربي – القاهرة ١٩٨٤، ص٥٣٢.

(٢٩) عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٤٠.

(30) Pauty (E.), Les Hammams Du Caire. Imprimerie De L'institut Francais D'Archeologie orientale, Le Caire 1933, p. 15.

(٣١) سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، ص٣١٩.

(٣٢) عبدالرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص٥٧؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ٢٠٠١، ص٢٧٩.

(٣٣) المناوي، النزهة الزهية، ص٥٨؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عـمارة الحمامات، ص٢٧٩.

(٣٤) المناوي، النزهة الزهية، ص٦١؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عـمارة الحمامات، ص٢٧٩.

(٣٥) المناوي، النزهة الزهية، ص٥٧، ٥٨، ٦١؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٧٩.

(٣٦) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٠.

(٣٧) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٠، ٢٨١.

(٣٨) منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، مشاهد من عراقتها وصور من أفانينها ومأثورها، الطبعة الأولى، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٤، ص٢٢٢.

(٣٩) منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، ص٢٥.

(٤٠) الحلة النارية هي التي يشعل تحتها مباشرة وقود الفرن وهي الملاصقة لجدار بيت الحرارة (الجواني).

(٤١) الحلة الدخانية هي التي يسخن ماؤها من بقايا وقود الحلة النارية الملاصقة لها، وتكون أكثر بعداً عن جدار بيت الحرارة.

(٤٢) كانت بقايا الاحتراق من دخان وهواء ساخن ملوث يمر في مجاري فخارية من القميم مروراً بأسفل أرضية بيت الحرارة (الجواني) ومنه إلى الوسطاني حيث تقام المدخنة والتي كانت تعرف في دمشق باسم الفحل، وكانت تقع في معظم الحمَّامات الدمشقية بين جداري البراني والوسطاني الأول. (معلومات شفهية أفادنا بها الحاج / مروان حمامي، مالك حمام البكري في دمشق).

(٤٣) المناوي، النزهة الزهية، ص٤٤.

(٤٤) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٥.

(٤٥) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٣.

(٤٦) المناوي، النزهة الزهية، ص٥٧؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٣.

(٤٧) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٨؛ منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، ص٢٢٨.

(٤٨) منير كيال، الحمامات الدمشقية، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٨٦، ص٢٢٧.

(٤٩) إيكوشار ولوكور، حمامات دمشق، تعريب ممدوح الزركلي ونيه الكواكبي، ج١، دمشق ١٩٨٥، ص٣٢؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٢٩٩؛ محمد سيف النصر أبوالفتوح، الحمامات بمنطقة بين القصرين وخان الخليلي من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي، بحث ضمن كتاب "الخان الخليلي وما حوله مركز تجاري وحرفي للقاهرة من القرن الثالث عشر إلى القرن العشرين، إشراف سيلفي دونوا وجان شارل ديبول وميشيل توشرير، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٩٩، ص٧٨.

(٥٠) محمد سيف النصر أبوالفتوح، الحمامات بمنطقة بين القصرين وخان الخليلي، ص٩٠، ٩١.
(٥١) منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٢٣٠.
(٥٢) قرآن كريم، سورة الحج، جزء من الآية ٧٨.
(٥٣) (٥٣) محمد عبيد عبدالله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج١،مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٧، ص١٣٣–١٣٤.
(٥٤) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٩٨.
(٥٥) مانع القطان، التشريع والفقه الإسلامي تاريخاً ومنهجاً، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٢، ص١٢١.
(٥٦) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٧.
(٥٧) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٧.
(٥٨) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٣.
(٥٩) ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٤.
(٦٠) ما زال هذا التقليد متبعاً في الحمامات الدمشقية والتركية على وجه الخصوص حتى اليوم، وهومن ضمن التقاليد التي ورثها أهل دمشق ومعظم المدن التركية عن سابقيهم في عملية تنظيف الحمَّامات.
(٦١) السدر هوشجر النبق، ومفردها سدرة، وهونوعان: بري لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقه للغسول، ونوع آخر ينموعلى الماء وثمره هوالنبق ويستخدم ورقه كغسول، وكان يعتقد أن الاستحمام به بركة كبيرة. راجع: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرزي، ت. سنة ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، حاشية ٩؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧٠.
(٦٢) الخطمي له نوعان: بستاني وجبلي وأجوده الأصفر الجبلي الناعم وهوبارد رطب فيه تليين وإرخاء وتحليل، وهوملين للأورام ويحلل الدموية ويسكن وجع المفاصل، وإذا غسل به الشعر نعمه، راجع: ابن جزلة (أبوعيسى يحيى علي بن جزلة ت. ٤٩٣هـ)، كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة، مخطوط بدار الكتب المصرية، طب. حليم ٥، ورقة ٥٨٢؛ ابن البيطار (ضياء الدين عبدالله بن أحمد الأندلسي الملقي، ت. ٤٢١هـ)، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية الشهير بمفردات البيطار، ج١،

طبعة بولاق ١٢٩١هـ، ص٦٣؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦٠، حاشية ١.

(٦٣) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٨.

(٦٤) الخزامى مفردها خزاماه، وهي عشبة طويلة العيدان طيبة الرائحة، راجع: الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، حاشية ١٢.

(٦٥) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧-٨٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤١ – ٢٤٢.

(٦٦) الأتان هوالوقَّاد الذي يزوِّد الأتون بالوقود، راجع: سجع الحمَّام، ص٧، ٨؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧١.

(٦٧) الأفقهسي (شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعي المصري الأفقهسي، ت. ٨٠٨هـ)، كتاب القول التام في آداب دخول الحمام-مخطوط بمكتبة البلدية بالأسكندرية رقم ٧٥٢١/ ٣٨٢٢ج، ص١.

(٦٨) ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٢.؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص ٨٨.

(٦٩) الباقلاء هي البقول العربية واليمانية التي تؤكل، وهي ملينة ومزاجها رطب بارد وهي مائية أكثر من كل البقول وأشد ترطيباً من الخس والقرع وغذاؤها يسير وهي مسكنة للسعال والعطش، راجع: ابن البيطار، المفردات، ج١، ص١٠٣ – ١٠٤؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨.

(٧٠) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧١؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٣.

(٧١) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧٢.

(٧٢) رؤوف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية، مؤسسة الصالحاني للطباعة – دمشق ٢٠٠٦، ص ٢٢٤.

(٧٣) رؤف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء، ص ٢٢٥.

(٧٤) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦١.

(٧٥) منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٣١٤.

(76) Belon (P.), Voyage en Egypte de Pierre Belon Mans 1537, Cairo, 1970, pp. 66-67.

(٧٧) أ. ب. كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ج٢، مطبعة أبوالهول-القاهرة د. ت.، ص٧٨.
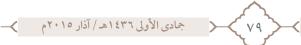
(٧٨) إيكوشار ولوكور، حمامات دمشق، ج١، ص٤٩-٥٠؛ أكرم العلبي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص١٣٣.

(٧٩) أكرم العلبي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص ١٣٤؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٣١٦-١٨.

(٨٠) ابن علوان (علي بن عطية بن علوان الحموي، ت. سنة ٩٣٦هـ)، مصباح الهداية -مخطوط- بمكتبة الأسد بدمشق، رقم ٣٧٦١عام، د. ت.،الورقات ١٣٠-١٣٢.

(٨١) سُمِيَ بذلك لأن حليب النفساء في الأيام الأولى من الوضع -كما يعتقدون- يشكل صمغة مفيدة لغذاء المولود، ولكن قد تصاب النفساء بهروب حليبها فتقوم بعمل "حمام الفسخ" لفسخ الصمغة وتحويلها إلى حليب كامل التكوين. راجع: منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص ٣١٨-٣١٩.

(٨٢) منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص ٣٢٠.

(٨٣) إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، ص ١٠٧؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ١٦٥؛ سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، ص١٨.

(٨٤) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان -تاريخ مصر والشام- حققه وكتب له المقدمة والفهارس والحواشي محمد مصطفى، القسم الثاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٤، ص٣٨٠؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ١٦٥؛ Pauty, Les Hammams du Caire, pp. 3-4.

(٨٥) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ١٧٣؛ دي شابرول، دراسة في العادات والتقاليد، ص١١٠؛ Pauty, Op. Cit., p. 5؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦٦؛ منير كيال الحمامات الدمشقية، ص٣١٤.

(٨٦) معجم العالم الإسلامي، ص٢٥٨؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦٦؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٣١٢.

(٨٧) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦٧.

(٨٨) أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص١٨١؛ سعيد عبدالفاتح عاشور، المجمع المصري في العصر المماليكي، ص٣٧.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

١. ابن الأخـوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت. سنة ٧٢٩هـ) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦.
٢. ابن البيطار (ضياء الدين عبدالله بن أحمد الأندلسي الملقي، ت. ٤٢١هـ)، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية الشهير بمفردات ابن البيطار، ج١، طبعة بولاق ١٢٩١هـ.
٣. ابن جزلة (أبوعيسى يحيى علي بن جزلة ت. ٤٩٣هـ)، كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة، مخطوط بدار الكتب المصرية، طب. حليم ٥، ورقة ٥٨٢.
٤. ابن الحـــاج (الإمام أبوعبدالله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، ت. سنة ٧٣٧هـ) المدخل، أربعة أجزاء، دار الحديث بالقاهرة، القاهرة ١٩٨١.
٥. ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان -تاريخ مصر والشام- حققه وكتب له المقدمة والفهارس والحواشي محمد مصطفى، القسم الثاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٤.
٦. ابن علوان (علي بن عطية بن علوان الحموي، ت. سنة ٩٣٦هـ)، مصباح الهداية - مخطوط - بمكتبة الأسد بدمشق، رقم ٣٧٦١عام، د.ت.
٧. ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت. ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، ج٢، دار المعارف بالقاهرة، د.ت.
٨. أ. ب. كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ج٢، مطبعة أبي الهول - القاهرة د. ت..
٩. أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة

١٩٧٧.

١٠. إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم في القرن ١٩، ترجمة عدلي طاهر مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥٥.

١١. الأفقهسي (شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعي المصري الأفقهسي، ت. ٨٠٨هـ)، كتاب القول التام في آداب دخول الحمام–مخطوط بمكتبة البلدية في الأسكندرية رقم ٧٥٢١/ ٣٨٢٢ج.

١٢. الفيروزبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرزي، ت. سنة ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢.

١٣. الشيرزي (الشيخ الإمام عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله الشيرزي، ت. سنة ٥٨٩هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت – لبنان ١٩٨١.

١٤. المقريزي (تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي، ت. ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر بيروت، د.ت.

١٥. المناوي (الشيخ عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين بن يحيى بن محمد المناوي، ت. ١٠٣١هـ)، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧.

١٦. إيكوشارد ولوكور، حمامات دمشق، تعريب المهندسين: ممدوح الزركلي ونزيه الكواكبي، ج١، دمشق ١٩٨٥.

١٧. ثروت عكاشة، الفن الروماني، المجلد الأول، ج١٠، الهيأة المصرية العامة للكتاب د.ت.

١٨. ج. دي شابرول، دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين (ضمن كتاب وصف مصر)، الطبعة الثانية، ترجمة زهير الشايب، المجلد الأول، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩.

١٩. رؤوف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية، مؤسسة الصالحاني للطباعة – دمشق ٢٠٠٦.

٢٠. سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، الطبعة الأولى، ج٢، جدة ١٩٨٥.

٢١. سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة،

كلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٨٣.

٢٢. عبدالجبار ناجي، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية، دراسة نقدية معاصرة، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الرابع سنة ١٩٨٠.

٢٣. عبدالحميد زيدان، التجميل عند قدماء المصريين، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر لسنة ١٩٦٤–١٩٦٥.

٢٤. عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨.

٢٥. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية المجلد الرابع عشر، دار الغد العربي – القاهرة ١٩٨٤.

٢٦. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر عصر الولاة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤.

٢٧. فوزي عبدالرحمن الفخراني، حمامات الإسكندرية الرومانية، مقال بمجلة كلية الآداب بالإسكندرية، العدد السادس عشر لسنة ١٩٦٣.

٢٨. مانع القطان، التشريع والفقه الإسلامي تاريخاً ومنهجاً، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٢.

٢٩. محمد سيف النصر أبوالفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية العصر المملوكي، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب–جامعة أسيوط ١٩٨٠.

٣٠. محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨.

٣١. محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ٢٠٠١.

٣٢. محمد عبيد عبدالله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج١،مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٧.

٣٣. منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي – مدخل–، منشورات جروس برس، طرابلس – لبنان د. ت.

٣٤. منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، مشاهد من عراقتها وصور من أفانينها ومأثورها، الطبعة الأولى، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية

35.Belon (P.), Voyage en Egypte de Pierre Belon Mans 1537, Cairo, 1970.
36.Creswell (K.A.C.), Early Muslim Architecture, Oxforrd 1952.
37.EL-Ahmar, Imprimetie de L'Institue Francais d'Archeologi-Oriental, Cairo 1979.
38.Ibrahim (L.), Yasin (A.), "ATulinid Hammam in Old Cairo", Islamic Archeaological Studies. Vol. 3, 1988.
39.Michell (g.), Architecture of the Islamic World, New York, 1973.
40.Pauty (E.), Les Hammams du Caire, Le Caire 1933.
41.Pauty (E.), Les Hammams Du Caire, Imprimerie De L'institut Francais D'Archeologie orientale, Le Caire 1933.
42.Xavier de Planhol, The World of Islam, New York 1959.

الأشكال:
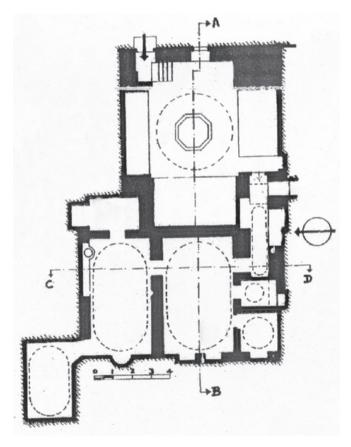
شكل رقم (١) نموذج للحمامات العثمانية في المدن الإسلامية
نقلاً عن: **Ecochard, Op. Cit., p.90.**
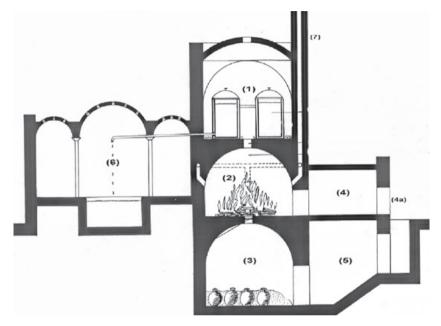
شكل رقم (٢) مقطع رأسي للمستوقد بالحمامات القاهرية.

غرفة الحرارة، وجفنات التسخين. (٢) غرفة الاحتراق. (٣) غرفة تجميع الرماد وبقايا الاحتراق. (٤) غرفة خزين الوقود. (٤a) باب يوصل إلى خارج الحمام. (٥) غرفة سفلية توصل إلى غرفة تجميع الرماد. (٦) وحدات الحمام الساخنة. (٧) المدخنة.

نقلاً عن: محمد سيف النصر أبي الفتوح، الحمامات في منطقة بين القصرين وخان الخليلي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ١٩٩٩.
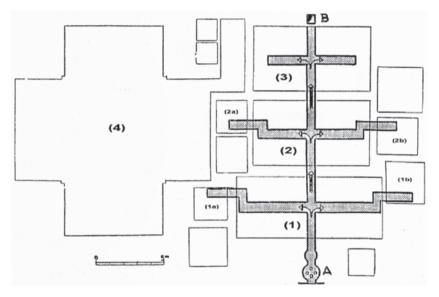
شكل رقم (٣) رسم يوضح ممرات التسخين السفلية بحمامات دمشق.

(A-B) ممر بيت النار، وهوقادم من بيت النار حتى نهاية

قاعة الوسطاني الأول.

قاعة الجواني. (١a)، (١b) مقاصير ملحقة بقاعة الجواني.

قاعة الوسطاني الثاني. (٢a)، (٢b) مقاصير ملحقة بقاعة الوسطاني الثاني.

قاعة الوسطاني الأول. قاعة البراني.

نقلاً عن: إيكوشار، حمامات دمشق، ج١.
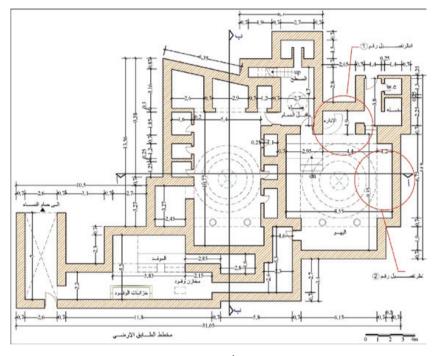
شكل رقم (٤) المسقط الأفقي لحمام السيد سعيد الشروفي.

نقلاً عن شركة ذي شأن الهندسية للمقاولات الإنشائية - كربلاء المقدسة.

اللوحات: جميع اللوحات من تصوير الباحث خلال الزيارات الميدانية لمختلف المدن الإسلامية.
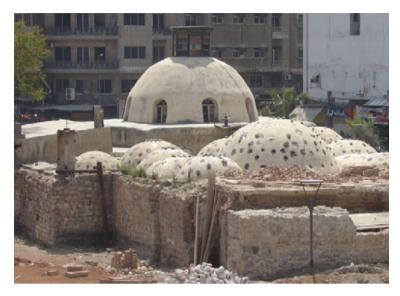
صورة رقم (١) نموذج لحمام دمشقي يوضح القباب التي تغطي قاعات الحمامات.

صورة رقم (٢) قاعة البراني (المنزع اوالمخلع) في أحد الحمامات العثمانية في مدينة نابلس.

صورة رقم (٣) نموذج لأحد الإيوانات المطلة على القاعة الوسطى في المنزع لأحد حمامات طرابلس-لبنان.

صورة رقم (٤) نموذج يوضح التقاء أرجل العقود لتكوين المثلثات الكروية الحاملة للقبة في حمام دمشقي.

صورة رقم (٥) نوافذ مفتوحة في رقبة قبة تعلو الجواني لأحد حمامات الشام.

صورة رقم (٦) نموذج لفتحات الإضاءة (القماري) لإحدى قباب حمامات دمشق.

صورة رقم (٧) نموذج لقاعة الوسطاني في الحمام الدمشقي في العصر العثماني.

صورة رقم (٨) قاعة الجواني لأحد الحمامات العثمانية في الشام.

صورة رقم (٩) قاعة الجواني ابحمامٍ عثماني في مدينة القاهرة.

صورة رقم (١٠) نموذج للمغطس الذي كان يلحق بقاعة الجواني في حمامات العصر العثماني في القاهرة.

صورة رقم (١١) قاعة الجواني لأحد حمامات مدينة قيصري في تركيا.

صورة رقم (١٢) نموذج لمناطق الانتقال والقبة في قاعة الجواني
لأحد حمامات اسطنبول في تركيا.

صورة رقم (١٣) قبتا حمام الشروفي في كربلاء.

صورة رقم (١٤) قاعة المنزع اوالمخلع في حمام الشروفي.

صورة رقم (١٥) قبة قاعة المنزع اوالمخلع في حمام الشروفي.

صورة رقم (١٦) الجانب الشرقي في قاعة الجواني - حمام الشروفي.

صورة رقم (١٧) الجانب الجنوبي لقاعة الجواني – حمام الشروفي.

صورة رقم (١٨) الجانب الشمالي لقاعة الجواني – حمام الشروفي.

صورة رقم (١٩) الجانب الغربي لقاعة الجواني - حمام الشروفي

صورة رقم (٢١) المغطس الملحق بقاعة الجواني - حمام الشروفي

صورة رقم (٢٠) مقصورة (خلوة) في الركن الجنوبي الشرقي لقاعة الجواني – حمام الشروفي
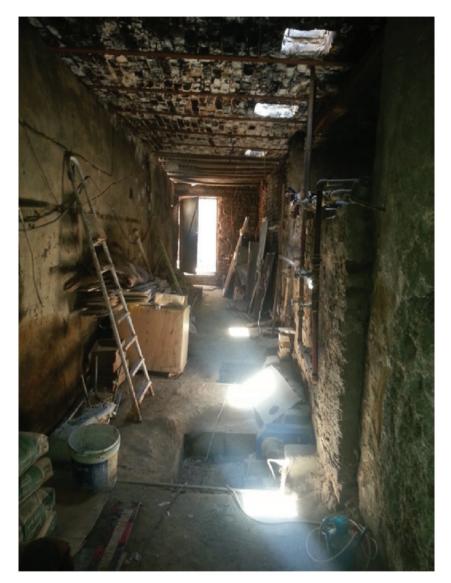
صورة رقم (٢٢) ممر يتقدم المستوقد الملحق بحمام الشروفي

صورة رقم (٢٣) قاعة البراني (المنزع) حمام البغدادي – كربلاء

صورة رقم (٢٤) إحدى القبتين في قاعة البراني – حمام البغدادي

صورة رقم (٢٥) عقود وأسقف قاعة الوسطاني – حمام البغدادي.

صورة رقم (٢٦) قبة قاعة الوسطاني – حمام البغدادي في كربلاء.

أحلام اليقظة وعلاقتها بموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية في كربلاء المقدسة

Daydreams and their Relation with control Point for Preparatory female Students in Holy Karbala

م. د. علي عبدالكريم
مها عطاالله عريبي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم العلوم التربوية والنفسية

Lecturer Dr. Ali Abdul - Kareem Al-Ridha
Maha Ata AllahAraiby
Karbala University
College of Education for Human Sciences
Dept. of Psychology and Educational Sciences

الملخص

يهدف البحث إلى قياس أحلام اليقظة (بنوعيها الايجابية والسلبية) لدى طالبات المرحلة الإعدادية وقياس موقع الضبط (الداخلي – الخارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية، ومعرفة العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط (الداخلي – الخارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

وقد تبنى الباحثان مقياس القرشي (٢٠٠٢) لأحلام اليقظة ومقياس صالح (٢٠٠٤) لموقع الضبط وقبل استخدام المقياسين، تم التأكد من خصائصهما السايكومترية اللازمة والضرورية لتطبيقها على عينة البحث، وتألفت عينة البحث من (١٢٠) طالبة تم سحبهنّ بطريقةٍ عشوائية من طالبات الإعدادية في كربلاء المقدسة، وتوصّل البحث إلى النتائج الآتية:

أن طالبات المرحلة الإعدادية يتمتعن بأحلام يقظة ايجابية.

أن طالبات المرحلة الإعدادية يتمتعن بموقع ضبط داخلي.

لا توجد علاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

وقد انتهى البحث بعدد من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات.

Abstract

The research aimed at measuring the daydreams (both positive and negative) for preparatory female students and the control point (position) (internal- external) for female preparatory students.

The two researchers adopted al-Quraishy measurement (2002) of daydreams and Salih measurement (2004) of control point before using the measurement. and after checking its appropriate and necessary psychometric characteristics so as to apply them on the sample of the research. The sample of the test consisted of (120) female students randomly chosen from preparatory school students in holy Karbala. The research came out with the following results:

The Preparatory school female students are characterized by positive daydreams.

The preparatory school female students.

The Preparatory school female students are characterized by internal control point.

The preparatory school female students.

There is no relation between daydreams and the control point for preparatory school female students. The research ended with some results, recommendations and suggestions.

الفصل الأول

مشكلة البحث:

يشهد العالم عامة والعراق خاصة تطورات وتغيرات سريعة شملت مجالات الحياة المختلفة، وقد سعت مختلف الشعوب على مواكبة هذه التطورات وبناء مجتمعاتها، فأصبح الإنسان المحور الأساسي في تلك التطورات، وفي ظل تأثير هذه التحولات والتغييرات التي يواجهها الفرد باستمرار على تفكيره ونمط سلوكه وشخصيته، تكتسب دراسة الشخصية بجوانبها المتعددة اهتماماً واسعاً في ميدان علم النفس (شلتز، ١٩٨٣: ص ٨) وذلك لان هذه التغيرات قد تؤدي إلى صراعات بين ما يحمله الفرد من أحلام وأفكار وقيم وعادات وتقاليد واتجاهات وبين ما يواجهه الفرد من مظاهر ومصاعب العصر الوافدة إلى المجتمع والتي تستوجب من الفرد التعامل معها باعتبارها من متطلبات الزمن الراهن، ولكن ليس الكل قادراً على المواجهة فالبعض قد يتهرب منها باللجوء إلى تبريرات غير منطقية تلقي بالتبعات على أسباب خارجية لا علاقة له بها أوداخلية يوجه اللوم فيها إلى ذاته وهناك من يهرب منها إلى عوالم يبتكرها ليجد فيها سلوى عن ما لا يستطيع مواجهته، ذلك من خلال أحلام يعيشها حتى في اليقظة.

إن الفرد يجد في أحلام اليقظة عزاءهُ وسلواه وخلاصه من القلق الناتج

عن إحباط دوافعه، وقد يحقق الفرد الأهداف ويهرب من الأحداث المحبطة والمقلقة بتخيل أو توهم ما كان ينبغي أن يكون (دافيدوف، ١٩٨٣: ص٦٢٧) أي إرضاء رغبات وحاجات لم يستطع الفرد إرضاءها في عالم الواقع، ويُخطط للمستقبل الذي يطلبه الحالم ويعجز عن بلوغه (راجح، ١٩٦٤: ص١٢٠)، إذ ان معظم الناس يمارسون أحلام اليقظة، إلا أن الأسوياء يتخذون منها نوعاً من التسلية أوالتخطيط للمستقبل عبر الخيال المنطلق، وهي طريقة غير مؤذية لتحصيل بعض الإرضاء بوساطة الهروب الوقتي من الواقع؛ كما أننا نجد من علماء النفس من لا يرى في أحلام اليقظة خطراً كبيراً، في حين يقف بالضد منهم آخرون يقرعون نواقيس الخطر ويوجهون الانتقادات إلى أحلام اليقظة وسلوك التخيل بوصفه إرضاء وتعويضاً صرفاً محدداً أومقتصراً على الأشخاص المضطربين مثل(وايت، ١٩٦٤ White) و(سنجر، ١٩٧٦ Singer)، ذلك أن أحلام اليقظة هي ما يشغل به الفرد من أفكار وخيالات خلال المدد أوالمراحل التي تمثل هبوطاً في درجات وعيه وسيطرته على الواقع. ولوأمكن متابعة الزمن الذي يقضيه الناس في حالات كهذه خلال ساعات اليقظة في اليوم لوجد بأنهم يقضون الجزء الأكبر من اليقظة في غفلة إما جزئية أوكلية عن الواقع، الداخلي منه أوالخارجي (كمال، ١٩٩٠: ص٤٩٦) أي أنهم بشكل أوبآخر يبددون أوقاتٍ كان بالإمكان استثمارها لصالحهم بدل إهدارها، وطلبة المرحلة الإعدادية هم أكثر من يقع في دوامة أحلام اليقظة خاصة، وأنهم في أوج مرحلة المراهقة وعلى أعتاب النضج وتحمل المسؤولية هذا فضلا عن أنهم في نهاية مرحلة دراستهم الإعدادية والتي في ضوء النتائج التي يحصلون عليها فيها يتحدد مستقبلهم

الدراسي والمهني، فالطلبة بين طموح وانطلاق يغذيه الخيال الجامح مع كل نجاح يحصل عليه الطالب، يقابله يأس وإحباط يصاب به الطالب نتيجة لأي إخفاق في نتائجه.. وهكذا فالطلبة هم فريسة لهذا التذبذب، ولكن متى تكون هذه الأحلام مصدرا للجهد والاجتهاد، وهل تخضع دوما للتخطيط والاستعداد السليم، أم هي خيالات جامحة لا تستند لأسس منطقية سليمة، بل هي أقرب إلى الأوهام والتمنيات غير الواقعية، هذا ما يحدده الفرد نفسه، فإن كان يتحمل نتائج أعماله بغض النظر عن كونها ايجابية أوسلبية، ويقوم بتعزيز الإجراءات التي قادته إلى النتائج الايجابية ويحاول تجنب وإصلاح الأسباب التي تختلف عن أهدافه فبهذا يكون يتحمل مسؤولية أعماله ويعتقد بدوره في الوصول اليها وان ما يناله ثواباً أوعقاباً هونتيجة قيامه بدوره إيجابا أوسلبا، وعليه يكون هذا الفرد شخصاً يعول عليه كونه وضع نفسه على المسار الصحيح للاضطلاع بالمسؤولية والقيام بالواجبات التي تلقى على عاتقه، وهذا ما يكشف عنه ويحدده لنا موقع هذا الفرد بالنسبة لموقع الضبط، خاصة وأن موقع الضبط يعد أحد المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الفرد في تفسير ما يواجهه من مواقف، وإدراك أسباب حدوثها، إذ يرجع ذلك إما لعوامل داخلية تتعلق بشخصيته كالمهارة والجهد، أي انه مسؤول عما يحدث له أولعوامل الصدفة والحظ والقدر وقوى الآخرين، أي انه تحت سيطرة قوى خارجية لا يستطيع التأثير فيها. (الدليمي، ١٩٨٩: ص ١٧) وعليه يرى الباحثان أن التوقعات الداخلية مطلب جوهري يجب توفره ليتعلم الفرد سلوكاً كفوءً، ولكي تعزز قدرة الأفراد في التعامل مع العالم الخارجي بنجاح، مما يترتب على المرء أن يؤثر بتوقعاتهم المعممة حول

إدراكهم لمصادر التعزيز في حياتهم وتغييرها باتجاه الضبط الداخلي عن طريق التدريب والخبرات والمواقف الجديدة، لتساعدهم على تذليل الصعاب والتغلب على ما يواجههم من تناقضات في تقبل البيئة المحيطة بهم، فأحلام اليقظة تبدوكمؤشرات للسلوك ومحددات لكيفية تصرف الفرد واقعياً في حياته اليومية، وكيفية تقييمه لإنجازاته من نجاح أوفشل في ضوء ما لديه من استعدادات أوقدرات والذي يتمثل بموقع الضبط (الداخلي-الخارجي).

انطلاقاً مما تقدم يأتي البحث الحالي محاولة علمية للكشف عن أحلام اليقظة وعلاقتها بموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية بهدف تنمية وتعزيز الاتجاهات الإيجابية لأحلام اليقظة لديهنّ وبما يعزز جوانب التخطيط لبناء مستقبل واعد تتجاوب مع أصداء التغيير والتطور في المجتمع، ولاسيما أن مجتمعنا العراقي الذي يمر بمرحلة تحولات اجتماعية واقتصادية وقيمية لا يتحمل فقدان بعض طاقات شبابه، ولا فقدان مهاراتهم أوكفايتهم نتيجة تعرضهم للضغوط والمشكلات النفسية والاجتماعية، فضلاً عن أن التراث النفسي العربي عامة والعراقي خاصة على حد علم الباحثان يفتقر إلى مثل هذه الأنواع من البحوث العلمية.

وعليه ارتأى الباحثان أن يحددا مشكلة بحثهما بالعنوان التالي: «أحلام اليقظة وعلاقته بموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية في كربلاء المقدسة»

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث الحالي في الآتي:

١. إن البيانات التي سيتمخض عنها البحث الحالي ستشكل منطلقا لبحوث أخرى في هذا المجال وبما يمثل إضافة معرفية.

٢. تناول البحث لموضوع مهم هو"موقع الضبط" ذلك الموضوع المرتبط بالتكيف الاجتماعي للفرد وكذلك تناول "أحلام اليقظة" مما يتيح للجهات التربوية الاستفادة من نتائج البحث الحالي في تطوير شخصية الطالبات وزيادة قدرتهن على الإبداع وتقليل هامش التشتت.

٣. استهدف البحث طالبات المرحلة الإعدادية وهم الغرس الذي يعول عليه لمستقبل وتطور المجتمع.

٤. إن ميدان البحث ميدان بكر إذ لا يوجد بحث -بحسب علم الباحثين- أجري في العراق وبهذا الخصوص والتحديد الأمر الذي يضفي على البحث الحالي أهمية واضحة.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

١. قياس أحلام اليقظة (بنوعيها الايجابية والسلبية) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.
٢. قياس موقع الضبط (الداخلي - الخارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.
٣. معرفة العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط (الداخلي - الخارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

حدود البحث:

يقتصر البحث على الآتي:

١. مقياس أحلام اليقظة (بنوعيها الايجابية والسلبية) ومقياس موقع الضبط (الداخلي - الخارجي).

٢. طالبات المرحلة الإعدادية في ناحية الحسينية - كربلاء.

٣. العام الدراسي (٢٠١٣-٢٠١٤).

تحديد المصطلحات:

أ. أحلام اليقظة. عرفها كل من:

أولا: (نايت ونايت، ١٩٦٥): «آلية شاملة نميل دائماً فيها للانسحاب من العالم الواقعي واللجوء إلى عالم من الأوهام أسلس قياداً وأكثر إثارة على الرغم من أنها أكثر واقعية وأقل إيهاما من أحلام النوم». (نايت ونايت، ١٩٦٥: ص٣٢٤).

ثانيا: ليند (Linde 1968): «عملية بعيدة عن التفكير العقلاني أوالنظامي مرتبطة بالاعتقاد بأن المستغرق فيها يقوم بتعويض أواستبدال الارضاءات الخاصة بهذه الأحلام بدل تلك التي ترفض أن تمنحه إياها (بشكل وقتي أودائمي) مقتضيات أومتطلبات الحياة». (Linde et. al., 1968, P. 125).

ثالثا: رزوق (١٩٧٧): «نوع من التخيلات أوسلسلة من الصور الخيالية والحوادث المتخيلة التي تمر في خيال المرء عندما يترك العنان لعين عقله لكي تنتقل على غير هدى بين الصور السارة، فتشبع بذلك الرغبات التي بقيت من دون اشباع في الحياة الحقيقية وعلى صعيد الواقع، يستسلم المرء لها أحيانا بوصفها وسيلة للهرب من واقعه». (رزوق، ١٩٧٧: ص١٥).

رابعا: الهابط (١٩٨٥): «هروب الفرد من عالم الواقع الذي لم يتمكن فيه من اشباع رغباته وحاجاته إلى عالم الخيال الذي يستطيع فيه ان يحقق ما يعجز عنه في

الواقع». (الهابط، ١٩٨٥ :ص٣٨).

خامسا: سنجر (Singer 1990): «خبرة واعية تتميز بحقيقة إبعاد الحالم اليقظ عن هنا والآن الى زمن ما آخر أومكان آخر». (Singer, 1990, P. 17).

سادسا: كلنجر (Klinger 2000): «جزء من تدفق الأفكار والصور التي تشغل معظم ساعات يقظة الفرد، وافكار تلقائية غير موجهة اوغير مستجيبة تمر بالوعي وتكون غير ملزمة بغرض واضح كما أنها تمثل قصصاً استطرادية ذهنية خيالية تدور بشأن الانجازات الخاصة وأعمال الإنقاذ البطولية والهروبات المدهشة والأعمال الرياضية غير الواقعية أوفوق الطبيعية والهروب الرومانسي أوالجنسي والافعال العدوانية غير المحتملة». (Klinger, 2000, P. 2).

سابعا: (القريشي ٢٠٠٢) «عملية تفكير غير موجَّه تؤدي إلى تحويل انتباه الفرد بعيداً عن مهمات جسمية أوعقلية مستمرة ولجوئه إلى سلسلة من الأفكار أوالخيالات تبعده عن الموقف الحالي إلى زمان ومكان مغايرين». (القريشي ٢٠٠٢: ص٧).

تبنى الباحثان تعريف (القريشي ٢٠٠٢) لأحلام اليقظة كتعريف نظري كونه الأقرب لواقع هذا البحث.

أما التعريف الإجرائي لأحلام اليقظة فهو الآتي:

الدرجة التي يحصل عليها المُجيب على مقياس أحلام اليقظة الذي تم تطبيقه في البحث الحالي.

ب. موقع الضبط: **(Locus of Control)**[1]. عرفه كل من:

أولا: (روتـر-١٩٦٢) «هوتوقع معمم بالنسبة للطريقة التي يمكن بها تفسير الأحـداث وهوامتداد ذوطرفين، فالأفراد ذوومركز الضبط الداخلي (Internal control) يميلون لاعتبار جهودهم مسؤولية عن حدوث (التعزيز)، في حين أن الأفراد ذوي الضبط الخارجي (External control) يعزون هذه المسؤولة للحظ أوالصدفة (Luck or chance) وقد يعزونها لتعقيدات الحياة. (روتر، ١٩٦٢: ص٤٣).

ثانيا: (ليفكورت-١٩٧٦) «توقع معمم للتعزيز فالضبط الداخلي يشير إلى إدراك الحوادث سوءً كانت إيجابية أم سلبية على أنها نتيجة أفعال الفرد وسيطرته الشخصية، أما الضبط الخارجي فيشير إلى إدراك الحوادث الإيجابية والسلبية على أنها لا ترتبط بسلوك الفرد وهي على ذلك تقع خارج سيطرته الشخصية. (ليفكورت، ١٩٧٦: ص٢٩).

ثالثا: (نيومان-١٩٧٩) «يكون الفرد داخليا إذا أدرك انه يستطيع أن يسيطر على نتائج سلوكه، ويكون الفرد خارجيا اذا أدرك أن العالم معقد لدرجة تصل من الصعوبة الى التنبؤ به. (نيومان، ١٩٧٩:ص١٠٣٥).

تبنى الباحثان تعريف (روتر) باعتبار أنه تعريف واضع النظرية ويتوافق مع موضوع البحث الحالي.

التعريف الإجرائي: هوالدرجة التي يحصل عليها المُجيب على مقياس موقع الضبط (داخلي-خارجي) الذي تم تطبيقه في البحث الحالي.

الفصل الثاني

أولا. الإطار النظري

المبحث الأول: أحلام اليقظة:

أحلام اليقظة ظاهرة مألوفة ترافق الجميع في مراحل حياتهم المتعاقبة، الأطفال يتكلمون عنها بصراحة وفرح والمراهقون يتمنون تحقيقها، ولكن عند البلوغ والرشد يميل الإنسان إلى نكرانها وإخفائها خشية التعرض للسخرية كونها تبتعد بدرجة أوبأخرى عن الواقع، أحلام اليقظة تعد من العمليات التي تؤدي وظائف مهمة في حياة الإنسان وتكيفه وتغني وجوده وتمد بأفقه إلى مستقبل مجهول أوماضٍ بعيد أوفكرة أورغبة بعيدة المنال، وليجني من الحياة أفضل ما فيها وليكون سيد المخلوقات بذكائه وخياله وتفكيره ولغته، وليترك فجوة كبيرة بينه وبين باقي المخلوقات حتى الحيوانات الراقية في سلم التطور، فبّين بدائية عقل الحيوان وعقل الإنسان الراقي تتمثل العمليات العقلية لتؤكد رقي عقل الإنسان وآفاقه الرحبة، وعلى الرغم من اهتمام علماء النفس بالعمليات العقلية إلا أنه مع ذلك كانت حصة أحلام اليقظة من الاهتمام قليلة لدى علماء النفس في النصف الأول من القرن الماضي، حتى جاء عقد الستينيات من القرن الماضي وقبله بقليل ليؤكد خطأ تجاهل الخبرات الداخلية ومن ضمنها أحلام اليقظة،

ومع ذلك فالاهتمام الجدي الحقيقي بأحلام اليقظة بدأ في نهاية عقد السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين، فالشخص قد يجد في حلم اليقظة عزاءهُ وسلواه وخلاصه من القلق الناتج عن إحباط دوافعه، وقد يحقق الفرد الأهداف ويهرب من الأحداث المحبطة والمقلقة بتخيل أوتوهم ما كان ينبغي أن يكون (دافيدوف، ١٩٨٣: ص٦٢٧) أي إرضاء رغبات وحاجات لم يستطع الفرد إرضاءها في عالم الواقع، ويُخطط للمستقبل الذي يطلبه الحالم ويعجز عن بلوغه (راجح، ١٩٦٤: ص١٢٠)، إذ ان معظم الناس يمارسون أحلام اليقظة، إلا أن الأسوياء يتخذون منها نوعاً من التسلية أوالتخطيط للمستقبل، والخيال المنطلق، وهي طريقة غير مؤذية لتحصيل بعض الإرضاء بوساطة الهروب الوقتي من الواقع (Morgan & King, 1975, P. 481) وأحيانا قد يسعى الشخص جاهداً إلى تحقيق هذه الصورة الرائعة القوية التي كونها عن نفسه في خياله والتي أسقطها على ستار المستقبل، وكثيراً ما يحاول ان يحاكي في ميدان عالمه الخيالي تلك الشخصيات القوية التي تركت في نفسه أثراً كبيراً، فضلاً عن محاكاته للصورة التي رسمها عن نفسه (مراد، ١٩٦٩: ص٢٦٩). وبذلك يكون للتخيل وبضمنه أحلام اليقظة وظيفة مهمة في توافق الفرد وفي زيادة الانجاز، فالتوافق الفعّال ليس ممكناً دائماً، وفي حالة كهذه يلجأ الفرد إلى التعويض عن طريق الأعمال الخيالية (برنهارت، ١٩٥٩: ص٢٦٠) وهنا لا تُعد أحلام اليقظة دليلاً على اضطراب نفسي، فالطالب الطموح الذي يتطلع لتكملة دراساته العليا يشعر وأنّ عليه بذل المزيد من المجهود للحصول على درجات مرتفعة، وعندما يتخيل ما يتمتع به من مكانة اجتماعية مرموقة (في أحلام اليقظة) فإن

ذلك يخفف من احباطاته الحالية التي تواجهه (الزيادي، ١٩٧٢: ص٤٠١) وقد وجد (ريجلاك ١٩٧٣ Rgchlak)، أن الشباب الأكثر استقراراً من ناحية عاطفية أوانفعالية ينتجون خيالات أكثر ايجابية عن أحداث المستقبل من الطلبة غير الأسوياء (Singer, 1975, P. 734) ولكن على الرغم مما ذكر فيما يخص الاتجاه الايجابي في أحلام اليقظة، إلا انه مع هذا فإن الإمعان في الخيال بشكل عام واللجوء إليه باستمرار يؤدي إلى ان يصبح الخيال هوالبديل للواقع، وهذا يهيئ لعملية تتسم بخداع النفس وخلق عالم خيالي واهم تسكنه النفس وحدها من دون الآخرين (كمال، ١٩٩٠:ص٥١٨). فأحيانا يجد الفرد الذي تنتابه أحلام يقظة كثيرة أن إبداعاته الوهمية أكثر إرضاء من الواقع ومن ثم ينسحب من الحياة الفعلية (دافيد وف، ١٩٨٣: ص٦٢٧). إن الإغراق في الخيال يعرض الفرد لخطر الانجراف والإفلات من الصلة بالواقع الحياتي، وما ينتج عن ذلك لا ينحصر في القعود أوالفتور عن متابعة واقع الحياة مما يؤدي إلى إنقاص وتهديد لحاجات البقاء وإنما من الممكن أن يزيد من حدة الاضطرابات العاطفية، وممكن أيضا أن يزيد من البعد الذي يفصل الواقع عن الخيال وان يجعل قبول الواقع أمرا صعباً احتماله والتعايش معه (كمال، ١٩٩٠: ص٥١٨). وقد أشارت دراسات عديدة تناولت موضوع التخيل مثل دراسة (ريتشارد سون 1969 Richardson)، ودراسة (بايفيو ١٩٦٩ Paivio)، ودراسة (بياجيه وانهلدر Piaget & Inheldeer 1979) إلى أن التخيل المرضي الذي يحدث في أحلام اليقظة، هوعلى العكس من التخيل المقيد، وله ان يحجب الفرد عن واقعه ويعزله عن الحياة (حسين، ١٩٩٩: ص١) ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذا النوع من

التخيل (التخيل المرضي) والمقصود به التخيل الحر على ما يبدو، هو احد مسببات النظرة المرضية (Pathological) لأحلام اليقظة، وهذا ما يوضح مشكلة البحث الحالي بشكل مباشر، حيث أشار)مورجان- (Morgan) إلى أن الخيال المنطلق (Fantasy) وأحلام اليقظة نادراً ما تقود الى تصرف فعلي استدلالي أواستنتاجي (Morgan & King, 1975, P. 481) بينما ركز (وايت) على أن أحلام اليقظة المفرطة أوالغريبة (الشاذة) المحتوى لا تعد هي القضية، بل بالأحرى هي نتيجة لسوء التوافق العام والشخصي والاجتماعي (Wagman, 1967, P. 329). أما (الشماع) فيرى أن ضعاف الشخصية ينغمرون في هذه الأحلام فيبتعدون عن الواقع أوتنفصم عراهم عن الواقع ومن ثم يؤدي بهم هذا الأمر إلى الفشل في التكيف (الشماع، ١٩٥٠: ص١٨٤) مما سبق نستدل على أن أحلام اليقظة لها جانبان احدهما ايجابي، إذا ما كانت سببا للتخطيط للمستقبل وشكلت عاملا لدافعية الفرد وزيادة طموحاته وبالعكس يكون جانبها الآخر حين تكون بديلا للواقع المر والهروب منه.

المبحث الثاني: وجهة نظر (روتر - Rotter):

يرى (روتر) أنه في أحيان كثيرة عندما يعطى الفرد قيمة عالية لبعض الأهداف، كالرغبة بالمعرفة أوالرغبة بالرعاية مثلاً، فإنه قد يمتلك في الوقت نفسه توقعات واطئة عن إنجازه لهذه الأهداف، ذلك أنه قد تعلّم أن يتوقع العقاب، أوالفشل، أوالرفض عند محاولته تحقيق هذه الرغبات (على سبيل المثال، التلميذ الذي يرسب على الدوام في المدرسة)، فعندما يحدث هذا، يتعلم الشخص عادةً

سلوكيات أخرى لتجنب العقوبات بحد ذاتها، ويحاول أن يحصل على إشباع لرغباته بوسائل غير واقعية، كممارسة أحلام اليقظة أواستخدام أساليب رمزية تكون بالنسبة له فقط لا لغيره بمثابة تحقيق للإشباع. وتعد هذه السلوكيات غير الواقعية متعلمة، وهي تكوّن ما جرت العادة على وصفه بأعراض السلوك غير السوي (Abnormal Behavior). وعلى أساس هذه الرؤية، فإن السلوك غير السوي ليس مرضاً أوإضطراباً، بل محاولة ذات معنى لتجنب عقوبات معينة أوللحصول على إشباعات معينة عند مستوى غير واقعي (Rotter, 1971, P. 59) وهوما أطلق عليه (روتر) مصطلح (موقع الضبط) والذي تمحورت نظريته حوله، حيث يعد مفهوم موقع الضبط من المفاهيم الحديثة نسبياً في الدراسات النفسية ويعد من الأبعاد الهامة لدراسة الفروق الفردية في شخصية الأطفال والراشدين ولهذا وجه علماء النفس اهتمامهم إليه والتعمق في دراسة جوانبه خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، يقول (روتر) «أن موقع الضبط مرتبط باعتقاد الفرد بأن لديه القدرة على السيطرة في الأحداث والأفعال الخاصة بحياته الشخصية بموقع الضبط الداخلي، بينما يرتبط اعتقاد الفرد بأن ليست لديه القدرة على السيطرة في الأحداث والأفعال الخاصة بحياته بموقع الضبط الخارجي» (كورسين، ١٩٨٦: ص١٥) أي بشكل أو بآخر فان هذه النظرية تصنف الدافعية أوالإثـارة إلى موقعين أوتعزوها إلى مجموعتين من الاسباب هما أسباب داخلية وأسباب خارجية، وإن كانت تعد نظرية في التعلم الاجتماعي والتي طرحت مفهوم موقع الضبط (Control Locus of) والتي في ضوئها يرجع الأفراد أسباب نجاحهم في الحياة أوفشلهم إلى أسباب يتحملون

مسؤولياتها، وهؤلاء هم الذين يكون موقع الضبط لديهم (داخليا)، أي يرده إلى (أسباب داخلية)، أما الذين يرجعون أسباب نجاحهم في الحياة أوفشلهم إلى (أسباب خارجية) فيبحثون عن تفسيرات خارج أنفسهم وهؤلاء هم الذين يكون موقع الضبط لديهم (خارجيا)، ولقد أدت هذه النظرية إلى فهم مثمر في تفسير دافعية السلوك على أساس (مركز الضبط) وتحاول هذه النظرية تفهم السلوك الاجتماعي للإنسان والكشف عن العوامل المؤثرة فيه، وهي محاولة تجمع بين اتجاهين في علم النفس هما (الاتجاه السلوكي القائم على المثير – الاستجابة، والاتجاه المعرفي أوالنظرية المجالية). (جون، ١٩٧٨: ص١٠٧) هذا من جانب ومن جانب آخر فهي تتناغم مع نظرية التعلم الاجتماعي التي وضع ركائزها الأساسية (جوليان. بي. روتر – عام ١٩٥٤) سعت للتنبؤ بسلوك الفرد في المواقف الاجتماعية المعقدة بحيث يحدث تكاملا بين ثلاث عناصر هي: (السلوك، المعرفة، الدافعية). (حسن، ١٩٨٥: ص٢٧٣) حيث تؤكد النظرية على أنماط السلوك التي يجري تعلمها والتي تتمدد في الوقت نفسه بفعل متغيرات التوقع (المعرفة) وقيمة التعزيز (الدافعية)، وإن هذه المتغيرات تتأثر بفعل سياق الموقف الذي تحدث فيه، ولذلك تجمع نظرية (التعلم الاجتماعي) الخطوط المتنوعة للنظرية السلوكية ونظرية المعرفة ونظرية الدافعية ونظرية المواقف في إطار ثابت، كما أنها ربطت بين مفاهيم التعزيز والتوقع في إطار واحد في حين أن كل مفهوم لوحده يظهر قصورا حادا وأن اتحاد المفهومين في نظرية واحدة يجعل منهما أدارة قوية في خدمة (التنبؤ) (روتر، ١٩٦٢: ص ٢٠٤-٢٠٨) إن الفرد الذي يكون قادراً على تحديد سلوكه في الماضي سيتوقع ضبطاً داخليا

مماثلاً لدى معظم المواقف المستقبلية ذات الطبيعة المماثلة، في حين أن الضبط الخارجي للمواقف المستقبلية لدى الفرد الذي أدرك أسباب سلوكه السابق تقع في خارج سيطرته.(براون، ١٩٧٢:ص ٦٥) إن الأفراد ذوي الضبط الداخلي يكونون قادرين على التوجه الذاتي دون مجهود كبير بينما يحتاج ذو موقع الضبط الخارجي دائما إلى (المكافآت الخارجية والتشجيع) من اجل تحقيق نتائج أفضل. (ايوبة، ١٩٧٢: ص٩).

إن الأفراد من ذوي الضبط الداخلي يقاومون التأثير فيهم وأن المتوجهين خارجيا يتأثرون بأفكار ومعتقدات الآخرين والأفراد المتوجهين داخليا يكون لديهم تفوق في التعلم. وهنا يتأكد للباحثين أهمية التمييز بين هاتين الفئتين من حيث أن ذوو الضبط الداخلي يحتاجون للمتابعة الاعتيادية في الدرس بينما يتطلب ذوي موقع الضبط الخارجي متابعة أكثر وتخصيص جهد اكبر لقيامهم بأداء ما مطلوب منهم إضافة للتشجيع والمكافأة مما يمكن مدرس الصف عند التمييز بين الفئتين من استثمار وقت الدرس بشكل يتوافق واحتياج طلبته إضافة لاقتصاده بالجهد المبذول وجعل جهده أكثر جدوى وفعالية عندما يراعي الفروق الفردية الموجود بين طلبته وأن يتعاون مع المرشد النفسي المتواجد في المدرسة ليتم احتواء هذه الحالات وليتم التعامل من قبل المرشد النفسي وفق اختصاصه واحتكاكه مع الطلبة إضافة لدوره التربوي والفني في الاستفادة والإفادة في هذا المجال، ولتحقيق ذلك اتجهت المجتمعات إلى الإفادة من كل إنجاز علمي يمكن أن ينفع التربية في تحقيق كفايتها بعد دراسة وتجريب وبهذه الطريقة أدخلت الكثير من الإنجازات العلمية إلى ميدان التربية، حيث مرت التربية خلال القرن الماضي

بتطورات جذرية وشاملة تجلت أهميتها في مراحل التعليم المختلفة مما أسهم في تحقيق رسالة التربية بمفهومها الشامل في العصر الحديث وذلك من خلال دورها المميز في تشكيل شخصيات الطلبة وتنشئتهم نشأة سليمة.

صفات ذوي الضبط (الداخلي - الخارجي):

هنالك مجموعة من الخصائص العامة يحددها (روتر) لذوي الضبط الداخلي والخارجي ويلخصها (الريالات) (الريالات، ١٩٩٥: ص١٢١) كما مبين بالجدول رقم (١).

الجدول (١) يبين صفات ذوي الضبط (الداخلي- الخارجي)

ت	الضبط الداخلي	ت	الضبط الخارجي
١	يميل إلى عزو الفشل أو التراجع الدراسي إلى عدم بذله الجهد المناسب.	١	يميل إلى عزو الفشل أو التراجع الدراسي إلى الحظ أو صعوبة المهمة.
٢	أكثر ميلاً إلى الاستقلال.	٢	أكثر ميلاً إلى الخضوع.
٣	لديه قدرات جيدة في ما يتعلق بحل المشكلات التي تواجهه.	٣	قدراته محدودة في حل المشكلات.
٤	ثقته بذاته عالية.	٤	ثقته بذاته منخفضة.
٥	يتحمل المسؤولية.	٥	يميل إلى تجنب المسؤولية.
٦	يتمتع بصحة نفسية جيدة.	٦	يميل في سلوكه إلى القلق والاكتئاب.
٧	أكثر ميلا إلى الاعتماد على الذات.	٧	أكثر ميلا إلى الاعتماد على الأخرين.
٨	يميل إلى بذل الجهد للحصول على المعلومات.	٨	أقل اهتماما في الحصول على المعلومات.

٩	أكثر ميلا إلى المثابرة.	٩	أقل ميلا إلى المثابرة.
١٠	يشارك في النشاط الاجتماعي.	١٠	لا يميل إلى المشاركة في النشاط الاجتماعي.
١١	يتحكم في انفعالاته.	١١	يميل إلى الاندفاعية.
١٢	يميل إلى تأكيد الذات.	١٢	يميل إلى قبول الأمر الواقع.
١٣	يغلب عليه الشعور بالتفاؤل.	١٣	أقل ميلا إلى التفاؤل.
١٤	يميل إلى إيجاد بدائل السلوك غير الناجح.	١٤	أقل ميلا إلى إيجاد بدائل السلوك عند مروره بخبرة الفشل.
١٥	يقاوم ضغط الجماعة فيما لا يقتنع به.	١٥	يتأثر بمواقف الآخرين فيما يقوم به.

الفصل الثالث

إجراءات البحث:

يتضمن هذا الفصل تحديد منهج البحث والإجـراءات التي اتبعها الباحثان لتحقيق أهـداف بحثهما، حيث اعتمد الباحثان المنهج الوصفي الـذي يتناول وصف الوقائع والحوادث والأشياء وتقرير حقائقه الحاضرة، فضلا عن تحليلها وتفسيرها لغرض استخراج الاستنتاجات وهوما يتوافق وأهداف البحث الحالي.

١. مجتمع البحث:

يتمثل مجتمع البحث الحالي بجميع طالبات الصفوف الخامس في المدارس الإعدادية والثانوية وبفرعيها (العلمي - الأدبي) في ناحية الحسينية الصباحية من غير المدارس المهنية والبالغ عددها (٤) مدارس للعام الدراسي (٢٠١٣م - ٢٠١٤م) ومجموع طالباتها (٤٠٥) طالبة. كما موضح في جدول (٢) حيث تم اختيار الصف الخامس الإعدادي لتمثيل المرحلة الإعدادية باعتباره الصف الذي يتوسط بين الرابع والسادس، وتتمثل فيه خصائص هذه المرحلة.

جدول (٢) المدارس الإعدادية والثانوية في ناحية الحسينية محافظة كربلاء

اسم المدرسة	إعدادية عكاظ	إعدادية الرسالة	ثانوية الماجدة	ثانوية أم الخير	المجموع
عدد طالبات الصف الخامس	٢٢٨	٨٠	٦٣	٣٤	٤٠٥

٢. عينة البحث:

اعتمد الباحثان على الأسلوب القصدي في سحب العينة، إذ بلغت عينة البحث (١٢٠) طالبة من طالبات الصف الخامس الإعدادي وبنسبة (٣٠٪) من مجتمع البحث. كما مبين في (جدول (٣))

جدول (٣) المدارس الإعدادية التي تم اختيارها كعينة للبحث

اسم المدرسة	إعدادية عكاظ	إعدادية الرسالة	المجموع
عدد الطالبات	٦٠	٦٠	١٢٠

٣. أداتا البحث:

بعد اطلاع الباحثان على مقاييس أحلام اليقظة وموقع الضبط وجدا أن مقياس (القريشي، ٢٠٠٢) أحلام اليقظة هوالأنسب لعينة البحث حيث أنه يتكون المقياس من (٣٤) فقرة وذلك بوضع خمسة بدائل تبدأ بالصفر في القيمة الدنيا وتنتهي بـ (٤) في القيمة العليا، وتحصل البدائل الوسيطة على قيم (١ و٢ و٣) على التوالي. علماً أن هذه البدائل وقيمها إستخدمت في معظم دراسات أحلام اليقظة. والجدول (٤) يوضح المدرج الخماسي أمام كل فقرة الذي يبدأ من (يصدق عليَّ تماماً) إلى (لا يصدق عليَّ إطلاقاً) وللفقرات السالبة والموجبة؛

ومقياس (صالح، ٢٠٠٤) لموقع الضبط هوالأنسب لعينة البحث ويتكون من (٢٩) فقرة، حيث اشتمّلت كل فقرة الإجابة عليها بالبديل (أ، ب) حيث يمثل البديل (أ) موقع الضبط الخارجي والبديل (ب) موقع الضبط الداخلي.

الجدول (٤) تدرج الإجابة على مقياس أحلام اليقظة

الفقرات	يصدق علي تماماً	يصدق علي	يصدق علي إلى حد ما	لا يصدق علي إلى حد ما	لا يصدق علي إطلاقاً
الموجبة	٤	٣	٢	١	صفر
السالبة	صفر	١	٢	٣	٤

٤. صدق وثبات الاداتان:

أ. الصدق الظاهري:

هو احد أنواع الصدق الذي يتبين من خلاله هذا النوع من الصدق بالفحص المبدئي لمحتويات الاختبار من قبل لجنة من المختصين لتقويمها في مدى مطابقتها للغرض الذي وضعت من أجله، وهو من أنواع الصدق المهمة في الحكم على صلاحية وهو الدقة التي تقيس فيها المقياس الغرض الذي وضع من اجله. (الظاهر واخرون، ٢٠٠٢، ص ١٣٢).

تم عرض المقياس الملحق (١) على مجموعة من الخبراء والمختصين من ذوي الخبرة والدراية العلمية المحلق (٢) وطلب منهم:

١. الحكم على مدى صلاحية الفقرات لقياس بما وضعت لأجله.
٢. الحكم على مدى ملائمة التعليمات وبدائل الإجابة.
٣. إجراء ما يرونه مناسبا من(تعديلات وإعادة صياغة، حذف وإضافة على

الفقرات) وفي ضوء أراء الخبراء وملاحظاتهم، وكانت نسبة اتفاق الخبراء أكثر من (٨٥٪) مما جعل الباحثان يعتمدان المقياسين.

ب. الثبات:

إن الثبات هوضمان الحصول على النتائج نفسها تقريبا وإذا أعيد تطبيق الاختبار على المجموعة نفسها من الأفراد، وهذا يعني قلة تأثير عوامل الصدفة العشوائية في نتائج الاختبار. (عبدالرحمن، ١٩٨٣: ص١٩٦) وتشير أدبيات القياس إلى أن القياسات تكون ثابتة إلى الحد الذي تكون فيه قابلة للتكرار، وان أي تأثير عشوائي يميل إلى جعل القياسات مختلفة من حالة إلى أخرى يكون مصدرا لخطا القياس (nunnally, 1978, 225) وقد استخدم الباحثان طريقة إعـادة الاختبار، حيث يعّد أسلوب إعـادة الأختبار من أهم أساليب حساب الثبات، ومعامل الثبات فيه، هوالعلاقة المتبادلة بين المعدلات الإحصائية المحصل عليها من الأشخاص أنفسهم في كلا التطبيقين للأختبار (Anastasi, 1988, P. 110). وإذا كان الاختبار ثابتاً في طريقة إعادة الأختبار، فأنه يجب أن يكون هناك القليل من التغيير في الدرجات من أول تطبيق للاختبار إلى التطبيق الثاني (Elliot & Stewart, 1984, P. 60) وقد طبقت هذه الطريقة (إعادة الاختبار) على عينة مكونة من (٦٣) طالبة من ثانوية الماجدة -كون طالباتها خارج العينة الأساسية للبحث- من الصف الخامس، وبفاصل زمني مقداره أسبوعان.

ويشير آدمز (Adams) إلى أن المدة الزمنية بين التطبيقين الأول والثاني يجب أن لا تتجاوز أسبوعين أوثلاثة أسابيع (Adams, 1964, P. 85). وكان معامل الثبات المستخرج بوساطة حساب معامل إرتباط (بيرسون) هو (٠,٧٥). وهنا

يشير (العيسوي) إلى أنه إذا كان معامل الارتباط بين التطبيقين الأول والثاني (٠,٧٠) فأكثر، فأن ذلك يعّد مؤشراً جيداً للثبات (العيسوي، ١٩٨٥، ص٥٨)؛ وكذلك تم اعادة الاختبار على مقياس موقع الضبط وعلى نفس العينة وبنفس المدة وتحت نفس الظروف، ولكن تمّ استخراج معامل الثبات للمقياس بإيجاد ثبات كل فقرة من فقرات المقياس في التطبيق الأول والثاني وذلك باستخدام مربع كاي (كا٢) كما مبين في الجدول (٥).

جدول (٥)

يبين ثبات فقرات مقياس موقع الضبط بعد إعادة الاختبار للاتجاهين (الداخلي - الخارجي) باستخدام مربع كاي (كا٢)

ت	رقم الفقرة	الداخلي		الخارجي		كا٢ المحتسبة	كا٢ الجدولية	دلالة الفروق
		م١	م٢	م١	م٢			
١	١-٩-١٠- ١٤-١٥- ١٩-٢٢- ٢٣-٢٦- ٢٧-٢٩	٠	٠	٠	٠	صفر	٣,٨٤	عشوائي
٢	٢-٣-٤- ٥-٦-٧- ٨-١١-١٢- ١٣-١٦- ١٧-١٨- ٢٠-٢١- ٢٤-٢٥-٢٨	٠,٠١	٠,٠١	٠,٠١	٠,٠١	٠,٠٤		عشوائي

* تحت درجة حرية (١) ومستوى معنوية (٠,٠٥).

بما إن «قيمة مربع كاي (كا٢) الجدولية اكبر من قيمة مربع كاي (كا٢) المحتسبة

يعني عدم وجود فروق بين الاختبار الأول والثاني لفقرات المقياس» (العساف، ١٩٨٩، ص ٣١٥) مما يعني ثبات المقياس.

٥. الوسائل الإحصائية:

استخدم الباحثان مجموعة من الوسائل الإحصائية للتحقق من أهداف البحث فيما يتعلق باستخراج الخصائص السايكومترية للمقياس وعلى النحوالأتي:

أ. **معامل الارتباط (بيرسون)**: أستخدم لاستخراج معامل الثبات لإعادة الاختبار بوساطة حساب معامل إرتباط (بيرسون) وكذلك لاستخراج معامل ارتباط (بيرسون) لمعرفة العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط.

$$R = \frac{N å XY - å X å Y}{\sqrt{[N å X^2 - (å X)^2][N å Y^2 - (å Y)^2}}$$

(فيركسون، ١٩٩١، ص ١٤٥)

ب. **مربع كاي (كا٢)**:

كا٢ = (التكرار المشاهد – التكرار المتوقع)٢ / التكرار المتوقع

(العساف، ١٩٨٩: ص ٣١٥)

ت. **معادلة الانحراف المعياري**: قد استخدمت لحساب لاستخراج الانحراف

المعياري لاحلام اليقظة وموقع الضبط، حيث استخدمت المعادلة:

$$S = \sqrt{\frac{N \sum X^2 - (\sum X)^2}{N (N - 1)}}$$

(السيد، ١٩٧٩: ص١٦٤)

ث. المتوسط الحسابي: قد استخدم في إجراءات الاختبار التائي حيث استخدمت المعادلة:

المتوسط الحسابي= $\frac{\text{مجموع الدرجات}}{\text{عددها}}$

(السيد، ١٩٧٩:ص٧٩)

ج. معادلة الاختبار التائي لمتوسطين مرتبطين: حيث استخدمت في حساب الدلالة لكل من أحلام اليقظة وموقع الضبط، حيث استخدمت المعادلة:

$$t = \frac{\frac{X - M}{S}}{\sqrt{n}}$$

(السيد، ١٩٧٩: ص٤٦٩)

الفصل الرابع

نتائج البحث

يتضمن الفصل الحالي عرضا للنتائج وتفسيرها في ضوء أهداف البحث وكما يأتي:

الهدف الأول:

قياس أحلام اليقظة (بنوعيها الايجابية والسلبية) لدى طالبات المرحلة الإعدادية

تحدد الهدف الأول هنا بقياس أحلام اليقظة الايجابية والسلبية وتشير المعالجة الإحصائية إلى أن الوسط الحسابي لدرجات أفراد عينة البحث بلغ (٧٤ , ٠٩) وبانحراف معياري قدره(٦٣ , ١٠)ووسط فرضي بلغ (٦٨) ولغرض مقارنة الوسط الحسابي بالوسط الفرضي للمقياس استخدم الاختبار (التائي) لعينة واحدة.الجدول (٦)يوضح نتائج الاختبار.

الجدول (٦) الاختبار التائي لقياس أحلام اليقظة (الايجابية - والسلبية) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

عدد الإفراد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المستخرجة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة	النتيجة
١٢٠	٧٤،٠٩	١٠،٦٣	٦٨	١١٩	٧،١٥	١،٩٨	٠،٠٥	دالة

يتضح من الجدول (٤) أن القيمة التائية المستخرجة أكبر من القيمة الجدولية، وهذا يعني أن أفراد عينة البحث الحالي يتمتعون بأحلام يقظة إيجابية. ويمكن تفسير هذه النتيجة من خلال كون طالبات الإعدادية يتطلعن نحو المستقبل بتفكيرهن واستعدادهن للدخول في معترك الحياة العملية وتحقيق الإنجازات والآمال والطموحات وصولاً إلى تحقيق الذات. كما أن النمو المعرفي لهذه الشريحة يجعلها أكثر ميلاً للعمليات العقلية أو المعرفية كالتفكير والتخيل لأن النمو المعرفي يساعد في ذلك، ومن ثم تعود هذه العمليات المعرفية بتغذية مرتدة لتزيد أو تطور من المستوى المعرفي لدى الطالب، وينبغي الإشارة هنا إلى أن مساحة المستقبل أمام طالبات الإعدادية كبيرة لذلك يتوقع أن يكون تأكيد الجوانب الإيجابية بسبب الاحتمالات الكثيرة والآفاق الواسعة التي توفر بدائل كثيرة للاختيار ومتسعاً من الزمن لغرض التحقيق، أي أن الفرصة لتحقيق شيء ما في الحياة تكون كبيرة ومواتية.

الهدف الثاني:

قياس موقع الضبط (الداخلي – الخارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

تحدد الهدف الثاني في البحث الحالي بقياس موقع ضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية وتشير المعالجة الإحصائية إلى أن الوسط الحسابي لدرجات أفراد عينة البحث بلغ (٤٦,٠١) وبانحراف معياري قدره (٣,٣٦) ووسط فرضي بلغ (٤٣,٥) ولغرض مقارنة الوسط الحسابي بالوسط الفرضي للمقياس استخدم الاختبار (التائي) لعينة واحدة.الجدول (٧) يوضح نتائج الاختبار.

الجدول (٧) الاختبار (التائي) لعينة واحدة لقياس موقع الضبط (داخلي-خارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

عدد الأفراد	الوسط لحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المستخرجة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة	النتيجة
١٢٠	٠١،٤٦	٣٦،٣	٥،٤٣	١١٩	٢٠٣،٨	٩٨٠،١	٠٥،٠	دالة

يتضح من الجدول (٥) أن القيمة التائية المستخرجة اكبر من القيمة الجدولية، وهذا يعني أن أفراد عينة البحث الحالي يتمتعون بموقع ضبط داخلي، يمكن تفسير ذلك بان أفراد العينة يعزون نتائج أدائهم من نجاح أوفشل إلى عوامل ذاتية اوداخلية ترتبط بقدراتهم وخصائصهم الشخصية وهذا يعود إلى البناء النفسي لهم وكونهم في بيئة تهتم كثيرا بالمُثل والمبادئ والقيم والتقاليد.. والتي بدورها تنمي في نفوسهم وازعا داخليا قويا ومؤثرا في مفاهيمهم وتصرفاتهم.

الهدف الثالث:

معرفة العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط (داخلي - الخارجي) لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

تحدد الهدف الثالث في البحث الحالي بمعرفة العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية وتشير المعالجة الإحصائية إلى أن القيمة المستخرجة تساوي(١٦٢, ٠) ولغرض معرفة العلاقة استخدم معامل ارتباط (بيرسون).الجدول (٨) يوضح نتائج الاختبار.

جدول (٨) معامل ارتباط بيرسون لمعرفة العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط

عدد أفراد العينة	درجة الحرية	القيمة المستخرجة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة	النتيجة
١٢٠	١١٩	٠,١٦٢	٠,٢٣٥	٠,٠٥	غير دالة

يتضح من الجدول أعلاه أن القيمة المستخرجة اصغر من القيمة الجدولية وهذا يعني توجد علاقة بين متغير أحلام اليقظة وموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية ولكن لم تبلغ مستوى الدلالة الإحصائية، ولعل ذلك يكون بسبب أن موقع الضبط لدى الطالبات هوبالاتجاه الداخلي الذي يرتبط بالواقع وتحمل المسؤولية وان ما يحصل عليه الإنسان هونتيجة أفعاله وتصرفاته.

الاستنتاجات

توصل الباحثان في ضوء نتائج البحث الحالي إلى مجموعة من الاستنتاجات هي:

١. إن أحلام اليقظة الايجابية تكون منتشرة بين شريحة طالبات الإعدادية وهي النمط السائد أوالشائع.

٢. إن طالبات المرحلة الإعدادية يتمتعن بموقع ضبط داخلي.

٣. ليس هناك علاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط لدى طالبات الإعدادية.

التوصيات

١. زيادة اهتمام القائمين بالصحة النفسية والطب النفسي بأحلام اليقظة السلبية وموقع الضبط الخارجي بسبب ارتباطهما بالصحة النفسية.
٢. زيادة الاهتمام بتقصي الخبرة الداخلية لدى طالبات المرحلة الإعدادية والتي تعد أحلام اليقظة وموقع الضبط جزءً منها.
٣. زيادة اهتمام القائمين على دراسة شخصية طالبات المرحلة الإعدادية بأحلام اليقظة وموقع الضبط وذلك لان كليهما يمكن ان يعطينا صورة عن شخصية طالبات المرحلة الاعدادية.
٤. يمكن للقائمين بالإرشاد النفسي والمسؤولين عن الصحة النفسية الاستدلال على وجود تدني بالصحة النفسية من خلال وسيلة جيدة للتشخيص هي أحلام اليقظة السلبية وموقع الضبط الخارجي.
٥. تطوير المناهج الدراسية والاهتمام بالنشاطات اللاصفية لاستثمار الجوانب الايجابية التي تظهر في تفكير الطالبات والتي يمكن الاستدلال عليها من أحلام اليقظة الايجابية وموقع الضبط الداخلي.

المقترحات

١. إجراء بحث يتقصى العلاقة بين أحلام اليقظة وموقع الضبط لدى طلاب المرحلة الإعدادية (الذكور).

٢. إجراء دراسة مماثلة لطالبات المرحلة الجامعية.

الهوامش

(١) يسمى أيضا «موقع السيطرة» أو«وجهة التحكم»... وما إلى ذلك.. غير أن جميع هذه التسميات تشير إلى مفهوم واحد هو (Locus of Control) والذي ترجم في البحث الحالي بـ(موقع الضبط). الباحثان.

المصادر والمراجع

١. أيوبه، (سامي محمود علي). ١٩٨٥.دراسة تفاعلية لتأثير كل من وجهة الضبط والاستقلال الاوراكي على قابلية التعلم الذاتي لدى طلبة المرحلة الثانوية من الجنسين. مجلة كلية الزراعة.ج١.ع٧.بغداد،.

٢. برنهارت. (١٩٥٩). علم النفس في حياتنا العملية. ترجمة د. ابراهيم عبدالله محي، ص٢٠٦. بغداد: مكتبة أسعد.

٣. حسين، ثريا علي.(١٩٩٩). أثر بعض المتغيرات في التخيل. ص١ بغداد، جامعة بغداد، كلية الاداب، رسالة ماجستير غير منشورة.

٤. دافيدوف، لندال. (١٩٨٣). مدخل علم النفس. ترجمة سيد الطواب وآخرين، ص٦٢٧ الرياض، دار ماكجروهيل للنشر

٥. الدليمي، حسن حمود ابراهيم. (١٩٨٩)، قياس المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة في مرحلة ما بعد الحرب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد

٦. راجح، احمد عزت.(١٩٦٤)، الامراض النفسية والعقلية وعلاجها واثارها الاجتماعية، ص١٢٠. القاهرة: دار المعارف.

٧. رزوق، اسعد.(١٩٧٧). موسوعة علم النفس، ص١٥. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر

٨. الريالات، فليحان سليمان. (١٩٩٥) أساليب التنشئة الأسرية وعلاقتها بمركز الضبط والتحصيل الدراسي لدى الطلبة المراجعين لمراكز الإرشاد في كليات المجتمع الحكومية في الأردن، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية، أبن رشد، جامعة بغداد

٩. الزوبعي، ناصر هراط فارس.(١٩٩٩). الصحة النفسية وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة. بغداد، جامعة بغداد، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة

١٠. الزيادي، محمود. (١٩٧٢). اسس علم النفس العام، القاهرة: مكتبة سعيد رأفت.

١١. السيد، فؤاد البهي. (١٩٧٩). علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري: دار الفكر العربي.
١٢. شلتز، دوان.(١٩٨٣). نظريات الشخصية. ترجمة حمد دلي الكربولي وعبدالرحمن القيسي، ص٨. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
١٣. الشماع، صالح.(١٩٥٠). المدخل الى علم النفس، ص١٨٤. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
١٤. صالح، أحمد مهدي.(٢٠٠٤) منهج تعليمي مقترح لتعلم بعض المهارات الأساسية بكرة اليد وعلاقته بمركز الضبط لطلاب المتوسطة، رسالة ماجستير(غير منشورة) العراق. كلية التربية الأساسية. جامعة ديالى.
١٥. الظاهر، زكريا محمد واخرون (٢٠٠٢). مبادي القياس والتقويم في التربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
١٦. عبدالرحمن، سعد. (١٩٨٣). القياس النفسي، الكويت: مكتبة الفلاح.
١٧. العساف.صالح بن حمد (١٩٨٩)المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. الرياض، شركة العبيكان للطباعة والنشر.
١٨. عيسوي، عبدالرحمن (١٩٨٥). القياس والتجريب في علم النفس والتربية، بيروت، الدار الجامعية.
١٩. فيركسون، جورج. (١٩٩١). التحليل الاحصائي في التربية وعلم النفس. ترجمة هناء العكيلي، ص١٤٥. بغداد، الجامعة المستنصرية.
٢٠. القريشي، علي تركي(٢٠٠٢).احلام اليقظة وعلاقتها بالصحة النفسية لدى طلبة جامعة تكريت.رسالة ماجستير.كلية الاداب.جامعة تكريت.
٢١. كمال، علي. (١٩٨٣). النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها، ط٣، ص٥١٨. بغداد: دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع.
٢٢. مراد، يوسف.(١٩٦٩). مبادئ علم النفس العام. ص٢٦٩.القاهرة، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، الطبعة السادسة: دار المعارف.
٢٣. نايت، ركس ونايت، مرجريت.(١٩٦٥). المدخل الى علم النفس الحديث، تعريب د. عبدعلي الجسماني، ص٣٢٤ بغداد: مكتبة النهضة.

٢٤. الهابط، محمد السيد. (١٩٨٥). التكيف والصحة النفسية، الامـراض النفسية– الامراض العقلية، مشكلات الطفل وعلاجها. ص٣٨.الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

المصادر والمراجع الاجنبية

1. Adams, G. S. (1964). Measurement and Evaluation in Education Psychology and Guidance. New York: Holt.
2. Anastasi, A. (1988). Psychological Testing. New York. MacMillan Publishing Company.
3. Brown. J. C. and Strick Land. B. R. (1972) Belifen in internal control of Reinforcement Participation in College. activies Journal of consult chlinincal psydhology. vol38.
4. Juny. J. Under. Standing Human Motivation. Publishing Company New York. 1978.
5. Klinger (2000), Daydreams. Encyclopedia of psychology.American Psychology Association.
6. ———— (2000). Daydreams, Encyclopedia of psychology. American Psychological Association.
7. Linde, A. R. & et. al. (1968). Social Psychology. New York, Holt, Rinehart & Winston.
8. Morgan, C. T. & King, R. A. (1975). Introduction to psychology. McGraw-Hill Book Company.
9. Nunnally, J. G. (1978). Psychometric theory. New York, McGraw-Hill, Book Company.
10. Rotter, J. B. (1971). Clinical psychology, New Jersey, Prentice-Hall, Inc.
11. Rotter. T. B. & Seeman. M. L. Internal Versus External Control of Reinforcement. pergamon press. London 1962.
12. Singer, J. L. (1975). Navigating the stream of consciousness. Research in Daydreaming and related inner experience. American Psychologist.

July 1975, PP. 727-738.

13. ———— (1976). Daydreaming and Fantasy, London, George, Allen & Unwin Ltd.

الملاحق

الملحق (١)

استبيان آراء المحكمين في مدى صلاحية مقياس موقع الضبط ومقياس أحلام اليقظة

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الأستاذ الفاضل.. المحترم

تحية طيبة...

يروم الباحثان القيام بالبحث الموسوم «أحلام اليقظة وعلاقتها بموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية» ولتحقيق أهداف البحث تطلبت الحاجة إلى مقياسين احدهما يقيس (موقع الضبط) والآخر (أحلام اليقظة) ونظرا لما نعهده فيكم من خبرة علمية يرجى التفضل بقراءة مواقف المقياسين وتحديد مدى صلاحيتها بوضع علامة «√» في حقل صالح إذا كان الموقف صالحا أوفي حقل غير صالح إذا كان غير صالح مع اقتراح التعديل المناسب لأي موقف يحتاج إلى ذلك.

وقد عرف موقع الضبط من قبل روتر (١٩٦٢) بأنه: (هوتوقع معمم

بالنسبة للطريقة التي يمكن بها تفسير الأحداث وهوامتداد ذوطرفين، فالأفراد ذوومركز الضبط الداخلي (Internal control) يميلون لاعتبار جهودهم مسؤولية عن حدوث (التعزيز)، في حين أن الأفراد ذوي الضبط الخارجي (External control) يعزون هذه المسؤولية للحظ أوالصدفة (Luck or chance) وقد يعزونها لتعقيدات الحياة.

وعرفت أحلام اليقظة من قبل القريشي (٢٠٠٢): «عملية تفكير غير موجَّه تؤدي إلى تحويل انتباه الفرد بعيداً عن مهمات جسمية أوعقلية مستمرة ولجوئه إلى سلسلة من الأفكار أوالخيالات تبعده عن الموقف الحالي إلى زمان ومكان مغايرين» شاكرين تعاونكم معنا.... مع التقدير الباحثان

ت	الفقرات	تصلح	لا تصلح	بحاجة للتعديل
١	أعتقد أن أحلام اليقظة أمر مقبول إذا مارسه المراهقون والكبار.			
٢	أشعر بارتياح عندما أتخيل نفسي أقابل الشخص الذي أحب.			
٣	تقدم لي أحلام اليقظة معلومات مفيدة للحالات الغامضة التي أواجهها.			
٤	أجد أن خيالاتي تدور حول الماضي وليس حول المستقبل.			
٥	أتخيل نفسي في أكثر الأحيان غير قادر على إنهاء أي عمل..			
٦	أرى في خيالاتي وقد انتقمت من شخص ما خدعني.			

٧	اتخيل نفسي أحيانا إنني أقترض شيئا من صديق عزيز لي، وأتلفه من دون قصد.			
٨	أنا متأكد أن أحلام اليقظة يمكن أن تتحقق على صعيد الواقع.			
٩	أجد في أحلام اليقظة تنفيساً عما أشعر به من ضيق نفسي.			
١٠	أشعر أن الصور في ذهني واضحة مثل الصور الفوتوغرافية.			
١١	أعتقد أن الحل الذي أصل إليه من خلال حلم اليقظة مناسب وفعال.			
١٢	أتخيل تفاصيل مهنتي المستقبلية دائما.			
١٣	أتصور نفسي أني حصلت على ثروة كبيرة جداً.			
١٤	أتصور نفسي وقد تسلمت مسؤولية يصعب علي تحملها.			
١٥	أحلم أنني انتقم من الذين أساءوا إلي سواء بالكلام أوبالفعل.			
١٦	أرى في أحلام يقظتي بأن والدي راضيين عني تماماً.			
١٧	أتخيل ردود فعل أصدقائي وأقاربي لخبر وفاتي.			
١٨	أجد أن أحلام اليقظة غالباً ما تكون هدراً للوقت.			
١٩	انتشي فرحاً عندما أتخيل نفسي وقد أصبحت لي أسرة وأطفال.			
٢٠	أفشل غالباً في حل أي مشكلة عن طريق أحلام اليقظة.			
٢١	أتخيل أن عالمنا هذا سوف يكون أكثر سعادة ومحبة مستقبلاً.			
٢٢	أرى نفسي وقد أصبحت نجماً سينمائياً عالمياً.			

٢٣	كثيراً ما أتخيل أنني قد فشلت في الامتحان.			
٢٤	يخيل إلي أني أصبحت عنيفاً مع شخص من الجنس الآخر.			
٢٥	تمر في خيالاتي أحياناً فكرة إلقاء القبض علي وأنا أرتكب فعلاً قبيحاً.			
٢٦	أتجنب أحلام اليقظة لأنها تبعدني عن المهام التي أقوم بها.			
٢٧	أشعر بالسعادة والدفء عندما أتخيل بأن لي علاقة عاطفية ناجحة.			
٢٨	اتذكر تفاصيل الصور التي أراها في أحلام اليقظة.			
٢٩	أشعر أن لا فائدة عملية لأحلام اليقظة.			
٣٠	أرى في أحلام يقظتي أن وضعي في الماضي أفضل من الحاضر.			
٣١	غالباً ما أتخيل اني لن أجد وظيفة بعد تخرجي.			
٣٢	أتخيل نفسي وقد وجدت طريقة لإيذاء أشخاص معينين لا أحبهم.			
٣٣	أتصور نفسي وقد خيبت ظن الناس الذين تربطني بهم علاقة حميمة.			
٣٤	أتخيل دوماً أنني سوف أفقد الإنسان الذي أحب.			

مقياس موقع الضبط

ت	الفقرات
١	أ. يقع الطلبة في المشاكل لان آباءهم يعاقبونهم كثيرا ب. بمشكلة غالبية الطلبة في هذه الايام تساهل ابائهم الزائد معهم
٢	أ. يعود الكثير مما يصيب الناس من تعاسة جزئيا الى حظهم السيء ب. يعود سوء طالع الناس الى الاخطاء التي يرتكبونها

٣	أ. من الاسباب الرئيسية لوقوع المشاكل عدم اهتمام الناس الكافي بتفاديها وتجنبها ب. ستقع المشاكل باستمرارمهما حاول الناس منع حدوثها
٤	أ. يحصل الناس في النهاية على احترام الذي يستحقونه في هذا العالم ب. لسوء الحظ غالبا ما تمضي حياة الفرد دون ان يقدر قيمته احد مهما بذل من جهد
٥	أ. ان فكرة عدم عدالة المدرسين اتجاه الطلبة لامعنى لها ب. غالبية الطلبة لايدركون مدى تاثير درجاتهم بعوامل الصدفة
٦	أ. لا يمكن للمرء ان يكون قائدا فعالا دون توفير الفرص المناسبة ب. الاكفاء الذين يفشلون في ان يصبحوا قادة هم أ ناس لم يحسنوا اغتنام فرصهم
٧	أ. مهما تبذل من جهد في كسب ود الآخرين فسيظل هناك اشخاص يكرهونك ب. الذين لا يستطيعون كسب ود الآخرين لا يفهمون كيفية التعامل معهم
٨	أ. تؤدي الوراثة الدور الرئيسي في تحديد شخصية الفرد
٩	أ. غالبا ما اجد ان الاشياء المقدرة تحصل فعلا ب. اعتماد المرء على القدر في تصريف اموره لا يجدي بالمرة.
١٠	أ. يندر ان يجد الطالب الامتحان غيرعادل اذا كان استعداده لذلك الامتحان تاما ب. في كثير من الاحيان تكون اسئلة الاختبار عديمة الصلة بالإدارة الدراسية ما يجعل الاستعداد لها عديم الجدوى
١١	أ. يعتمد النجاح على العمل الجاد ولا دخل للحظ الاّ نادراً ب. الحصول على وظيفة جيدة يعتمد بشكل اساسي وجود الفرد في المكان المناسب وفي الوقت المناسب
١٢	أ. يستطيع الطالب ان يؤثر بشكل ما على قرارات ادارة المدرسة ب. تسيطر على المدرسة بعض الادارات ولا يستطيع الطالب ان يفعل شيئا ازاء ذلك
١٣	أ. عندما اقوم بوضع الخطط فانني غالبا ما اكون على يقين بقدرتي على تنفيذها ب. ليس من الحكمة ان تخطط للمستقبل البعيد، لان كثيرا من الاشياء يتحكم بها الحظ الجيد اوالحظ السيء على أي حال
١٤	أ. هناك بعض الناس الذين هم سيئون ب. هناك شيء في كل انسان تقريبا
١٥	أ. بالنسبة الي فان ما اسعى عليه لا علاقة له بالحظ ب. لاباس في كثير من الاحيان ان يكون قرارنا على اساس الوجه الذي يظهر عند رمي قطعة نقود في الهواء

١٦	أ. من يصل الى مركز ادارة المدرسة هوفي الغالب ذلك الشخص الذي خدمه الحظ في ان يكون في المكان المناسب ب. لكي يقوم الناس بعملهم على الوجه الصحيح لابد من وجود القدرة لديهم حيث دور الحظ في ذلك يكون قليلاً اومعدوماً
١٧	أ. بالنسبة الى ما يجري في هذا العالم يمكن القول بان معظمنا ه ضحايا لقوى لا نستطيع فهمها اوالسيطرة عليها ب. يمكن للناس بالمشاركة الايجابية في الشؤون الاجتماعية والسياسية ان يسيطروا على ما يجري في هذا العالم
١٨	أ. غالبية الناس لا يدركون مدى سيطرة عوامل الصدفة على مجريات حياتهم ب. في الحقيقة ليس هناك شيء اسمه الحظ
١٩	أ. على المرء ان يكون لديه الاستعداد الدائم للاعتراف بخأطائه ب. من الافضل عادة ان يتستر المرء على اخطائه
٢٠	أ. من الصعب ان تعرف اذا كان الشخص يحبك حقا ام لا ب. ان عدد الصداقات التي تكونها يعتمد على كم انت شخص طيب
٢١	أ. الامور السيئة التي تصيبنا تتساوى في المدى البعيد مع الامور الحسنة ب. ان معظم ما يصيبنا من سوء الطالع هوبسبب الجهل والكسل اوالافتقار الى القدرة اوالثلاثة معا
٢٢	أ. بمزيد من الجهد نستطيع القضاء على المظاهر السلوكية غير الاجتماعية الني قد تظهر في صفوف الطلبة ب. يصعب على الناس العاديين ان تكون لديهم سيطرة كافية على ما يقوم به غيرهم في دوائرهم
٢٣	أ. لااستطيع احيانا ان افهم كيف يتوصل المدرسون للعلامات التي يعطونها ب. هناك ارتباط مباشر بين ما ابذله من جهد في الدراسة والعلامات التي احصل عليها
٢٤	أ. القائد الجيد هوالذي يتوقع ان يقرر الناس لا نفسه ما يجب ان يفعلوه ب. القائد الجيد هوالذي يحدد لكل فرد الاعمال التي يقوم بها
٢٥	أ. في كثير من الاحيان اشعر اني لااستطيع السيطرة على الاشياء التي تحدث لي ب. يستحيل علي ان اقتنع ان الحظ اوالصدفة يقومان بدور مهم في حياتي

٢٦	أ. يعزل بعض الناس انفسهم عن الآخرين لانهم لا يحاولون كسب صداقتهم ب. لافائدة كبيرة ترجى من الجهد اكثر مما يجب في كسب ود الآخرين لانهم اذا ارادوا ان يحبوك فهم يحبونك
٢٧	أ. هناك مبالغة في التأكيد على الرياضة في المدارس الثانوية ب. ان مزاولة الرياضة ضمن فريق تعتبر طريقة ممتازة لبناء الشخصية
٢٨	أ. ما يحدث لي هوما تفعله يداي ب. اشعر احيانا اني لا استطيع التحكم في الاتجاه الذي تسير فيه حياتي
٢٩	أ. في كثير من الاحيان لا استطيع ان افهم لماذا يتصرف البعض بالطريقة التي يتصرفون بها ب. يكون الآخرون مسؤولين عن سوء تصرفاتهم سواءً كان في المدرسة اوالشارع اوالمنزل

ملحق(٢)

يوضح أسماء السادة الخبراء ودرجاتهم العلمية وتخصصهم

ت	الاسماء	الدرجة العلمية	التخصص
١	د. عدنان مارد جبر	أستاذ مساعد دكتور	علم النفس المعرفي
٢	د. عبدالستار حمود	استاذ مساعد دكتور	ارشاد نفسي
٣	د. احمد عبدالحسين عطية	أستاذ مساعد دكتور	شخصية وصحة نفسية
٤	د. رجاء ياسين عبدالله	أستاذ مساعد دكتور	علم النفس التربوي
٥	د. حيدر زامل الموسوي	أستاذ مساعد دكتور	طرائق تدريس اللغة العربية
٦	د. سعد جويد كاظم الجبوري	مدرس دكتور	طرائق تدريس تاريخ
٧	مناف فتحي عبدالرزاق	مدرس مساعد	علم النفس النمو

باب التراث التاريخي

History Heritage Section

الغزو الوهابي لمدينة كربلاء المقدسة في مطلع القرن التاسع عشر

(دراسة تاريخية - تحليلية)

Facts about Wahhabi Attacks on Karbala in the Early Nineteenth Century

(A Historical and Analytic study)

أ. م. د. مقدام عبدالحسن باقر الفياض

جامعة الكوفة

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

Asst. prof. Dr. Meqdam Abdul-Hasen Al-Fayadh

Kufa University

College of Education for Girls

Department of History

الملخص

تعد الاعتداءات التي شنتها القبائل النجدية على كربلاء في مطلع القرن التاسع عشر بشكل غارات وهجمات أنموذجا لنزاعات وحروب قبلية حملت في طياتها غايات شتى، وتركت اثاراً واضحة وعميقة في مجمل الاوضاع السياسية والاقتصادية لسكان المنطقة. وقد حاول الباحث القاء نظرة ممهدة على العلاقات العراقية النجدية في المدة السابقة لأحداث موضوع البحث الهدف منها معرفة الاسباب الحقيقية التي ادت الى تلك الهجمات، وهي اسباب متشابكة ومتنوعة، فيها ما هوسياسي وآخر اقتصادي.

أمّا الغارات فقد كانت اولاها وأقساها ما حدث عام ١٨٠٢، ناقش فيها الباحث مسائل كثيرة كانت في وقت سابق موضع شك مثل عدد مقاتليها وتوقيتها وعدد ضحاياها، ثم شخّص بموضوعية بعض الأخطاء التي وقع فيها الباحثون أوالمؤرخون الذين سبقوه مع الإقرار بقيمة ما كتبوه. واستعرض عمليات القتل والنهب التي اقترفت في الغارة، كما ناقش المواقف التي اتخذتها القوى الدولية والاسلامية آنذاك مثل حكومة المماليك في العراق والدولة العثمانية، والدولة القاجارية، والبريطانيون تجاه حوادث كربلاء، وانعكاس ذلك على علاقات بعضها بالبعض الآخر. ثم درس الباحث الغارات اللاحقة والتي وقعت في الاعوام ١٨٠٣ و١٨٠٤ و١٨٠٥ و١٨٠٧ و١٨١٠ والتي تعرضت لها كربلاء والنجف والحلة والبصرة وقبائل المنتفق جنوب العراق.

Abstract

The attacks the Najd tribes launched against Karbala' at the outset of the nineteenth century are considered an example of tribal disputes and wars that concealed different aims and left clear and deep effects on the whole political and economic conditions of the area population. The researcher has attempted to give a prefatory view about the Iraqi-Saudi relations during the period that preceded the events in study. It aimed at knowing the real reasons that caused those attacks which were various and interlinked, including what is political, economic and sectarian. As for the raids launched, the first and most severe one was that of 1802, in which the researcher discussed so many affairs such as number of fighters, its timing, and its victims. Then he identified the errors made by the previous researchers. He displayed the murder and plunder operations committed in the raid, discussed the attitudes the international and Islamic forces adopted at that time against Karbalaa' events, such as the Memalik government in Iraq, the Ottoman state, and

the British, and explained the effect of that on each other relations. The researcher then studied the following raids happened in the years 1803, 1804, 1805, 1807 and 1810, and invaded Karbalaa', Najaf, Basrah, and the Muntafiq tribes in the south of Iraq.

أولاً: أضواء على العلاقات العراقية النجدية قبل الاعتداءات

تعدُّ صراعات القبائل وحالات الاقتتال المستمرة بينها ظاهرة مهمة ميّزت تاريخ شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، فقد خيمت بظلالها المعتمة على العراق -لاسيما مدنه الجنوبية والغربية- وطالت أكثر بلدان الخليج العربي، بغض النظر عن موقعها ومعتقدات أبنائها ومدى ثرائهم، فإنّ الهجمات التي شهدتها كربلاء في مطلع القرن التاسع عشر والتي نحاول توضيحها تعد أنموذجاً لنزاعات وحروبٍ قبلية تحمل في طياتها غايات شتى، تركت آثارا واضحة وعميقة في الأوضاع السياسية والاقتصادية لسكان المنطقة.

اتسمت العلاقات السياسية بين العراق في عهد واليه سليمان باشا الكبير (١٧٧٩-١٨٠٢)[١] من جهة، وقبائل نجد في عهد الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨)[٢] من جهة أخرى بالفتور، وعدم الثقة بين الطرفين، وذلك في ظل عددٍ من النقاط الخلافية التي أثارت الشحناء بين الجانبين ودفعت تلك العلاقات إلى التدهور بدرجة خطيرة مع بداية العقد الأخير من القرن الثامن عشر، يأتي في مقدمتها الخطر الذي شكلته الدعوة السلفية في نجد على النفوذ السياسي والديني للدولة العثمانية في العالم الاسلامي[٣]، حسبما رآه العثمانيون أنفسهم في أقل تقدير. فضلا عن رغبة الدولة السعودية الأولى في التوسع خارج

حدودها منذ نشأتها وتصدير حركتها في المنطقة.

وقد اعتمد النجاح في نشر الدعوة السلفية الجديدة على التحالف المشترك بين تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدينية والزعامة السياسية لأُمراء آل سعود[٤].

فلم تدخر الدولة العثمانية جهداً لمحاربتها، متّهمة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٥] فكرياً وسياسياً ووصفتها بأنها فكرة «**مشبوهة، خارجة عن إطار الدين الإسلامي**» وإنها تعمل من أجل «**هدم الكعبة والقبة المنيفة على قبر سيد المرسلين**»[٦]. وبعثت اسطنبول توجيهات مشددة إلى والي بغداد لاتخاذ إجراءات صارمة ضد السعوديين بهدف القضاء عليهم[٧]. وتمثلت الخطوة الأولى فكري في ردّ علماء أهل السنة في بغداد على الاتهامات التي ساقها (السلفيون)[٨] إلى فرق المسلمين لا سيما الشيعة في العراق، الذين أُتهموا بـ«**الزيغ والضلال**»[٩] لمجرد أنهم لا يرون رأيهم[١٠]، وفي الحقيقة فقد كانت رسائل أولئك العلماء إلى العالم الاسلامي حازمة في رفض التكفير والتشدد الطائفي، والتحذير من مغبة تفريق كلمة المسلمين وشقّ وحدتهم، مجسدين اعتدالهم وخطهم الوطني المخلص لبلدهم العراق، بغض النظر عن الانتماءات الطائفية الثانوية لابنائه، ولابد من التشديد على نقطة بالغة الاهمية في هذا الصدد لايمكن المرور بها من دون التفكير جدياً في مدلولاتها، وهي ان الرد المشار اليه لم يكن بإيعازٍ من سليمان باشا -حسبما توهّم البعض- بل كان تعبيراً صادقاً وتضامناً أصيلاً مع زملائهم من المرجعيات الدينية في النجف، أي انّ ادراكهم لحقيقة الارتباط العضوي لجسد الوطن الواحد كان أقوى بكثير من الحرص المزعوم للحكم الأجنبي فيه.

أمّا موقف المرجعية الدينية الشيعية. فعلى الرغم من نظرة الدعوة السلفية الى

الشيعة بأن مراقد أئمتهم تجسد «**إحياء للوثنية**»[١١] فقد جرت مراسلات عدة بين محمد بن سعود (١٧٤٥-١٧٦٥)[١٢]، الحليف الرئيس للدعوة في نجد والشيخ جعفر الجناجي الملقب بـ(كاشف الغطاء)[١٣]، المرجع الديني في النجف، تميزت بالموضوعية والمنهجية العلمية، لكن من دون أن يقتنع أحدهما برأي الآخر، أوأن يتوصلا الى نتيجة محددة[١٤]. وبشكل عام لم يتمكن دعاة الفكر السلفي من شق طريقهم بين العراقيين مثلما فعلوا مع قبائل نجد بل واجهوا نبذاً من فئاتهم كافة إلا النزر اليسير[١٥].

بدأت نذر الحرب الدامية تتضح بعد انتقال بعض خصوم السعوديين من زعماء منطقتي حائل والأحساء مع قبائلهم إلى الجهات الجنوبية الغربية من العراق هرباً من ضغط القبائل النجدية[١٦] التي شنّت -بقيادة السعوديين- ولأغراض سياسية واقتصادية ودينية وثأرية سلسلة من الغزوات على الأراضي والعشائر العربية في البلدان المجاورة[١٧]. وازدادت الأمور تعقيداً مع إتهام الأمير السعودي عبدالعزيز بن محمد آل سعود (١٧٦٥-١٨٠٣)[١٨] القبائل الملتجأة الى جنوب العراق بأنها تقف وراء الاضطرابات الكثيرة التي تنشب بين حين وآخر في الأحساء وبعض المدن النجدية[١٩] لا سيما وأن القبائل العراقية كالسعدون والظفير وغيرها مدت يد العون لبعض عشائر نجد وآوت زعمائهم، وقامت بدور فعال في مساندة بني خالد في الأحساء ضدّ العمليات السعودية[٢٠]. لذلك فقد بدأ النجديون بشن غارات اتخذت شكل حملات عسكرية سريعة على المنطقة المتاخمة للعراق في محاولة منهم لنشر دعوتهم السلفية، ولـ«**تطهير**» الجزيرة العربية مما يعدونه «**بدعاً وخرافات**» على حد فهمهم، والحصول على مغانم مادية ايضاً.

ولا شك أنّ الدولة العثمانية قد أسهمت -بسياستها التحريضية- في تأزّم العلاقات وإيصالها الى مرحلة التدهور، منطلقة من خشيتها من النجاح الذي حقّقه السعوديون في شرق الجزيرة العربية، لا سيما الأحساء، وما يشكله من خطر على البصرة ومدن حوض الفرات الاسفل[٢١]. لذلك فقد أقنعت عدداً من شيوخ قبيلة المنتفق بشن هجمات واسعة في عامي ١٧٨٦ و١٧٩٧ وصلت الى وسط نجد، لكنها لم تحقق أيا من أهدافها[٢٢]، سوى أنها أدخلت القبائل النجدية من جهة وعشائر جنوب العراق وحكومة المماليك فيه من جهة أخرى في إتونٍ يغلي بالمشاكل والعداء المتبادل، تجسد في غارات غلبت عليها روح الانتقام واستعراض القوة والحصول على الغنائم[٢٣]. وإشاعة الفوضى في الطرق التجارية. لكنها في الوقت نفسه أثبتت للعثمانيين والمماليك أنّ لنجد قبائل قوية، صعبة المراس، كما سبّبت قدراً كبيراً من المعاناة والإرباك في حياة العشائر العراقية[٢٤]. ردّ العثمانيون بحملة واهنة، غير معدّة إعداداً جيداً، ولا شك أن المتتبع لسير المفاوضات بين الطرفين، وتوسلات المبعوث العثماني لابن سعود، وبَذْل العثمانيين كلّ ما في وسعهم لتجنب الحرب، يظهر بدلالة قاطعة أن السعوديين كانوا في موضع المقتدر الذي يُهاب في بأسه وعنفه، وأن العثمانيين أدركوا بعد حملتهم الأخيرة أن لا طاقة لهم على تحمل النفقات المالية الثقيلة التي تتكفلها حملاتهم على القبائل النجدية والتي تجيد المناورة والمباغتة والضرب بسرعة في طرق الصحراء الصعبة، مما لا يجيده جنودهم ولا يتحملونه، ولا يمتلكون الحماسة العالية التي تميز بها مقاتلي نجد.

كانت نقطة الافتراق الحقيقية بين الجانبين، والتي حطمت بنود صلحٍ

هشٍ ومؤقت إنعقد بين والي بغداد سليمان باشا والأمير السعودي قبل مدّة وجيزة[٢٥]، هو الاشتباك الدامي الذي اندلع بين عشيرة تابعة للخزاعل (الحلف القبلي العراقي) وقافلة نجدية تجارية قرب النجف عام ١٧٩٩، أسفر عن وقوع خسائر فادحة في كلا الجانبين[٢٦]. وعلى الرغم مما أورده الخزاعل بأن دخولهم المعركة جاء دفاعا عن النفس وانتقاماً لمقتل زعيمهم على أيدي عددٍ من حراس القافلة، فإن اثنين من المصادر البريطانية أحدهما كتبه القنصل البريطاني في بغداد هارفرد جونز[٢٧] أوردت سبب المعركة بشكل مغاير، وهو قيام البعض بمهاجمة قافلة من الحجاج الفرس كان يحرسها النجديون في المنطقة الواقعة بين الحلة والنجف أثناء رجوعهم إلى بلادهم فنهبوها لكنهما لم يسميا بالضبط من قام بالهجوم، هل هم الخزاعل أم غيرهم، وفي الوقت ذاته أكدا أن مئات القتلى الذين طالب بدياتهم عبدالعزيز لم يهاجموا النجف وإنما كانوا يحرسون الحجاج الفرس.

وعلى العموم فأن عبدالعزيز آل سعود اتخذ من الحادثة ذريعة لنقض الهدنة[٢٨]. كما رفض عروض الصلح المتضمنة استعداد المماليك «**تأديب**» الخزاعل، ودفع ديات القتلى، وطلب بدلاً عن ذلك أن تخضع له جميع الاراضي العراقية الواقعة غرب الفرات، بين عانه شمالاً إلى البصرة جنوباً، ونظراً ألى أنه كان مطلباً تعجيزياً ومهيناً وغير قابل للتفاوض فقد أدرك والي بغداد أنّ الحرب واقعة لا محالة[٢٩].

ثانياً: دراسة تاريخية تحليلية للغارات النجدية

نفّذ السعوديون تهديداتهم حينما هاجمت مجموعة من القبائل النجدية يقودها سعود بن الأمير عبدالعزيز مدن الفرات الأعلى الغربية، بدءً من بلدتي عانه وكبيسه، فقتل من أبنائها العشرات[٣٠]. ثم انحدر جنوباً لمهاجمة مدينة كربلاء (١١٠ كم الى الجنوب الغربي من بغداد)[٣١]، مقسّماً -بذكاء- جيشه إلى قسمين، وجّه الاول منهما، وفيه حوالي الف فارس إلى واحة شفاثا (٦٥ كم الى الغرب من كربلاء)[٣٢]، وتمكن بمهارة من مشاغلة قوات الوالي سليمان باشا هناك وانهاكها أياماً عدة بالمناوشات والغارات الليلية من دون الدخول معها في اشتباك حاسم[٣٣]، فيما توجه سعود شخصياً بمن معه من مقاتلين نحوكربلاء ليكمن على مقربة منها ليلاً في انتظار الفرصة المناسبة للانقضاض عليها[٣٤].

ونظراً الى التباين الكبير بين المصادر في ذكر هذه الواقعة نجد من الجدير أن نحاول إيجاد إجابة دقيقة لثلاث أسئلة مهمة متعلقة بها هي:

١. **العدد الحقيقي لمقاتلي نجد.**
٢. **التوقيت الفعلي لغاراتهم.**
٣. **أسباب اختيارهم كربلاء.**

وبصدد النقطة الأولى فقد تراوح ماذكرته المصادر[٣٥] عن عددهم أنه يتراوح مابين (١٠-٢٥) ألف مقاتل، ويبدوأن هذه التقديرات كانت أعلى بكثير من

الرقم الفعلي، ولا يمكن القبول بها بأي حال لأنها تخالف ما اعتاد عليه سعود في حروبه الأخرى؛ اذ كان يشن الغارات على طريقة الكر والفر والحركة السريعة الأمر الذي يتطلب التقليل من العدد إلى الحد الممكن. فمثلاً أن جامع الوثائق البريطانية saldunha نقل رواية الـ (٢٠ ألفاً) من هارفرد جونز القنصل البريطاني في عاصمة الولاية بغداد، الذي سمعها بدوره من المصادر الحكومية العثمانية في المكان نفسه، وهي تبالغ أيضاً، وأورد ما نصه «**قوة غير نظامية من عرب نجد**». ومن الملاحظ أن المصادر العثمانية، اوالناقلة عنها، أرادت –من مبالغتها في عدد المقاتلين– تبرير عجز حكومة المماليك في العراق وفشلها الذريع عن صد تلك الغزوة، وأن الأمر كان فوق طاقتها، ويتطلب تضافر جهود العثمانيين في اسطنبول والعشائر العراقية مع حكومة بغداد.

أما القسم الآخر من المصادر[٣٦] فهومُقلّ بشكل يُخل بحجم الاستعدادات والإمكانات التي أعدّها الأمير عبدالعزيز لتلك الحملة والنتائج التي اسفرت عنها يقول صاحب (غاية المرام): «وفي هذه السنة قدم ركب الوهابي في ثمانمائة بعير على كل بعير اثنان، وأغاروا على مشهد الحسين»[٣٧]. فمن المستبعد جداً ان يبعث غارة مكونة من ألف مقاتل فقط وهوينوي –حسبما نقلت المصادر نفسها– أن يستولي على جميع المدن العراقية الواقعة غرب الفرات، فضلاً عن ذلك فإن المصادر المقرّبة من السعوديين لا تقلل من شأن الحملة أوعدد مقاتليها، واتفقت على أنها «**جموع كثيرة وقوة عظيمة..**»[٣٨] توجهت إلى العراق «**من جميع حاضر نجد وباديها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك**»[٣٩]. وفي مثل هذه المواقف الحسّاسة يلتزم الحذر الشديد والمقارنة بين ما ورد في المصادر جميعها مع محاولة

الاستنتاج للخروج بنتيجة متوازنة هي أقرب إلى الحقيقة، وعلى الرغم من صعوبة الجزم برقم معين، لكن، ونظراً الى حجم الحوادث الدامية التي جرت في كربلاء، وإلى ان بعض الغزوات المشابهة الكبيرة التي شنّها السعوديون على خصومهم في الجزيرة العربية قد عاملتها المصادر المحلية بالعبارات نفسها تقريباً تمكننا من ترجيح أن الغزوة كانت تضم عدداً لا يقل عن بضعة آلاف من المقاتلين قد لا يتجاوز الخمسة آلاف في حده الأعلى.

وفي النقطة الثانية المتعلقة بذكر تاريخ الحملة فإن المصادر (٤٠) تورد تناقضاً بيّناً في تحديدها، والروايات تتراوح ما بين (١٧ أو١٨ ذي الحجة ١٢١٦هـ) و(١٨ذي الحجة ١٢١٧هـ)، وكذلك مابين (نيسان ١٨٠١) و(٢٠ و٢٢ نيسان أومايس ١٨٠٢) الأمر الذي يولّد إرباكاً وعدم توافق في الحساب الدقيق بين التوقيتين الهجري والميلادي. ولتحديد وقتها بشكل أكثر دقة يمكن الاستعانة بالوقائع القريبة من الحادثة، موضع البحث، لا سيما وفاة سليمان باشا الكبير التي لا تختلف المصادر على ثبوتيتها وأهمية توقيتها ووقوعها في (٨ ربيع الاول ١٢١٧ هـ) الموافق (٧ آب ١٨٠٢)، وأنها- بالتأكيد حسبما ذكرت المصادر- وقعت بعد ثلاثة أشهر من الحادثة(٤١). وعلى هذا يمكن القول- من دون شك- أن الغزوة وقعت في اواخر ذي الحجة من عام ١٢١٦ هـ، وليس عام ١٢١٧ هـ، والذي يتطابق في التاريخ الميلادي (أواسط نيسان ١٨٠٢) وليس عام ١٨٠١.

ومن المهم القول أن اختيار سعود ليوم (١٨ ذي الحجة-٢٢ نيسان) جاء وفق معلومات أفادت أن معظم أهالي كربلاء مشغولون بإحياء مراسم عيد بيعة

الغدير في النجف(٤٢)، فاستفاد من هذه الناحية وأغار مع أتباعه عليها بغتة في وقت الفجر، مهاجمين أحد الخانات التي تظلل إحدى الأبواب، ففتحوه عنوة ونجحوا في اقتحام المدينة بعد ساعات فقط من حصارها(٤٣). ومن اللافت للنظر أن دخولهم كربلاء قد تم بسرعة ولكن سيطرتهم عليها بشكل كامل كان عملية صعبة، على عكس ما حاولت أن تلمح إليه بعض المصادر(٤٤)، فضلا عن أن بعض المعلومات أشارت إلى قيام عمليات مقاومة فاعلة في شوارع المدينة وأزقتها، وأن حوالي خمسين رجلاً مسلحاً تحصّنوا في إحدى الدور عالية البناء، واستطاعوا بصمودهم فيها قتل الكثير من النجديين قبل أن يُقضى عليهم جميعاً(٤٥)، وكذلك تحدثت بعض المصادر المهمة جيدة الاطلاع عن قتالٍ شديدٍ جرى بين سكان المدينة والقوات المهاجمة، استمر مدة قصيرة كانت الغلبة فيه للمهاجمين الذين ساعدهم تفوقهم العددي على المدافعين وشراستهم في القتال وتسليحهم الجيد وضعف أسوار المدينة في إنجاز مهمتهم(٤٦).

أما بالنسبة للتساؤل الثالث، فليس من الصعب فهم سبب اختيار النجديين كربلاء مدينةً يجسدون فيها مقدرتهم في تدمير الحواضر التي يستولون عليها. فكربلاء -بسبب موقعها الجغرافي- تعدّ من مدن العراق الغربية القريبة نسبياً من شمال نجد، وقريبة من مناطق الرعي المشتركة بين القبائل العراقية والنجدية، وكانت كذلك مشتهرة بما تحويه مراقدها من كنوزٍ نفيسة، والنجديون يعرفون ذلك جيداً، من خلال زياراتهم المعتادة إلى العراق بهدف التجارة. ومهم أيضاً أن تحصينات المدينة الدفاعية ضعيفة واستحكاماتها الاحترازية لرصد تحركات الأعراب وقطّاع الطرق تكاد تكون غائبة تماماً. ولعل ذلك يرجع إلى وقوعها على شاطئ النهر وانتشار البساتين بين

أحيائها، لدرجة أن النجديين لم يجدوا صعوبة في كسر الأبواب فحسب بل صعدوا على أسوارها بل «**جدرانها**» على حد قول ابن بشر(٤٧)، وتلك الجدران وصفت بأنها مكونة من جذوع النخل مرصوفة حول حائط من اللَبْن(٤٨)، ومن الممكن الاستفادة مما اورده نيبور (الرحالة الالماني الذي زار كربلاء سنة ١٧٦٥) بقوله إنْ المدينة كانت محاطة بسور من اللبن المجفف بالشمس غير المشوي، ولاحظ أنه متهدم من بعض جوانبه أيامئذ(٤٩)، ونميل إلى أن هذا بقي من دون تغيير حتى مطلع القرن التاسع عشر خلافاً للحالة في النجف (المدينة المقدسة القريبة) التي تتمتع بوجود وسائل دفاعية ذاتية منيعة وتشير المصادر العثمانية إلى أن الوهابيين تحركوا نحوالعراق ووجهتهم الأصلية هي النجف الأشرف، للثأر لمقتل رجالهم بالقرب منها، إلا أنهم تجنبوها لاستحكاماتها الدفاعية القوية، وفضلوا كربلاء لأنّ الوضع فيها مختلف، كما أن معظم أهلها كانوا مشغولون بإحياء شعائرهم الدينية خارج مدينتهم(٥٠).

فضلاً عن ذلك فإن الدافع الطائفي كان حاضراً بشكل فاعل، ولم يكن أقل أهمية من هذا كلّه؛ اذ ان القبائل الغازية التي يعتنق معظمها الفكر السلفي ترفض تماماً بناء الأضرحة والمراقد وتشييد القباب عليها وشد الرحال إليها لزيارتها متّهمة إياها بأنها شرك بالله تعالى، خلافاً لمفهوم عامة المسلمين الذين ينظرون إليها بوصفها جزءاً من شعائر الدين، لأن مراقد الائمة والأولياء تستحق تقديراً واحتراماً يليقان بالتضحيات التي قدمها أولئك في سبيل نشر العقيدة الاسلامية وتثبيتها، والمرقد فوق كل هذا بيت من بيوت الله تعالى. الأمر الذي لا يرفضه الوهابية فحسب، بل اتضح إنهم يذهبون الى تكفير أهالي كربلاء ومن على ملّتهم، وأعلنوا ذلك صراحة في اثناء تخريبهم لعتباتها(٥١). وذكرت مصادر

أجنبية أن ((الطائفة الوهابية تدعوإلى تنقية الدين من البدع والشوائب، وهي تتطلع إلى كسب غنائم ثمينة، وربما تكون هي السبب في هذه المذبحة المريعة وسرقة ملكية شعب بريء))[٥٢]. وظهر المسلك المتشدد نفسه بشكل جلي في رسالة سعود بن عبدالعزيز الطائفية إلى علي باشا قائد الحملة العثمانية الزاحفة نحوالإحساء في ربيع عام ١٧٩٩؛ اذ جاء في رسالته متهماً أهل الاحساء بالقول: «**أما بعد ما عرفنا سبب مجيئكم إلى الاحساء وعلى أي منوال جئتم. فأما اهل الإحساء فإنهم ارفاضٌ**[٥٣] **ملاعين ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف...**»[٥٤].

وتتطابق كلمات سعود هذه مع ما مارسه فعلياً في كربلاء، حينما رأى غزوه لها واجباً مقدساً، وأباح لأتباعه نهب ممتلكاتها بوصفها غنائم، وقسّمها- بعد أن عزل أخماسها- للراجل سهم وللفارس سهمان[٥٥]، مثلما تقسم أموال المشركين في الأرض المفتوحة عنوة.

لكن الحديث عن الدافع الطائفي يحتم علينا الوقوف عند نقطة لايمكن تجاوزها، وهي أن النجديين لم يميزوا- في غزواتهم- بين شيعة العراق وسنته، فالطوائف في الفكر السلفي متساوين في العداء، ولا ادل على ذلك غاراتهم على نواحي الأنبار قبل مدة وجيزة من الغزوة موضع البحث، وقتلهم العشرات من بلدتي عانه وكبيسه[٥٦]، وهدمهم مرقدي طلحة بن عبيد الله والتابعي الحسن البصري رضي الله عنهما في بلدة الزبير من نواحي البصرة[٥٧]. ومن المعروف أنهما مقدسان لدى أهل السنة خصوصا ومصانان لدى إخوتهم من ابناء الطوائف الاخرى مثلما هي كربلاء مقدسة لديهم أيضاً. وعلى العموم فإن أحداث كربلاء لم تظهر فجأة أونتيجة لحدث مفرد، بل نتيجة تراكم تدريجي لمعطيات تاريخية مختلفة، أظهرت

أن المسألة ليست مذهبية في أعماقها، بل هي تعبير عن طموح سياسي ونزعة بدوية متأصلة وجدت متنفسا لها في هذه الدعوة التي تجيز قتل من خالفها كائنا من كان.

ثالثاً: اعمال القتل والنهب في غزوة كربلاء

لا شيء أضرّ بسمعة الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية في أنحاء العالم الإسلامي بقدر ما فعلت أحداث كربلاء الدموية، التي وُصفت بأنها أعنف ماشنته قبائل نجد من غزوات على البلاد المجاورة، فقد جرت عمليات قتل واسعة النطاق بأبعد مدىً من القسوة[٥٨]، باستخدام السلاح الأبيض والناري وملاحقة أهالي المدينة الهاربين على وجوههم إلى الازقة والدهاليز وقتلهم ذبحاً أوبأية طريقة أخرى، كما وُجد بعض الأطفال من بين القتلى[٥٩]. ومن الأمور ذات المغزى أن كلّ عمليات القتل والاعتداء نفذت بإسم الدين؛ إذ كان عددٌ من النجديين –حسبما أفاد شهود عيان–[٦٠] يصرخون لتأليب رفاقهم للانغماس في عمليات التصفية الجسدية قائلين: «**اقتلوا الشيعة... اقطعوا رقاب الكفرة**». ولم تكن تلك الكلمات للترويع فحسب بل نفذ أمر قطع الاعناق بعدد كبير من الناس، لاسيما في أروقة الحرم الحسيني المطهر وفنائه الرئيس، زاعمين أن ذلك ما أوصاهم به الله تعالى، حسبما ذكر بعض المعاصرين للحادثة[٦١]، أكدته بعض المصادر التي أوردت أسماء عددٍ ليس بالقليل من الضحايا، وفيهم العلماء المعروفون والمحققون الكبار والأدباء وطلبة العلوم الدينية وسدنة الروضة الحسينية[٦٢]. منهم الشيخ عبدالصمد الهمداني أحد المحققين الكبار، وقد أخرج من داره بالحيلة ثم قتل، وقتل معه معه جماعة من الطلبة والرجال، وقتل موسى

بن محمد الحائري سادن الروضة الحسينية ومعه خمسة من أخوته وأقربائه، والسيد علي بن محمد أبي المعالي الكبير الطباطبائي وهومن العلماء أيضاً[٦٣]. فضلاً عن ذلك فقد تمكن النجديون من القبض على جماعة لا يعرف عدد أفرادها من العبيد الأحباش واقتادوهم ضمن الغنائم[٦٤].

أما بشأن عدد الضحايا فليست هناك أرقام محددة، ويستحيل الآن التحقق نهائياً مما توفر منها، وعلى كلّ حال وعلى الرغم من أحداث العنف القاهرة التي وقعت في كربلاء فإن ما ذكرته المصادر من الاعداد الكبيرة للضحايا هي عديمة الدقة، وأقل ما يقال عنها إنها تبقى موضع شك، فالمبالغة جلية في الروايات التي تحدثت عن (ثمانية) آلاف و(عشرين) الف قتيل، فالأرقام كبيرة جداً لمدينة مثل كربلاء لا يزيد عدد سكانها آنذاك على خمسة الاف نسمة[٦٥] مما يدفعنا إلى بحث النقاط الآتية:

١. إن مقدار ما لبثه النجديون في المدينة كان زمناً قصيراً جداً، نستطيع تقديره بـ(٦-٧) ساعات تقريباً، استناداً إلى فحوى روايات معظم المصادر التي أفادت أنهم نجحوا في استكمال عملية العبور إلى داخل المدينة في ضحى (١٨/ذي الحجة)، وأقاموا فيها حتى عصر ذلك اليوم[٦٦]. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار مقدار ما استغرقه النجديون من وقتٍ في جمع الأسلاب واستخراجها من المزارات وتهديم الأضرحة -وهي أمور ركّزوا اهتمامهم عليها في الحقيقة- فلن يبق لهم إلا الشيء اليسير من الوقت الذي لا يكفي لقتل هذا العدد الكبير من الناس. ففي إحدى الروايات ورد أن القتل والنهب استمر يومين[٦٧]، وهذا ليس صحيحاً، إذ إنه يخالف ما اعتادت عليه

القبائل النجدية في كل غزواتها وتكتيكاتها العسكرية- إن صح القول- التي تعتمد عنصر المناورة والانتقال من مكان الى آخر بأقصى سرعة ممكنة تجنباً للصدام مع القوات النظامية.

ومن الجدير بالذكر -لتعزيز هذا الاعتقاد- أن الحرم الذي يرقد فيه ابوالفضل العباس بن علي بن ابي طالبعليهما السلام لم يمُس بسوء[٦٨]، على الرغم أنه لايبعد عن المرقد الرئيس في المدينة لأخيه الامام الحسينعليه السلام اكثر من (٣٠٠) متر. ومن الممكن إعطاء اجابة بهذا الخصوص، اذ ربما يكون النجديون قد جهلوا موقعه أساساً لأنه يقع آنذاك خلف عددٍ كبير من الحوانيت والأزقة والدور الملتصقة به، ولعلهم لم يجدوا الوقت الكافي لينالوا منه كما نالوا من الضريح الآخر، ولعله جاء نتيجة الأمرين معاً.

٢. من المرجّح أنّ عمليات القتل لم ترتكب إلاّ في الساحات والأسواق والأضرحة، وليس في البيوت، وأن رواية أبي طالب خان الذي زار كربلاء في (كانون الثاني ١٨٠٤) أي بعد مرور سنة وسبعة اشهر فقط من الحادثة تشير إلى ذلك، فيذكر أنه التقى بإحدى عمّاته وعددٍ من رفيقاتها اللاتي استوطنَّ كربلاء منذ زمن وكنَّ موجودات فيها أثناء الحادثة، فتحدثن إليه عن سلب النجديين لأموالهن وما يملكن من أشياءٍ ثمينة فأعانهن بما يستطيع من مال[٦٩]. فيظهر من عرضه أن النجديين وإنْ اقتحموا بعض البيوت، فإنهم لم يقترفوا عمليات قتل داخلها، بدليل أن النساء المشار إليهن بقين على قيد الحياة، على الرغم من امتداد ايديهم إليهن لسرقتهن.

وأفاد مصدر آخر[٧٠] في الجانب نفسه ان عدداً من الاشخاص المعروفين لم

يُقتلوا إلا عند خروجهم من منازلهم ووقوعهم في ايدي النجديين خارجها. يقول (لونكريك): «أما البلدة فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً، وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفهم كما سرقوا كل دار. ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء، ولا الرجال فلم يسلم أحد من وحشيتهم ولا من إساءتهم[٧١]. ووصف ما حدث في كربلاء بأنه «فاجعة كبرى دلت على منتهى القسوة والوحشية والطمع الذي استعمل باسم الدين»[٧٢] ولم تستطع المصادر المحسوبة على السعوديين أوالمنحازة لهم أن تخفي حقيقة الأمر أوتتهرب من نشر تفاصيل مركزة عن ضراوة الوهابيين وحوادثهم الجارية في كربلاء، ولكنها في الوقت نفسه لم تفعل شيئاً لإدانتها، بل سعت إلى تبريرها، بشتى الوسائل، فذكرت ظلماً وبهتاناً أن الصندوق الموضوع على قبر الإمام الحسينعليه السلام يشابه (الأنصاب) التي يقوم المشركون على ركنها قرابينهم قبل الإسلام...!![٧٣].

٣. وهذه النقطة هامة، اذ تشير بعض الدلائل إلى انَّ اعراباً من البادية القريبة من كربلاء قد انتهزوا فرصة حلول الفوضى فيها فهاجموا المدينة يقتلون وينهبون، وهم يرتدون أرديـة أهل نجد لترويع السكان، واستمر هذا الوضع ليوم واحد أوأكثر بعد رحيل النجديين[٧٤]. بل أن أحد المعاصرين ذكر أن الأعراب استفادوا من الذعر الذي عمّ كربلاء ونواحيها، فدخلوها ونهبوا جميع ما لم تمد إليه ايدي الوهابيين، وقتلوا ايضاً عدداً كبيراً من الناس، «**ولبثوا في المدينة نهارين وليلة واحدة**»[٧٥]. ومن المحتمل ان بعض المؤرخين قد جمع بين ضحايا العمليتين اوالتبس عليه الامر فلم يميز بينهما. وبعيداً

عن الاندفاعات الشخصية وعدم الدقة فان اكثر الروايات قبولاً وعقلانية، تؤكد أنّ عدد الضحايا كان يُقدر ما بين ألف إلى ألفي شخص(٧٦)، وهوعدد هائل أيضاً.

وقد صوّر أحد الشعراء المعاصرين (وهومحمد رضا الأزري البغدادي) (ت ١٢٤٠هـ) مشاهد القتل والرعب التي كان الوهابيون أبطالها في كربلاء، يومئذ، ووصفها وصفاً دقيقاً ومؤلماً جاء في بعضها ثنايا قصيدته التي ناهزت ١٠٣ بيتاً.

رزءٌ تحار به الرهبان لوسمعت — من دير سمعان لا بل من دير سمعان

يا غيرة الله للأرحام جا نحة — لرضعٍ ما أتوا يوماً بعصيانِ

لنبش قبر ابن بنت المصطفى، لدمٍ — يجري عليه بتشريق وبهتان

لشيبة خضبت بالدم وهي على — محرابها بين مصباح وقرآن

وفضلاً عن قتل المصلين كما يقول الشاعر فإن الغزاة لم يتورعوا عن ترويع النسوة بقتل ذويها وأولادها أمام عينيها، فيقول:

لفتية دفنوا من غير ما غسلوا — ولا تزودوا كافور وأكفان

للمرضعات اللواتي كلما هدأت — ترى مصارع أشياخ وولدان

لقتل خمسة آلاف بآونةٍ — من النهار سوى المستشرف الفاني(٧٧)

وغيرهم من الشعراء المبرزين مثل أحمد بن الشيخ كاظم الرشتي وأحمد بن الشيخ داوود وأحمد درويش البغدادي، وحسين بن سليمان الحكيم الحلي(٧٨).

وذكر الشاعر هاشم الكعبي المتوفى سنة ١٢٣١هـ مشاهد أكثر دقة وأشمل في معلوماتها التفصيلية عن سفك الدماء دونما رحمة وبوحشية عارمة، إذ يقول مخاطباً كربلاء المنكوبة في قصيدة شعرية ناهزت السبعة وثمانين بيتاً من الشعر:

قد كنت أحسب أن غاية كربها ... يوم قضى (ابن محمد) فيها ظما
فإذا الرزايا لا تزال بربعها ... قد تطرق بالخطوب وتوأما
لا أشيباً تركوا ولا مستضعفاً ... كلا ولا متضرعاً مستسلماً
كم حرة مسحوبة مضروبة ... سلب اللئام قناعها سلب الإما
كم ذات خدر أخرجوها عنوةً ... من خدرها فغدا حريقاً مضرما
قتل الرجال لشركهم في زعمه ... فالطفل أية جرمة قد أجرما[٧٩]

وفي أثناء عرضه لترجمة السيد علي بن محمد بن أبي المعالي الكبير الطباطبائي المستوطن في كربلاء قال المؤرخ باقر الخونساري: «وكان قتل الوهابية الملعونة في السنة السادسة عشرة والمائتين والألف كما مر في باب العبادلة وذلك في عيد الغدير منها المتوجه غالب أهل البلد (كربلا) فيه إلى مخصوصة أمير المؤمنين عليه السلام ومن عجيب الاتفاق في تلك الواقعة العظيمة أيضاً بالنسبة إلى سيدنا صاحب الترجمة رحمه الله أنه لما وقف على قصدهم الهجوم على داره بعزيمة قتله وقتل عياله ونهب أمواله فأرسل بحسب الإسكان أهاليه وأمواله في الخفاء عنهم إلى مواضع مأمونة وبقي هووحده مع طفل رضيع في الدار.. ثم أن أولئك الفجرة الفسقة.. لما فعلوا ما فعلوا وقتلوا ما قتلوا ونهبوا ما نهبوا من المؤمنين والمسلمين... وهتكوا حرمة ابن بنت رسول الله الأمين بحيث ربطوا الدواب الكثيرة القذرة في الصحن المطهر وأخذوا جميع ما كان من النفائس في الحرم المنور، قلعوا ضريحه الشريف وكسروا صندوقه المنيف، ووضعوا هاون القهوة فوق رأس الحضرة المقدسة على وجه التخفيف ودقوها وطبخوها. وشربوها وسقوها كل شقي غريب وفاسق غير عفيف ولم يتركوا حرمة إلا هتكوها ولا عدواة إلا أنموها خافوا على أنفسهم

الخبيثة من سوء عاقبة هذه الأطوار ومن هجوم رجال الحق عليهم بعد ذلك من الأقطار فاختاروا الفرار على القرار، ولم يلبثوا في البلد إلا بقية ذلك النهار»(٨٠).

ومن ناحية اخرى بذل المهاجمون ما في وسعهم لانتزاع ما امكنهم من مرقد الامام الحسين عليه السلام والمباني القريبة منه، لا سيما أن روضته المقدسة كانت قد استقبلت من الهدايا والتحف ما قلَّ نظيره في العالم، فاستولوا مثلاً على كميات كبيرة من الذهب والجواهر النفيسة وتحفٍ نادرة ومصاحف ثمينة، مهداة من بعض ملوك البلدان الاسلامية وامرائها وغيرهم لعدة قرون(٨١)، وكانت العتبة الحسينية الشريفة قد أكسيت بالصفائح الذهبية قبل خمسة أعوام فقط من الغزوأي عام ١٢١٦هـ-١٧٩٧ بإشراف مباشر من الأمير محمد حسين ابن حاكم إيران فتح علي شاه قاجار (١٧٩٧-١٨٣٤)(٨٢)، واستولوا أيضاً على خزائن مليئة بأموال المتبرعين من الزائرين؛ إذ وجدوا فيها مئات الالاف من قطع النقد المحلية وأجنبية (الذهبية منها والفضية)، كما انهم حملوا حوالي أربعة آلاف قطعة من السجاد الكشميري بأحجام مختلفة وعشرات السيوف المُحلّات بالذهب والمرصعة بالاحجار الكريمة، ومئات السيوف الفضية وعدد من الأواني والقناديل المصنوعة من الذهب الخالص وصناديق الفضة وستائر حريرية فاخرة والابواب المرصّعة والمرايا المزينة(٨٣). ومن المتعذر حقاً إعطاء وصف كامل لما نُهب، لعدم وجود احصائيات دقيقة اوجهات رسمية متخصصة اشرفت على جرد محتويات الحرم المطهر.

وفي السياق نفسه، وتحت زعم أن في ذلك قرة لعين الإمام الحسين عليه السلام(٨٤) تم تخريب أجزاء مهمة من الروضة الحسينية، لا سيما قلع الشباك والصندوق

الثمينين الموضوعين على القبر، وهدم الآجر الملوّن على صفحات جدرانه الفخمة. ويذكر أن الصندوق الخشبي الرائع كان قد صُنع وأهدي على عهد الشاه طهاسب الثاني عام ١١٣٣هـ، وتذكر المصادر أن الوهابيين لم يتمكنوا من سحبه إلى نجد ففككوه وأحرقوه(٨٥). وهدمت أيضاً أوأُحرقت بعض المشاهد الملحقة به وحاولوا أيضاً قلع صفائح الذهب المرصوفة على القبة(٨٦) فلم يوفقوا في ذلك، ويمكن إرجاع سبب بقائها على حالها إلى ان تلك الصفائح كانت مثبتة جيداً حسبما ذكرت إحدى المصادر(٨٧)، ويبدوأنّ الأجواء كانت مشحونة وشديدة التوتر، فلم يجد النجديون الوقت الكافي ليفعلوا كل ما يريدون.

وعلى الرغم من أنّ غزوة كربلاء عدّت عديمة الأهمية من الناحية الاقتصادية في نظر بعض المؤرخين(٨٨) فليس للمرء إلاّ أن يشعر، كما سيتضح لاحقاً أنّ الاموال الوفيرة والنفائس الثمينة التي غنمها النجديون من مدينة الإمام الحسين قد شدّت عزيمتهم ومنحتهم «**درجة عالية من الزهووالشهرة والثقة بالنفس**»(٨٩) وشجعت الكثير من القبائل البدوية المتعطشة للغزوعلى الانضمام إلى صفوفهم للحصول على غنائم ضخمة وغير إعتيادية، وحسبما يقول ابن سند البصري «**بأموال كربلاء استفحل أمر سعود وطمع في ملك الحرمين وشرع في محاصرة المدينة المنورة...**»(٩٠).

وفي المقابل، وعلى الرغم من احتفاظ كربلاء بقدسيتها الدينية في قلوب أكثر المسلمين، إلا أنها أخذت تفقد مكانتها التجارية والسوقية، بعد أن نهب الوهابيون ما فيها من كنوز وخزائن وقتلوا العدد الكبير من سكانها، وعاثوا في البلاد الفساد. ومن الطبيعي أن التجار الكبار والأثرياء وهم عصب الحياة

الاقتصادية لم يكونوا بعيدين عن هذه الحقيقية، فأخذ معظمهم يهاجرون عنها إلى مناطق أخرى بحثاً عن مدن أكثر أمناً(٩١). وبعد أن كانت كربلاء إحدى منائر العلم وواحدة من محاور الحركة التجارية في العراق خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وقبلة لكثير من العلماء والطلبة والتجار العرب والأجانب(٩٢) أصبحت المدينة في السنين القليلة اللاحقة في حالة شديدة من من تدهور اقتصادها وخراب أسواقها، وضعف شديد في مؤسساتها الخدمية الأهلية والحكومية، وعاشت ظروفاً معيشية قاهرة، ليس فقط لفقدان التجار الثقة والأمان والقانون الذي يحميهم فيها، بل للإهمال الذي طالها، واستمرار الغارات القبلية النجدية وغيرها(٩٣).

رابعاً: الموقف الدولي تجاه غزو كربلاء

١. موقف المماليك والدولة العثمانية من الغزو:

كانت كربلاء من الناحية الإدارية ((سنجقاً)) تابعاً لولاية بغداد التي تدار من قبل الولاة العثمانيين ((المماليك آنذاك))، إلا أن نفوذ الدولة كان هشاً مزعزعاً، ويكاد يكون نفوذ المماليك في كربلاء مقتصراً على السيادة الاسمية، والاكتفاء بما تدفعه من الضريبة السنوية، التي تقدر بحوالي (٣٥) ألف قران فارسي[٩٤]. ولم تتخذ حكومتهم التي أبقت سلطتها الفعلية محصورة في بغداد وأهملت شؤون السكان في باقي انحاء البلاد خطوات جادة للحيلولة دون تعرض المناطق الغربية من العراق، وكربلاء على نحوالخصوص، لغزوات القبائل النجدية[٩٥]. فمن الملاحظ أن القوة العسكرية التي أرسلها الوالي سليمان باشا بهدف صد الغارة الأخيرة قد تباطأت بالمسير، وعسكرت لمدة طويلة تصل إلى اسبوع، وبشكل يثير الاستغراب، في (الدورة) جنوب غرب بغداد، بحجة انتظار من يلتحق بها من قوات العشائر[٩٦]. وبدلاً عن التوجه -بشكل مباشر- نحوكربلاء عسكرت مرة أخرى في الحلة، وهناك تلقى قائدها (علي باشا) خبر الهجوم المدمر الذي اجتاح المدينة[٩٧]. وبعدها تمكن النجديون، بما يتمتعون به من سرعة الحركة، الانسحاب نحوموضعٍ يسمى (الابيّض) من تلقاء أنفسهم، ومن دون أن تنازلهم قوة ما، يسوقون أمامهم مئتي جمل محملة بالأسلاب[٩٨]. يقول

المؤرخ البصري عثمان بن سند في كتابه (مطالع السعود) منشداً شعراً جاء في نصه)).

سفك الدماء وظن ... أن صنيعه ينجيه
ولقد تجاوز حدّه ... في كل ما يجنيه
أغوى الورى وأظلّهم ... من غيه في تيه

ثم ثنى عنان العود إلى نجد متبجحاً بما صدر من عسكره وجنده قائلاً بلسان المقال والحال: لولم نكن على الحق لما انتصر عسكرنا وما درى أن الدوائر تدور... وإن إراقة الدماء أعظم الجرائم... وأن من قال لا إله إلا الله عصم نفسه وماله...))[٩٩].

اختلف عدد من المؤرخين والكتاب في الموضع الذي اختاره (سعود) بعد الواقعة لتقسيم الأسلاب بين مقاتليه. فمنهم من ذكر أنه أجرى تلك العملية في واحة (الابيّض) قرب السماوة غرب العراق حسبما ورد في: عثمان بن عبدالله بن بشر. بينما أوردت المصادر التالية: يوسف كركوش، رسول حاوي الكركوكلي،؛ علاء موسى كاظم نورس، أنه استقر بجوار قصر (الاخيضر) الأثري. وفي ضوء عددٍ من الاعتبارات الجغرافية والتاريخية يمكن القول أن الرأي الاول يبدواكثر رجحاناً من الثاني، فعلى الرغم من قوة المصادر المذكورة الأخرى إلا أن «ابن بشر» يُعد أقرب إلى الأحداث وشاهداً عيانياً لما يجري في العاصمة النجدية (الدرعية)، بوصفها موطنه وملتقى الغزاة الآيبين من غزواتهم، ومن المؤكد أنه نقل هذه المعلومات عنهم ولوبعد حين. أما في الحسابات العسكرية فلا يمكن لـ(سعود) المعروف بحنكته الميدانية أن يختار الاخيضر موضعاً لاستقراره كونه قريب نسبياً من كربلاء (٨٠ كم غرباً)، ومن المحتمل جداً أن يكون هدفاً للقوات

العثمانية أوالقبائل العراقية المحيطة به إنْ عزمت على اللحاق به، على عكس الموضع الثاني (الابيّض) الذي سيكون فيه سعود في موقف المطمئن؛ اذْ انه يبعد حوالي (٢٨٠ كم) الى الجنوب الغربي، وسبق للنجديين أن خبروه وعرفوه بعد أن خاضوا فيه معارك ناجحة لهم ضد خصومهم من أبناء عشائر (المنتفق) قبل أشهر قليلة. والأهم من ذلك أن الشواهد التاريخية -كما سيتضح لاحقاً- أثبتت أن القوات النجدية عرّجت إلى النجف للاغارة عليها قبل توجهها إلى نجد. فإذاً من المستبعد جداً ان يهاجم سعود النجف ثم يرجع شمالاً إلى الاخيضر لتقسيم ما غنمه من كربلاء وبعدها جنوباً إلى نجد، والأحرى أن يواصل سيره من النجف نحونجد مروراً ببادية السماوة وواحاتها[١٠٠]. ولم يجرؤ علي باشا على ملاحقتهم في البادية، أوحتى مواصلة المسير نحوكربلاء، بل بقيت قواته تنتقل بين هذه المنطقة وتلك لأكثر من شهرين، ولم يسعه القيام باتخاذ الاحتياطات اللازمة تجاه الازمة، سوى الحفاظ على المظاهر التي تطلبت المباشرة ببناء سور للمدينة وإرسال قوات عشائرية مؤقتة[١٠١]، لم تكن كافية لحمايتها من الغارات النجدية، بل حتى من قطاع الطرق الذين يُرجفون المدينة بين الفينة والأخرى لنهب أملاك أبنائها[١٠٢].

وعلى العموم فقد بقيت باشوية بغداد، بحكم علاقاتها السلبية غالباً مع قبائل وسط العراق وجنوبه وعدم توافر الثقة بين الطرفين لحقبة طويلة، لاتستطيع الدفاع عن حدود العراق في وقتٍ لم تسمح لتلك القبائل بالدفاع عن نفسها أيضاً، ولم توكل حماية المدن المقدسة للقبائل العراقية، مما جعل القوات النجدية تعود إليها غير مرة وفي أوقات متقاربة[١٠٣].

ويمكن النظر إلى قرار المماليك نقل خزائن الروضة الحيدرية في النجف، بمحتوياتها كافة، إلى بناية الروضة الكاظمية في بغداد خشية من أن يحدث لها مثلما حصل لكنوز كربلاء(١٠٤)، بوصفه دليلاً يثبت عجزهم وواقعهم المتردي، ويفسر عدم قدرتهم على التصدي لغارات النجديين؛ اذْ انهم لم يفكروا كيف يمكن إنقاذ الأرواح وردع القبائل المعتدية على مدن العراق، بل بكيفية الحفاظ على «**التحف والمجوهرات**» وليس أرواح الناس، وليس ردع القبائل المعتدية على مدن العراق. فضلاً عن ذلك فقد أظهر ممثلهم في كربلاء عمر اغا (١٨٠٠-١٨٠٢) روح التقاعس عن التصدي للموقف بجلي الصورة؛ اذْ فرَّ من المواجهة الى القرى الريفية المجاورة عند أول روعٍ ألقاه النجديون على المدينة، تاركاً إياها تواجه مصيرها بنفسها، الأمر الذي حمل أهلها على اتهامه بالتواطؤ مع الغزاة(١٠٥). فأمر سليمان باشا بأن يُساق الى محكمة خاصة، حكمت عليه بالإعدام فأُعدم(١٠٦). وسواء أكان هروب المسؤول امراً مدبراً سلفاً أم كان -ببساطة- نوعاً من الانهزامية والخوف من ضراوة القادم الجديد، والتسليم بالأمر الواقع فإن تغيبه المتعمد في ساعة المحنة أثار تساؤلا حول كيفية علمه بأمر الهجوم قبل مدة من وقوعه بالشكل الذي يكفي لهروبه ؟ مع عدم إخبار السكان لكي يتخذوا الاحتياطات الممكنة. وعلى العموم فإن إعدام الشخص المشار إليه كان مجرد ستار تخفي حكومة بغداد المملوكية به فشل أجهزتها عن حماية حدود العراق وحصر التقصير في ذلك الشخص فقط.

اختلفت نظرة الدولة العثمانية إلى الدعوة الوهابية بحسب الظروف والأولويات، ففي البدء كانت تعد تحركها مع قبائل نجد مجرد انتفاضة قبيلة

عابرة كعادة القبائل في المنطقة، فنجد من الناحية الاستراتيجية بعيدة نوعاً ما عن المراكز السياسية والاقتصادية للدولة العثمانية ولكن حينما تحولت الدعوة والدولة السعودية الأولى إلى تحدٍ ديني وسياسي خطير وأخذت تهدد طرق الحج وامتدت إلى إمارة حائل والإحساء، جردت الدولة العثمانية جهودها المتواضعة للوقوف بوجهها[١٠٧].

٢. الدولة القاجارية:

تلقت الدولة القاجارية (١٧٩٥م-١٩٢٥)[١٠٨] في بلاد فارس انباء واقعة كربلاء باهتمام بالغ، واصفة اياها إعتداءات صارخة على المقدسات، ومعلنة أنها تركت وقع مؤلم في نفوس المسلمين جميعاً، وأمر حاكمها فتح علي شاه (١٧٩٧-١٨٣٤) باعلان الحداد العام في أرجاء بلاده وإقامة المآتم[١٠٩]. والأهم من هذا أنه أرسل إلى الوالي سليمان باشا احتجاجاً شديد اللهجة ملقياً تبعة ما حصل على عاتق الدولة العثمانية، ومبدياً استعداد بلاده لـ«**سحق**» آل سعود «**الوهابيين**» حسب تعبيره، بقواتٍ تعبر الأراضي العراقية اذا ما استمر الوالي على موقفه «**المتخاذل**» عن توفير الحماية للعتبات المقدسة[١١٠]، ومطالبا بتعويضات مالية كبيرة عن بعض رعاياه الذين قتلوا أوأسروا، وعما نهب من الكنوز الثمينة التي قدمها أسلافه للروضة الحسينية، وعما ادعاه من الخسائر المالية التي تعرض لها التجار الفرس[١١١].

ومن الواضح أن الشاه استغل هذه الحادثة وأخذ يركز على نقطة هي عجز الوالي عن توفير الحماية اللازمة للعتبات المقدسة، وهدد بأن استمرار هذه الموقف

سوف يدفعه إلى قيادة حملة انتقامية على نجد عبر العراق لردع الوهابيين[١١٢].

عمل سليمان باشا على منع الدولة القاجارية من استغلال الحادثة، ورفض -بلباقة- طلبها إرسال الحملة، موضحاً أن حكومة بغداد وحدها من سيقوم بمهمة حماية حدود العراق[١١٣]. ولتفادي غضب البلاط الفارسي أرسل إليه مجموعة من الهدايا مثلما ذكر (جونز)[١١٤]. وتلقى الشاه خبر ثانٍ أفقده فرصة التدخل الثمينة ولم يمكنه من تنفيذ تهديده، ألّا وهوالهجوم الروسي على حدود فارس الشمالية[١١٥]. ولعل هناك عوامل كثيرة أسهمت في هز الثقة وتدهور العلاقات بين الدولتين القاجارية والعثمانية، منها مشاكل الحدود المتفاقمة والمواقف المتأرجحة لأمراء آل بابان في كردستان العراق، وقد أدى هجوم الوهابيين على كربلاء إلى وقف المفاوضات الجارية آنذاك في مدينة أرضروم التركية من قبل اللجنة الرباعية بالتعاون مع بريطانيا وروسيا لتسوية المشكلات الحدودية بين الدولتين منذ أمد طويل[١١٦].

بذلت حكومة السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) في اسطنبول من جهتها مساعٍ صريحة للحيلولة دون أن تزيد أحداث كربلاء في سلبية العلاقات بين الدولتين[١١٧]، في وقتٍ ضعفت فيه سلطة المماليك في العراق، بفقدانهم الرجل القوي (سليمان باشا) في السابع من آب ١٨٠٢[١١٨]، فخلفه علي باشا (١٨٠٢-١٨٠٧) الذي أصبحوا في عهده أبعد من أن يكونوا مدافعين عن أطراف البلاد، لانشغال الباشا الجديد في قمع الاضطرابات[١١٩]، ولأن الباب العالي أضاف على كاهله ثقلاً جديداً؛ اذْ طلب منه أن يسعى بجدٍ للإبقاء على علاقات ودية بين الدولتين (العثمانية والقاجارية)، وذلك من خلال طرح

مسألة التصدي لمن أسماه «**الخارجي**» ابن سعود، وإعلان الحرب ضد النجديين بوصفها مهمة ملحة[١٢٠].

كان المماليك في وضع لا يحسدون عليه، فالسعوديون أغاروا على كربلاء وما زالوا يغيرون على العراق البلاد الغربية، ولهم دعاتهم في قلب العراق نفسه، والفرس يتحرشون به من الشمال بإثارة القبائل الكردية هناك، ومن الجنوب كانت العشائر تعلن العصيان باستمرار، وقد ورث علي باشا مشكلة اعتداءات الوهابيين في أدق مراحلها، فجرد حملة ضدهم لكنها لم تجرؤ على الدخول في الأراضي النجدية وعادت دون تحقيق أي نجاح، وكانت أقرب إلى أن تكون حركة عسكرية رمزية، استهدفت ترضية الباب العالي، وأثبت مماليك العراق أنهم ليسوا بالقوة القادرة على حمايته وقمع الحركة الوهابية المثيرة للفتن حتى داخله[١٢١]. يقول هارفرد جونز: ((لقد كان الباب العالي يتمنى لوأنه استطاع أن يتخلص من تبعات هذه الحوادث المحزنة والثقيلة عن طريق عزل الباشا، ولكن الباشا يعلم جيداً أنه على الرغم من أن الرغبة في القيام بعمل كهذا لم تكن غائية، إلا ان القوة اللازمة لتنفيذه كانت أكثر من أن تكون مجرد مشكلة، إلا في حالة وعد بلاد فارس بالمساعدة. وبناء على ذلك لم يضيع الباشا الوقت حيث إنه استخدم كلّ الوسائل المتوافرة لديه لتسكين غضب كلا البلاطين العثماني والفارسي))[١٢٢].

وفي الواقع لا يمكن النظر الى مبادرة الباب العالي هذه إلّا بأنها دعوةٌ إلى نزاع قاتل، نظراً إلى وضع المماليك الذي لايُحسدون عليه، وهووضع مليء بمشاكل القبائل وحركاتها المسلحة في شمال العراق وجنوبه، يقابله النموالمضطرد لقوة

السعوديين وتحقيقهم المكاسب على القوى المجاورة، لاسيما استيلائهم على مكة في نيسان عام ١٨٠٣[١٢٣].

٣. موقف بريطانيا:

اصبحت بريطانيا على اقتناع تام بعد حادثة كربلاء أن محاولة نشر الدعوة السلفية خارج حدود نجد سوف تقلق طموحها في التوسع والسيطرة على منطقة الخليج العربي ومن ضمنها العراق الذي كان محط اهتمامها الاستعماري، وتؤدي الى اشاعة الفوضى في الطرق التجارية[١٢٤]، وقد نجح البريطانيون في إثارة الدولتين العثمانية والقاجارية ضد امراء الدرعية وحثهما للقضاء عليهم، مستخدمين -لتنفيذ مخططاتهم- قنصلهم في بغداد. (هارفورد جونز Harfor Jones) ١٧٩٨-١٨٠٦[١٢٥]، الذي اقنع والي بغداد (سليمان باشا) بإصدار وعد يقضي بمعاملة القنصلية البريطانية في بغداد بكل احترام وتقدير على وفق مبدأ المنافع المتبادلة بين الطرفين، ومنح البريطانيين الامتيازات التي يطلبونها في العراق، وان يتعاون معهم للوقوف بوجه المخططات الفرنسية المتوجهة نحو الشرق[١٢٦]، في مقابل وعدٍ منهم في استمرار حصوله على الاسلحة والذخائر التي تقدمها له حكومة الهند البريطانية منذ عام ١٧٩٩، لمساعدته في صد الخطر السعودي الذي عجزت قواته عن وضع حدٍ له[١٢٧].

ونجد أن هارفرد جونز قد خصص في كتابه (موجز لتأريخ الوهابي) حوالي عشرة صفحات تحت عنوان (حادثة كربلاء المحزنة)، أشار فيها الى تبرع الشركة (شركة الهند الشرقية الانكليزية) بمساعدات مالية لضحايا المدينة المنكوبة،

مركزاً على أثر ذلك إيجابياً في نفوس السكان والدولتين العثمانية والقاجارية. وأورد تفاصيل رسالة ترجمها من العربية تلقاها من أحد تجار مدينة الكاظمية يصف فيها الهجوم الوهابي على كربلاء، وملاحظات نقلها من كتّاب آخرين عن المنهوبات التي أخذها الوهابيون من تلك البلدة، لكنه في الوقت ذاته خرج عن الموضوع الرئيس وأسهب في الحديث في إيراد اقتباسات من تأريخ المسلمين وكيفية استشهاد الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته على يد الأمويين. وعلى العموم فإن كتابته تشير بدون أدنى شك إلى أمور منها علاقته الوثيقة مع الفئات المتنفذة والمؤثرة في بغداد، بحيث يتلقى الرسائل من أعيانهم، كما أن البريطانيين كانوا حريصين على تلميع صورتهم في أعين الناس بالشكل الذي يقربهم من العامة باعتبارهم ((أسخياء)) ويبذلون ما في وسعهم تجاه الضحايا(١٢٨).

خامساً: الغارات اللاحقة

لم يكتف النجديون بما غنموه في كربلاء، وأرادوا ان يعززوا انتصارهم بمهاجمة النجف (٨٠ كم جنوباً) لايقاعها في قبضتهم، ولكنهم تفاجئوا بوضع مختلف تماماً، إذْ أجبرتهم مناعة اسوار المدينة ويقظة النجفيين والنيران الكثيفة التي أطلقوها عليهم؛ على الانسحاب والتقهقر إلى الصحراء[١٢٩].

وفيما عدا ذلك الانكسار الجزئي فإن الغارات النجدية سببت خسائر فادحة وكبيرة لسكان المناطق الجنوبية والغربية وخلفت وراءها قدراً اكبر من مشاعر السخط والاستياء لدى العراقيين، لدرجة أن رجلاً انطلق من العراق الى نجد عام (١٢١٨هـ - ١٨٠٣) بهدف قتل الأمير سعود بن عبدالعزيز في عقر داره (الدرعية)، واختلفت المصادر في تحديد هوية الرجل ودوافعه، ففي حين عدَّته بعضها من أبناء كربلاء الراغبين في الانتقام مما لحق بمدينتهم من دمار[١٣٠]، قالت عنه أخرى إنه فارسيٌ[١٣١] أوأفغانيٌ درس العلوم الدينية في بغداد، وتوافق أنْ زارت زوجته واطفاله كربلاء أيام غزوها، فقُتلوا ذبحاً على يد النجديين، فرحل والدهم بطريقةٍ ما إلى الدرعية وادّعى اعتناقه الفكر السلفي، وعمل هناك حوالي عام منتظراً الفرصة لأخذ ثأر أطفاله[١٣٢]. وذهبت مصادر نجدية أومقربة منها إلى انه من أكراد العراق يسكن بلدة العمادية قرب دهوك[١٣٣]، في حين تميز صاحب (لمع الشهاب) بتسميته للقاتل بأسم «**علي البغدادي**» وأن علي باشا والي

بغداد أرسله للقيام بالمهمة[١٣٤].

والملاحظ أنّ الجميع اتفقوا على مكان انطلاقة الرجل وهي العراق، سواء أكان كردياً أم عربياً أم افغانياً، تنكّر بزي دعاة السلفية وارتحل الى نجد، ومن الأمور ذات المغزى أن ابن بشر[١٣٥] تعمّد تضعيف الرواية القائلة بأنه (كردي)، فالأكراد ليسوا من الشيعة على الدعوة السلفية -حسب رأيه وتعبيره-، بل هم من السُنة، وبالتالي ليس لهم مصلحة في قتل امامها، وتبعه (فلبي)[١٣٦] في أنّ الأكراد ليست لديهم دوافع طائفية في الموضوع، ولم يستبعد أن يكون مرتزقاً استؤجر ليقوم بهذا العمل.

وعلى كل حال لا يمكن الركون الى أحد الرأيين؛ اذ لا يُستبعد أن يكون كردياً خرج للانتقام، فإنْ كان أكثرية الاكراد سُنة فإن فيهم الشيعة أيضاً المنتمين إلى المذهب الإمامي الاثني عشري، ينظرون إلى مراقد أئمتهم بالتقديس. أما القول ان القاتل «مرتزق» فقول ضعيف؛ إذ ان مهمته حُددت بالضبط لتكون مهمة انتحارية، ليس من ورائها إلاّ الأجر في الحياة الآخرة حسب فهم الرجل، لأنه قد أنجزها وهوبين مئات من المصلين النجديين، وحال قتله (عبدالعزيز بن سعود[١٣٧] انقضوا عليه اتباعه وقتلوه في ٢ تشرين الثاني ١٨٠٣[١٣٨].

لكن عملية الاغتيال لم تؤدَّ الى تراجع هجمات النجديين وغاراتهم على العراق، ولا حتى إضعافها، نظراً الى القيادة الأكثر ثباتاً للزعيم الجديد الأمير سعود بن عبدالعزيز (١٨٠٣-١٨١٨)، والهيمنة التي لم تهتز لدعاة الحركة السلفية في بلاده، والقاعدة القبلية المؤيدة لأفكارهم. وفي ضوء ذلك بقيت الأراضي العراقية تتلقى الضربة تلوالضربة بين عامي ١٨٠٤-١٨٠٥[١٣٩]،

بينما شهد عام ١٨٠٦ ظهور مجموعات كبيرة من المقاتلين في البادية الغربية، وصفت بأنها «**جموع عظيمة**»[١٤٠] داهمت في أوائل شهر صفر ١٢٢١هـ-نيسان ١٨٠٦ القرى المتاخمة لكربلاء وهددت المدينة نفسها[١٤١]. فيما نجح قسمٌ منها في التوجه الى (شفاثا) والاستيلاء على حقولها ونهبها. وكان الأمر الأكثر دلالة أنّ أهالي بغداد خشوا على انفسهم من جراء تلك الاعتداءات فأخذوا بالتسلح والاستعداد لتوقعهم بأن مدينتهم ليست في مأمن من الغزوات[١٤٢].

ويذكر أن شراسة الوهابيين في البادية وسطوتهم فيها قد أتاحت لهم المجال للضغط على المناطق الواقعة غرب الفرات، ومنها عشائر غرب كربلاء، وأخذوا يبعثون وكلائهم إلى تلك الأماكن لجباية الضرائب المرهقة، وقد يعدها الوهابيين نوعاً من الجزية بدفعها غيرهم من الذين لا يدينون بالإسلام[١٤٣].

ومن ناحية أخرى لم تستفز تلك الهجمات في باشوية بغداد ردة فعل مناسبة، وأثبتت ان إدارتها الآن أقلّ مقاومة للضغط السعودي من أيّ وقتٍ مضى، فكلّ الذي استطاع (علي باشا) فعله هوأن يسير بقواته ويعسكر في الحلة من دون أن يتخطاها[١٤٤]. وفي تلك الأثناء دخلت قبائل نجدية في اشتباكات دامية مع قبائل (المنتفق) قرب الناصرية والبصرة والزبير[١٤٥]، وفي الوقت نفسه تعرضت مدينة النجف لهجوم نجدي مفاجئ من أربع جهات، استطاع أبناؤها من صده بفضل قوة تحصيناتهم والهمة العالية للمرجع الشيخ جعفر الجناجي (كاشف الغطاء[١٤٦]. وكان لذلك الضغط المتواصل بإرسال الحملات الى العراق تباعاً تأثيره السلبي البعيد، فلقد سبب الاضطراب والأخطار الداهمة في حرمان القبائل الرعوية العراقية من رعي مواشيها في البادية الغربية التي تعد المصدر

الأساس لرزقها ومعيشة حيواناتها، وذلك لخشيتها من ظهور قوة نجدية في أي وقت تقوم بالقتل والنهب(١٤٧).

تجلى الخطر النجدي بوضوح بالترافق مع هذه المخاوف، حينما خرجت حملة قوية عام (١٢٢٣هـ-١٨٠٧م)، قُدّر عدد مقاتليها بحوالي خمسة آلاف(١٤٨)، اتجهوا نحوالنجف وتمكنوا من تطويقها وتسلق البعض منهم سورها، لكن صمود أهالي المدينة الذين جاءتهم الاخبار في الوقت المناسب، جعلت الغزاة يقتنعون بأن اقتحامها امرٌ مستحيل تماماً، فانسحبوا من دون أن يظفروا بشئ(١٤٩).

ويبدوأن ضعف حكومة المماليك وأوضاعها المتردية جرّأتهم على مواصلة الزحف إلى الحلة اولاً، ثم الى كربلاء التي دهموها على حين غرة في وضح النهار وبشكل غير معتاد، ففرضوا عليها حصاراً شديداً، لكن الكربلائيين استماتوا في الدفاع عن مدينتهم بالاستفادة من السور الذي بُني قبل مدة وجيزة، ومن تجربتهم السابقة، وراحت القوات النجدية ترمي المدينة برصاصها على غير طائل، وكادت تتجاوز السور بعد وضع السلالم لكن دون جدوى(١٥٠)، فوقف سعود بن عبدالعزيز -خلافاً لما سبق- متحيراً، وعلى حد قول أحد المعاصرين(١٥١): «**فثبتوا له خلف السور وقتل منهم وقتلوامنه ورجع خائباً**». وهكذا أُجبر النجديون على التراجع، لكنهم أغاروا على مضارب القبائل القريبة من كربلاء والحلة، وقتلوا عدداً من أبنائها وسلبوا ما أمكنهم من أملاكها(١٥٢).

أدى تكرار الغارات النجدية التي تميزت بالعنف والقسوة المتصاعدتين إلى انهاك القوى العشائرية في الأنحاء الجنوبية والوسطى من العراق، وإشاعة جوٍ من التوتر والإرباك فيها، وتوقف إرسال الحجيج العراقيين إلى الديار المقدسة في

الحجاز ثلاث سنين (١٨٠٤-١٨٠٧)[١٥٣]. وفقدت كربلاء الكثير من نشاطها التجاري، وأصاب حياتها الاقتصادية خلل كبير، فبعد أن كانت مقاماً للعديد من التجار والأثرياء العرب ووجهاء نجدها بعد الغزوات الوهابية تتراجع مكانتها السوقية تدريجياً، وأخذ أعيان سكانها يرحلون عنها إلى مناطق عراقية أكثر أمناً[١٥٤]. وسرعان ما تعالت نداءات الباب العالي في اسطنبول ملقية اللوم على السلفيين فيما حصل، ومطالبةً والي العراق (علي باشا) بإعادة السيطرة على البادية الجنوبية، والقضاء المبرم على «**النشاط التخريبي للخارجي ابن سعود**» على حد تعبيره[١٥٥]. ولا شك فإن مكانة الدولة العثمانية في العراق قد تصدعت كثيراً، ولم يعد حكامه شبه المستقلين يهتمون كثيراً بما تصدره اسطنبول، كما كان الامر قبل عقود خلت، ورأوا في دعوتها الأخيرة أمراً يفتقر الى الواقعية على الاطلاق، لذلك تظاهر (علي باشا) بإرسال قوة عسكرية لاقتفاء أثر المهاجمين بعد فوات الأوان، وعادت القوة بخطى متعثرة -مثلما جاءت- إلى الحلة ومنها إلى بغداد[١٥٦].

وتواصل ضغط النجديين على المناطق العراقية الواقعة غرب الفرات ومنها العشائر المحيطة بكربلاء، مستفيدين من خشونة بداوتهم وقابليتهم القتالية المشبعة بروح الطموح والرغبة في الحصول على المكاسب[١٥٧]. فأطلقوا العنان لأنفسهم بشنّ غارات واسعة النطاق بقيادة عبدالله (النجل الاكبر للامير سعود) في اواسط شهر شعبان عام ١٢٢٥ هـ - شباط ١٨١٠ على مدن (كربلاء، الحلة، النجف)، وفرضت طوقاً محكماً على المثلث الواقع بين هذه المدن الثلاث.

وقد تم اختيار توقيت الهجوم بحذاقة، فقد وافق رجوع الناس من زيارة

الامـام الحسين عليه السلام في منتصف شعبان، وهـي أحـدى المناسبات الدينية المهمة[١٥٨]، واستطاعت القبائل المغيرة أن تُحكم قبضتها على الطرق الرئيسة التي تصل كربلاء بكلٍ من مدينتي الحلة والكوفة[١٥٩]، فضلاً عن قيامها بمداهمة القرى المحيطة بها والانقضاض على قوافل الزائرين المنصرفين من كربلاء، مع الاستيلاء على ممتلكاتهم[١٦٠]. وفي تلك الأثناء رصدوا قافلة كبيرة متوجهة من المدينة نحوبلاد فارس بعد انتهاء الزيارة، فاستولوا عليها وقتلوا الكثير من أفرادها، قدرت بعض المصادر عددهم بأكثر من مائة وخمسين، معظمهم من الفرس. وفي النص الآتي يصف أحد العلماء المعاصرين[١٦١] الوضع المضطرب الذي خلفته الغارة النجدية على تلك المناطق بالقول:

«**تم هذا الجزء من كتاب مفتاح الكرامة... مع تشويش البال واختلاف الحـال، وقد أحاطت الأعـراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي الخارجي بالنجف الاشرف ومشهد الحسين عليه السلام وقد قطعوا الطريق ونهبوا الزوار وقتلوا منهم جماعة غفيرة... وبقي جملة من زوار العرب في الحلة ما قدروا أنْ يأتوا إلى النجف فبعضهم صام في الحلة...**». ويبدومن النص أن بعض الزائرين كانوا قد أُجبروا على الشروع بنية الاقامة في الحلة لعشرة ايام في أقل تقدير بعد حلول شهر رمضان لكي يُتاح لهم الصيام شرعاً بوصفهم مسافرين «مقيمين»، وفضلوا ذلك على الخروج والوقوع في أيدي رجال القبائل المتربصين بهم. وبلغت الأزمة اشدها عندما حوصرت إحدى أهم القوافل الآتية من كربلاء، وفي ركبها زوجة فتح علي شاه حاكم الدولة القاجارية، ومرافقيها من البلاط «الشاهنشاهي»، وكان من المؤكد ان يسبب هذا الموقف إحراجاً غاية في القسوة للدولة العثمانية،

وان يتعلق أمر انقاذ سمعتها وسمعة باشوات بغداد بفك الحصار عن كربلاء، فجهز الوالي الجديد (سليمان باشا الصغير ١٨٠٧-١٨١٠)[١٦٢] حملة بقيادة مساعده الاول داوود باشا عسكرت في الحلة، وأرسلت قسم منها إلى كربلاء، لكنها -كالمعتاد- وصلت متأخرة بعد أن هرب الأعراب نحوالصحراء وارتفع الخطر عن المدينة، إلاّ أن (داوود) أمر قواته بتوفير الحماية للقافلة ومرافقتها في مسيرها إلى النجف والكاظمية، ومنها إلى الحدود الفارسية[١٦٣].

ولم يكن هناك أمرٌ يقف بوجه التوسع السعودي ولا يضع حداً لغارات اتباعهم من القبائل النجدية على البلاد المجاورة سوى انشغالهم بمقاومة طموحات والي العثمانيين في مصر محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨) الذي حرك قواته بشكل فعلي منذ عام ١٨١١ لنزع الحجاز من سلطانهم الأمر الذي لم يكن سوى الخطوة الأولى باتجاه القضاء على الدولة السعودية الاولى على يد ولده وقائده العسكري ابراهيم باشا عام ١٨١٨[١٦٤]. لتنتهي مرحلة مهمة من مراحل الغزوالوحشي الذي شنته القبائل المعتنقة للدعوة الوهابية على مدن العراق لا سيما كربلاء المقدسة، وما اقترفته من سلبٍ ونهب وتدمير وقتلٍ بحقها، وانتهاكات فظيعة خيمت بظلالها على العتبات الآمنة وأبقت ذكريات مؤلمة تتناقلها الأجيال.

الخاتمة

يقول المؤرخ مولي إيزارد أن الوهابين ((نهبوا المجوهرات والسجاد والأسلحة... وقاموا بذبح عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال باسم الدين فقطعوا رقابهم زاعمين أن ذلك ما أوصاهم به الله...)).

إن ما يهمنا من النص أعلاه هوالكلمات الأخيرة، فبعد التأمل فيها وقراءة هذا البحث ومقارنة أحداثه بما يحصل اليوم من أحداث دامية ومآسي وجرائم يقترفها المتطرفون يندى لها جبين الانسانية في عراقنا العزيز يدفعنا إلى القول (ما أشبه اليوم بالبارحة) فالقوم أبناء القوم، يتسللون خلسة من وراء الحدود ليفرقوا بين أبناء البلد الواحد والبيت الواحد، وليزرعوا الحقد والكراهية بين طوائف وأعراق عاشت وما زالت بسلام على تربة المقدسات والمكرمات. لسنا نميل إلى القول بأن التطرف الديني شأن مختص بمدة زمنية محددة وانما هوكالإرهاب لاوطن ولازمان معين له بل هوالإرهاب بعينه، لأن من الواضح جدا أنَّ هناك فترات ومراحل معينة تتوفر الظروف والأجواء والمناخ المناسب لبعث هذا الغول والمسخ الكريه المعادي للدين نفسه وللقيم الإنسانية جمعاء.

ويجب ملاحظة أن العراق آنذاك لم يوفر البيئة الحاضنة لدعاة الفكر السلفي وسعاتهم الذين أخذوا يجبرون الناس على دفع ماسمّوه بـ«الزكاة»، ولم يعط العراقيون أذنا صاغية لهم مما سبب استياء العراقيين وفزعهم، ويشير البعض

الى ان الخلاف المذهبي بين النجديين (مناصري الدعوة السلفية)، وقبائل جنوب العراق التي يتبع معظمها مذهب الشيعة الامامية، بوصفه سبباً فاعلاً في الموضوع، وعاملاً على تذكية النزاعات وتأجيجها ودفع الوهابية الى الافراط في التجاوز على العراقيين والتمثيل بهم، بحجة انهم لايشاركونهم الايمان بالافكار التي يدعون الى اعتناقها. لكننا نجد في الوقت نفسه إنّ عدداً من القبائل السُنية العراقية كانت تقطن المنطقة نفسها وتعاني من الاعتداءات الوهابية المجرمة نفسها التي تطال اخوتها من الشيعة، مثل ما ساهمت هي في عملية الدفاع عن النفس وحياض الوطن الموحد جنباً الى جنب.

ومن الجدير بالذكر أن التطرف الديني الذي صار ظاهرة مخيفة يهدد السلام والأمن والاستقرار في المنطقة بصورة خاصة يستغل المصالح السياسية المتقاطعة والتفسيرات الشرعية المتباينة لحولها إلى صراع واقتتال بين الطوائف، ليخسر فيها الجميع، فعصر الاعتراف بالآخر، والحريات والديمقراطية والاتصالات، اطلق وسيطلق ما اختزنه التاريخ والحياة، ولا مفر من ذلك.. رغم ما جرنا وسيجرنا إليه الغلاة والمتعصبين من أضرار وخسائر.. والتي نأمل أن يتداركها العقلاء.. الذين لا يعني دفاعهم عن حقوقهم، الإعتداء وانكار حق غيرهم.

الهوامش

(١) سيطر المماليك الكرجية من ذوي الأصل الجورجي على حكم العراق منذ عام ١٧٤٩، عندما تسنم منهم سليمان (ابوليلة) باشوية بغداد والياً عن العثمانيين، ومنذ ذلك الوقت تميز حكمهم بالاستقلالية عن سلطة الباب العالي في اسطنبول. للتفاصيل ينظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق١٧٥٠-١٨٣٠، (بغداد، دار الحرية ١٩٧٥)، ص ص١٢-١٨.

(٢) عن تاريخ نشوء الدولة السعودية الأولى وعلاقاتها مع دول الجوار، ينظر: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥-١٨١٨، (القاهرة، المطبعة العالمية ١٩٦٩).

(٣) سنت جون فلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، ترجمة عمر الديراوي، (بيروت، مطبعة دار الشمالي، د «ت»)، ص ص٩٨-٩٩.

(٤) جون بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ترجمة خيري حماد، (بيروت، مكتبة الحياة ١٩٧١)، ص ٢١٥.

(٥) محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢): ولد في بلدة العُيينة بوسط نجد، قاد حركة دينية تدعوالى تنقية الاسلام مما سماه «**الشوائب والخرافات**» وإخلاص العبادة لله تعالى. وركز اهتمامه على تكفير المسلمين الذين يتوسلون بالانبياء والأولياء الصالحين، عاداً ذلك «**شرك مبطن**». للتفاصيل ينظر: حسين بن ابي بكر بن غنام، تاريخ نجد: روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام)، تحقيق ناصر الدين الاسد، (القاهرة ١٩٦١)، الجزء١، ص ص٥٥-٥٧؛ مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق احمد مصطفى ابوحاكمة، (بيروت ١٩٦٧)، ص ص١٥-١٩.

(٦) وثائق عثمانية، أرشيف رئاسة الوزراء في استنبول، خطي همايوني: رقم البحث ٥٨٠، دفتر مهمة٢٠٠، اواسط ربيع الاول ١٢٠٨هـ، ص١٨.

(٧) المصدر نفسه، ص١٩.

(٨) أُطلقت مصطلحات مختلفة للتدليل على معتنقي هذه الدعوة، فقد استخدمت المصادر العثمانية والبريطانية ومعظم الكتابات العربية لفظ «**الوهابيين**» نسبة الى ارتباطهم الوثيق بتعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فيما استخدم انصارها لفظة الوهابية أو «**الموحدين**» احياناً اخرى. وبين هذه وتلك رأى الباحث ان «**الحركة السلفية**» مصطلح أكثر حيادية وأشد تعبيراً عن افكارهم التي تعتمد أساساً –حسبما يرون– على دعوة المسلمين الى التمسك بالقرآن والرجوع بهم الى سيرة النبي الأعظمﷺ والسلف الصالح (الصحابة والتابعين). للاطلاع على وجهات نظر مختلفة ينظر: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، «ت١٨١٩»، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق (القاهرة ١٩٠١)، ص ص١٢–١٣؛ لمع الشهاب...، المصدر السابق، ص ص١٥–١٦؛ نجاح الطائي، الوهابيون: خوارج أم سنة ؟، (بيروت، دار الميزان ٢٠٠٥)، ص ص ١٧٠–١٧١.

(٩) سليمان بن عبدعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المصدر السابق، ص١٦؛ صادق حسن السوداني، العلاقات السعودية – العراقية ١٩٢٠–١٩٥٨، (بغداد، مطبعة الجاحظ ١٩٧٦)، ص ص٢٥–٢٦.

(١٠) عن المراسلات التي جرت بين محمد بن عبدالوهاب وعالم الدين العراقي المعروف عبدالرحمن السويدي، ينظر: عبدالله بن صالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب – حياته وفكره، (الرياض، دار العلوم ١٤٠١هـ)، ص ص٦٠–٦٣.

(١١) ينظر أحمد عبدالغفور عطار، محمد بن عبدالوهاب، (الرياض ١٣٩٧هـ)، ص١٢.

(١٢) محمد بن سعود بن مقرن العنزي: تولى إمارة الدرعية عام ١٧٤٥ م، لما قدم عليه محمد بن عبدالوهاب لاجئا عام ١٧٦٢م اكرم منزله وتحالف معه وتعهد له بنصرة دعوته وإعلان الحرب على جميع أمراء نجد ممن يأبون الدخول في طاعته، مقابل أن تكون الامرة عليهم، توفي عام ١٧٦٥ م. للتفاصيل عن أحواله ونشأته ينظر: مقبل بن عبدالعزيز الذكير النجدي، العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، القسم ٢، الجزء ٧ من كتاب: خزانة التواريخ النجدية، (د «ط» ١٩٩٩)، ص ص ١٢١–١٢٤.

(١٣) جعفر بن الشيخ خضر بن يحيى الجناجي (١٧٤٣–١٨١٤ م): أحد أبرز أعلام قبيلة

بني مالك العراقية، تولى المرجعية الدينية العامة في النجف بعد وفاة استاذه السيد محمد مهدي بحر العلوم سنة ١٧٩٧ م، وعرف بمقدرته الفقهية العالية وامكانيته الكلامية الواسعة ومناظراته الناجحة مع مختلف المدارس الإسلامية، وتميز بتصلبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الّف تسعة عشر كتاباً ورسالة في علوم العقيدة والفقه. ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، (بيروت، دار المعارف ١٩٨٣)، الجزء ٤، ص ص ٩٩-١٠٦.

(١٤) للتفاصيل عن موقف علماء الدين في النجف من الدعوة السلفية أبان تلك الحقبة ينظر: سيف نجاح مرزه أبوصيبع، تاريخ النجف الفكري في عهد المماليك ١٧٥٩-١٨٣١، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية (الجامعة المستنصرية)، ٢٠٠٥، ص ص ٥٠-٥٥.

(١٥) لا نتفق مع الرأي القائل بأن العراقيين قابلوا الفكر السلفي بالاحتضان والتأييد، إذ أنه يتجاهل تماماً الردود الشديدة التي جوبه بها كتاب الدعوة السلفية الرئيس (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) في العراق في عهد سليمان باشا وما بعده. للتفاصيل والمقارنة ينظر: عبدالله بن صالح العثيمين، المصدر السابق، ص ٦٢؛ رسول محمد رسول، الوهابيون والعراق: عقيدة الشيوخ وسيوف المحاربين، (بيروت ٢٠٠٥)، ص٩٢. وحول الدعاة في العراق وموقف العراقيين تجاههم من منظور احد المعاصرين ينظر: ياسين العمري، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، (الموصل، مطبعة ام الربيعين ١٩٤٠)، ص ص ٣٤-٣٦.

(١٦) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المصدر السابق، ص ص ١٧٧- ١٨٨؛ سنت جون فلبي، المصدر السابق، ص ٩٩.

(١٧) عن الامكانات العسكرية لامراء آل سعود ينظر: صادق حسن السوداني، (جماعة الاخوان) جيش ابن سعود شبه النظامي، مجلة المؤرخ العربي، جامعة البصرة، العدد ١٠، (ايلول ١٩٧٨)، ص ص ٩٩-١٠١. وعن غاراتهم على البلدان المجاورة لهم ينظر: حسين بن ابي بكر بن غنام، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ص ١٦٥- ١٧٢؛ احمد مصطفى ابوحاكمة، تاريخ الكويت ١٧٥٠-١٩٦٥، مطبعة حكومة الكويت، الجزء ١، ص ص ٣٢٨-٣٣٣.

(١٨) دخلت الدعوة السلفية في مرحلة جديدة بتحالفٍ تم بين محمد بن عبدالوهاب وأمراء الدرعية لا سيما عبدالعزيز بن الامام محمد آل سعود مثلما مر، وخلفائه حتى سقوط الدولة السعودية الاولى عام ١٨١٨ م. ينظر: امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، (بيروت ١٩٥٤)، الجزء١، ص ٣٦؛ جون بي. كيلي، المصدر السابق، ص ص ٨٤-٨٥.

(١٩) عن تلك الاتهامات ينظر: عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة٤، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز١٩٨٢)، الجزء ١، ص٨١. ومن الجدير بالذكر أن الدولة السعودية حققت آنذاك توسعاً مهماً نحو الشرق؛ إذ وقعت منطقة الاحساء تحت هيمنتها بعد ازاحة حكامها من بني خالد. للتفاصيل ينظر: احمد مصطفى ابوحاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، (القاهرة ١٩٦٧) ص ص ١٤٠-١٤٢؛ ميمونة خليفة الصباح، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٣٤، السنة ١٣، ١٩٨٨، ص ص ٧٣-٧٥.

(٢٠) سنت جون فلبي، ص ٩٩.

(٢١) ينظر: صادق حسن السوداني، العلاقات السعودية-العراقية....، ص ص ٢٧-٢٨.

(٢٢) للاطلاع على تفاصيل وافية للعمليات العسكرية بين الجانبين ينظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: حكومة المماليك١٧٤٩-١٨٣١، الجزء ٦، (بغداد ١٩٥٤)، ص ص ١٢٢-١٢٤؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨١.

(٢٣) عثمان بن سند البصري، ت «١٢٥٠هـ»، مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود، بغداد، ص ص ١٤٧-١٥٠؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ص ١١٢-١١٩.

(٢٤) عبدالعزيز سليمان نوار، داوود باشا والي بغداد، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨، ص٢٩. وينظر عن ذلك ايضاً: عثمان بن سند البصري، المصدر السابق ص ٧٢؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ص ١٣٩-١٤١.

(٢٥) للاطلاع على بنود الصلح الاربعة ينظر: ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة ٥، (بغداد ١٩٨٥)، ص ص ٢١٣-

٢١٤؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢٦) للاطلاع على تفاصيل تلك المعركة الدامية التي راح ضحيتها٢٠٠-٣٠٠ قتيل ينظر: رسول حاوي الكركولي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة علاء موسى كاظم نورس، بيروت، دار الكتاب العربي، د"ت»، ص ص ٢١٢-٢١٣؛ ياسين العمري، المصدر السابق، ص ص ٥٣-٥٤. واشار إليها أيضا: جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الطبعة٢، (النجف، مطبعة الاداب ١٩٥٨)، الجزء١، ص٣٢٥.

(٢٧) ينظر: ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة في ديوان حاكم دولة قطر، (الدوحة١٩٧٥)، الجزء ٣، ص١٥٨٣؛ السير هارفرد جونز بريجز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز ٢٠٠٥)، ص ٩٧.

(٢٨) للاطلاع على دعاوى الجانبين المتباينة حول السبب الحقيقي الذي أشعل الاشتباك ينظر: احمد عبدالغفور عطار، المصدر السابق، ص ٩٧؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢١٣؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٢٩) للتفاصيل عن المفاوضات ينظر: عباس العزاوي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ص ١٣٩-١٤٠؛ عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣٠) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ص ٥٦-٥٧؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بيروت ١٩٦٩)، الجزء ١، ص ١٨٨.

(٣١) عن نشأة كربلاء ومكانتها الدينية ينظر: سلمان هادي الطعمة، ومضات من تاريخ كربلاء، (النجف، مطبعة الاداب ١٣٧٨هـ)، الجزءآن ١-٢.

(٣٢) كانت كربلاء في أواخر العهد العثماني تضم خمس نواحي هي (شفاثة، الرحالية، غريبة، الكفل، المسيب) وثلاثة اقضية هي (الرزازة، النجف، الهندية). ينظر: عبدالعظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤-١٩١٨ دراسة تاريخية، (قم، ١٤٢٧هـ)، ص ٢١٣.

(٣٣) عباس العزاوي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١٤٦؛ عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص٣٧.

(٣٤) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٣٥) للاطلاع على تلك المصادر ينظر: ياسين العمري، المصدر السابق، ص 61 ;J.A Saldanha, Persian Gulf précis, (vol.VI), Precis of Turkish Arabia affairs 1801-1901 (London, 1986), p.23؛ لمع الشهاب...، المصدر السابق، ص ٨٩؛ رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربة، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الايمان، لا «ت»، ص ٣٨٦. ويقول (غلوب باشا) إن قوة «**الوهابيين**» كانت عشرة الاف رجل يركبون ستة الاف جمل. ينظر: جون غلوب باشا، حرب الصحراء: غارات الوهابيين على العراق، ترجمة صادق عبدالركابي، (عمّان ٢٠٠٤)، ص ٤١.

(٣٦) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٠٢٦.

(٣٧) عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى القرشي (ت ٩٢٢ هـ)، غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٦م، ص ٦١.

(٣٨) لمع الشهاب...، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٣٩) عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٤٠) ينظر: Saldanha,Op. cit.,p23; محمد حسن النجفي الجواهري (ت: ١٨٤٩)، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، (طهران ١٩٤٨)، الجزء١، ص ١١؛ سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، (بيروت ١٩٨٣)، ص ٣٦٩؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢١٥؛ علي الوردي، المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٩٦؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٥٧؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٥٤؛ هارفرد جونز، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٤١) رحلة أبي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٦؛ هارفرد جونز، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٤٢) رحلة أبي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٣.

(٤٣) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ص ٢٦٠-٢٦١.

(٤٤) ينظر: سنت جون فلبي، المصدر السابق، ص ٩٩؛ فلاديمير بوريوفيتش لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، (موسكو، دار التقدم ١٩٧١)، ص ٨٠.

(٤٥) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ٦١.

(٤٦) عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٧؛ محمد جواد بن محمد العاملي، مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلاّمة، (القاهرة، مطبعة الشورى ١٣٢٧هـ)، الجزء ٦، ص ٦٥٢. ومؤلف المصدر الثاني معاصر للاحداث، ويذكر انه كان فقيهاً شهيراً، ثقة، ولد في جبل عامل بلنان عام ١٧٥١، ودرس في كربلاء والنجف، خلّف مؤلفات قيمة، أشهرها كتابه المشار إليه، توفي في النجف عام ١٨١١. ينظر: محمد باقر الخوانساري، ت «١٣١٣»، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، (طهران ١٨٨٨)، الجزء ٢، ص ص ١٥٧-١٥٨.

(٤٧) عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر، السابق، ص ٢٥٧.

(٤٨) جليل العطية، كربلاء في عيون الرحالة الغربيين، بحث في كتاب: دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، (الكويت، دار الصفوة ١٩٩٦)، ص ١١٧.

(٤٩) عبدالحسين بن علي الكليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، (النجف، المطبعة الحيدرية ١٣٤٩هـ)، ص١٠.

(٥٠) زكاريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، مج ١٧-١٨٤٠، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥، ص٦١.

(٥١) رحلة أبي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(52) saldanha.p.23.

(٥٣) «**ارفاضٌ**» او(روافض) عُممت الكلمة نكاية باتباع المذهب الشيعي قاطبة مع انها أُطلقت فقط على مجموعة صغيرة في مطلع القرن الثاني للهجرة، انشقت عن ثورة زيد بن علي بن الامام الحسين عليه السلام، لانها رفضت الاقرار بشرعية بيعة ابي بكر وعمر للتفاصيل عن تلك الحوادث وأصل التسمية ينظر: محمد بن جرير الطبري ت «٣١٠ هـ»، تاريخ الرسل والملوك «**تاريخ الطبري**»، الطبعة٤، (القاهرة، دار المعارف ١٩٧٧)، الجزء٧، ص ص ١٨٠-١٨١.

(٥٤) للاطلاع على نص الرسالة كاملا ينظر: عباس العزاوي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١٣١.

(٥٥) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ٥٧؛ علي الوردي المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٨٨.

(٥٦) عباس العزاوي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١٦١.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) ينظر: سنت جون فلبي، المصدر السابق، ص ٩٩؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٥٩) محسن الامين الحسيني العاملي، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبدالوهاب، (دمشق، مطبعة ابن زيـدون١٩٩١)، ص ١٥؛ محمد جواد بن محمد العاملي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٦٠٤.

(٦٠) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(٦١) نقل المؤلف الآتي ذكره تلك المعلومات من علماءٍ أورد انهم من الثقاة الاتقياء ومن اهالي المدينة. ينظر: محمد باقر الخونساري، المصدر السابق، الجزء٢، ص ٥١٦، الجزء٤، ص ١٩٨. وتحتفظ بعض اسر الضحايا بذكريات تناقلتها اجيالها عما جرى لاسلافهم من عمليات قتل. ينظر: سلمان هادي الطعمة، عشائر كربلاء واسرها، بيروت، دار المحجة البيضاء، ١٩٩٨، ص٢٢٦، ص ٥٧٥.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٣، ص ٥١٦؛ عبدالحسين بن احمد الاميني، شهداء دروب الفضيلة، (النجف، مطبعة الغري١٩٣٦)، ص ٢٨٧. وللاطلاع على قوائم بأسماء الضحايا ينظر: محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين، (كربلاء: مطبعة اهل البيت ١٩٦٩)، ص ٧٨، ١٢٧.

(٦٣) الخونساري، المصدر السابق، ص٥١٦. يقول مولي إيـزارد أن الوهابين ((نهبوا المجوهرات والسجاد والأسلحة... وقاموا بذبح عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال باسم الدين فقطعوا رقابهم زاعمين أن ذلك ما أوصاهم به الله...)) ص٤٨.

(٦٤) اسماعيل احمد ياغي، بريطانيا والدولة السعودية الاولى، مجلة العلوم الاجتماعية- جامعة الرياض، العدد ١، السنة ١٩٧٧، ص ٤٢٤.

(٦٥) عن عدد سكان كربلاء ينظر: عبدالعظيم عباس نصار، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٦٦) ينظر: ياسين العمري، المصدر السابق، ص ٦١؛ محمد باقر الخوانساري، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٥١٦؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٧؛ جون غلوب باشا؛ المصدر السابق، ص ٤١.

(٦٧) لوتسكي، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٦٨) ينظر: محمد حسين آل كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، النجف، ٢٠٠٢، الجزء ١، ص ١٣٦.
(٦٩) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٦.
(٧٠) عبدالحسين بن علي الكليدار آل طعمة، المصدر السابق، ص ٢٨٧.
(٧١) سستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٦١.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٢٦٠.
(٧٣) عثمان بن بشر، ص٢٥٨.
(٧٤) علي الوردي، المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٩٦؛ رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
(٧٥) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٧.
(٧٦) ينظر: رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢١٧؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٨؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢١٦.
(٧٧) ينظر: شهداء الفضيلة، ص٣٠٢-٣٠٣.
(٧٨) ينظر: باقر أمين الورد، ج ١، ص ٨١، الوائلي، ص ١٢٣، ١٤١-١٤٢.
(٧٩) شهداء الفضيلة، ص ٢٩٢-٢٩٣.
(٨٠) محمد باقر الخونساري، الروضات..، ص٥١٦.
(٨١) عن تاريخ الروضة الحسينية ينظر: امير جواد كاظم علي بيج، الحائر الحسيني ٦٨٠-١٢٥٨م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الاداب/ جامعة الكوفة، ٢٠٠٧، ص ص ٤٩-٨٨.
(٨٢) محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين...، ص٣٩.
(٨٣) هناك عدد من المصادر ذكرت اوصاف المنهوبات بشكل جزئي، للاطلاع عليها ينظر: Saldanha, Op. Cit., P. ٢٣; عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص ص ٢٨-٢٩؛ محمد حسن مصطفى الكليدار، المصدر السابق، ص ص ٣٧-٣٩؛ عبدالحسين بن علي الكليدار آل طعمة، المصدر السابق، ص١٠؛ ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، (بغداد، مطبعة شفيق ١٩٦٧)، الجزء٢، ص ١٠٤.
(٨٤) يعترف محمد بن عبدالوهاب بالمنزلة السامية للأولياء والصالحين لكنه يرى في

أضرحتهم انها مخالفة لمبادئهم الدينية ومنها مبادئ الامام الحسين عليه السلام حسب فهمه. ينظر: عبدالله بن صالح العثيمين، المصدر السابق، ص ص ٥٨-٥٩.

(٨٥) محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين...، جـ ٢، ص١١٩.

(٨٦) القبة: سُمّي هذا الجزء من القبر الشريف بـ«**الوثن الاكبر**» عند النجديين. ينظر: محمد حامد الفقّي، اثر الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية، (بيروت ١٣٥٤هـ)، ص ٨٤.

(٨٧) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٦؛ جون غلوب باشا، المصدر السابق، ص ٤١.

(٨٨) ينظر: عبدالعزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٨٩) هارفرد جونز، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٩٠) عثمان بن سند البصري، المصدر السابق ص ٣٨؛ محمد حامد الفقي، المصدر السابق، ص ص ٨٥-٨٦.

(٩١) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٩٢) محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين...، ج ٢، ص١٢١.

(٩٣) عبدالحسين بن علي الكليدار آل طعمة، المصدر السابق، ص ١٠؛ عبدالرزاق الحسني، تسخير كربلاء تسخير كربلاء، (بيروت، مطبعة دار الكتب ١٩٧٨)، ص١٣-١٤.

(٩٤) ينظر: عبدالرزاق الحسني، تسخير كربلاء، المصدر السابق، ص ٩. أما ما يعرف بـ«**القران**» أو (Crowns) فهوعملة فضية فارسية تداولت في العراق منذ القرن السابع عشر، يساوي حوالي ٢١ قرشاً، وقيمة القرش تساوي واحداً من مائة جزء من الليرة الذهبية العثمانية. ينظر: يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، (بغداد، دار الحرية للطباعة١٩٨١)، ص ص٦٦-٦٨.

(٩٥) قسّم العثمانيون العراق الى وحدات ادارية كبيرة يطلق على كل واحدة منها (ايالة) وتقسم بدورها الى وحدات ادارية اصغر يطلق عليها (سناجق). وقد كانت كربلاء في ذلك العهد سنجقاً تابعاً لولاية بغداد وكانت وارداتها تعطى بنظام الالتزام ينظر: عبدالعظيم عباس نصار، المصدر السابق، ص ص ٥٠-٥١. وعن الاوضاع الادارية في كربلاء وتقسيمات العثمانيين غير المستقرة لها ينظر: جاسم محمد ابراهيم سعد اليساري، تاريخ كربلاء في العهد العثماني الاخير ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير، معهد التاريخ

العربي والتراث العلمي للدراسات العليا (بغداد)، ٢٠٠٣، ص ص ٩-١٢.

(٩٦) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢١٤؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٩٧) يوسف كركوش، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٩٨) جون غلوب باشا، المصدر السابق، ص ٤١.

(٩٩) عثمان بن سند، المصدر السابق، ص٢٤١.

(١٠٠) ينظر: عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٨. وكذلك: يوسف كركروش، المصدر السابق، ص١٣١؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢١٧؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٥٧.

(١٠١) ينظر: عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٣٠؛ رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢١٧؛ يعقوب سركيس، المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(١٠٢) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(١٠٣) ينظر: رياض الاسدي، محاولات الاستقلال المحلي في العراق ١٧٥٠-١٨١٧، مجلة الجندول الالكترونية للعلوم الانسانية، العدد ٢٥، السنة ٣، ٢٠٠٥، ص ٦.

(١٠٤) يوسف كركوش، المصدر السابق، ص ١٣١؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٦١.

(١٠٥) رحلة ابي طالب خان، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(١٠٦) علي الوردي، المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٩٦.

(١٠٧) عبدالفتاح حسن أبوعلية، تاريخ الدولة السعودية الاولى ص٤٥.

(١٠٨) يعد القاجاريون أقوى القبائل القبلية في اقليم مازندران شمال بلاد فارس، توصلت احدى عشائرهم المتنفذه إلى حكم إيران في أواخر القرن الثامن عشر، وذلك بفضل ثرائها وقوتها وتمتعها بتأييد الكثير من القبائل ولاستغلالها ظروف التسيّب الاقطاعي في عهد خلفاء كريم خان الزند. ويعد اغا محمد خان (١٧٩٥-١٧٩٧) المؤسس الأول للدولة القاجارية. للتفاصيل ينظر: كريم حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، (بغداد، مطبعة الزمان ٢٠٠٥)، الجزء ٣، ص ص ١٧٧-٢٣٦.

(١٠٩) ينظر: حسن مجيد الدجيلي، ايران والعراق خلال خمسة قرون، (بيروت، دار الاضواء

١٩٩٩)، ص ١٠٠؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٩٢.

(١١٠) باسم حطاب حبش الطعمة، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٧٩٨-١٨٣١، رسالة ماجستير، (كلية الاداب/ جامعة بغداد)، ١٩٨٥، ص ص ٥٧-٥٨؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المصدر السابق، ص ص ١٩٥-١٩٦.

(١١١) هارفرد جونز، المصدر السابق، ص ٩٨.

(١١٢) باسم الحطاب، ص٥٧-٥٨.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٣٩؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المصدر السابق، ص ١٩٦.

(١١٤) ينظر: هارفرد جونز، المصدر السابق، ص ٩٨.

(١١٥) رجاء حسين حسني الخطاب، العراق والصراع العثماني الفارسي، (بغداد٢٠٠١)، ص ص ١٢٢-١٢٤.

(١١٦) حسن مجيد الدجيلي، إيران والعراق خلال خمسة قرون، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٩، ص٤٢٣.

(١١٧) ولعل هناك عوامل أخرى فعلت فعلها في هز الثقة بين الدولتين، منها مشكلات الحدود المستعصية، والمواقف المتأرجحة لامراء آل بابان، في كردستان العراق وولاءاتهم المختلفة، ثم جاءت أحداث كربلاء لتوقف المفاوضات الجارية انذاك في مدينة ارضروم التركية بواسطة اللجنة الرباعية (البريطانية- الروسية- العثمانية -الفارسية) لتسوية المشاكل بين الجانبين منذ امد طويل. ينظر: حسن مجيد الدجيلي، المصدر السابق، ص ص١٠٠-١٠١.

(١١٨) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٦٣؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١٤٦.

(١١٩) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢٢٧؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١٤٧.

(١٢٠) وثائق عثمانية: ارشيف رئاسة الدولة في استنبول، خطي همايوني: رقم البحث ٥٣٣، دفتر مهمة ٢٢٠، ذي الحجة ١٢١٧ هـ، ص ٦٦.

(١٢١) عبدالعزيز نوار، ص٤٥-٤٦؛ عبدالرحيم عبدالرحمن، ص١٩٨.

(١٢٢) هارفرد جونز، ص٩٨.

(١٢٣) حسين بن غنام المصدر السابق، ص ١٨٠؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق،

ص ص ١٤٨-١٤٩.

(١٢٤) رياض الاسدي، المصدر السابق، ص ٩.

(١٢٥) للتفاصيل عن دور (جونز) في العراق وعلاقته مع المماليك حتى وفاة سليمان باشا ينظر: باسم حطاب حبش الطعمة، المصدر السابق، ص ص ٥٣-٦٢؛ هارفرد جونز، المصدر السابق، مقدمة الكتاب بقلم المترجم عويضة بن متيريك الجهني، ص ص ١٧-٣٢.

(١٢٦) عبدالعزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٤٤؛ اسماعيل احمد ياغي، المصدر السابق، ص ص ٤٢٤-٤٢٥.

(١٢٧) رياض الاسدي، المصدر السابق، ص ٧.

(١٢٨) جونز، ص٩٧.

(١٢٩) هناك تفاصيل وافية عن غارة النجديين على النجف تجدها في: ناهدة حسين علي ويسين، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير ١٨٣١-١٩١٧، اطروحة دكتوراه، كلية التربية - ابن رشد/ جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ص ٣١-٣٢.

(١٣٠) ذكر ابن بشر عن القاتل ما نصه: «**رافضي خبيث من أهل بلد الحسين (كربلاء) خرج من وطنه لهذا القصد**». ينظر: عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(١٣١) على حد قول: جون غلوب باشا، المصدر السابق، ص ٤٢؛ وينظر ايضا: هارفرد جونز، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(١٣٢) رسول حاوي الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٢٢٧؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(١٣٣) مقبل بن عبدالعزيز الذكير النجدي، المصدر السابق، ص ١٤٧؛ سنت جون فلبي، المصدر السابق ص ص ١٠٢-١٠٣.

(١٣٤) لمع الشهاب...، ص ١٠٢.

(١٣٥) ينظر: عثمان بن عبدالله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(١٣٦) سنت جون فلبي، المصدر السابق ص ١٠٣.

(١٣٧) ذكر بعض الكتاب ان هدف القاتل الرئيس هو(سعود بن عبدالعزيز) الذي قاد الحملة شخصياً على كربلاء، الا أن يده لم تطله ليقظته وسرعة تحركاته، فلم يقدر إلا على والد سعود ذي الثمانين عاما، ينظر: ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص

٢٦٢؛ سنت جون فلبي، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٣٨) المصدر نفسه.

(١٣٩) للتفاصيل عن تلك الغزوات ينظر: المصدر نفسه، ص ص ١١٠-١١١.

(١٤٠) محمد حسن النجفي الجواهري، المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٢.

(١٤١) عبدالحسين بن احمد الاميني، المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(١٤٢) جون غلوب باشا، المصدر السابق، ص ٤٢؛ ستيفن هيمسلي لونكريك المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(١٤٣) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٢٧٨.

(١٤٤) يوسف كركوش، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(١٤٥) للتفاصيل ينظر: سنت جون فلبي، المصدر السابق، ص ١١٠-١١١.

(١٤٦) محمد حسن النجفي الجواهري، المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٢؛ ناهدة حسين علي ويسين، المصدر السابق، ص ٣٢؛ محسن الامين، اعيان الشيعة...، الجزء ٢ ص ٣٣٦.

(١٤٧) يوسف كركوش، المصدر السابق، ص ١٣٣.

(١٤٨) ينظر: حسن عيسى الحكيم، النجف في عهد المماليك العثمانيين، (النجف ١٩٩٨)، ص ١٤؛ محسن الأمين الحسني العاملي، المصدر السابق، ص ١٧. وورد عن المؤلف الاخير نفسه ان العدد هو ٢٠ الفا ينظر كتابه: اعيان الشيعة، الجزء٤، ص، ٢٩٠.

(١٤٩) محمد جواد بن محمد العاملي، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٤٣٤؛ رسول محمد رسول، المصدر السابق، ص ص ٥٦-٥٧.

(١٥٠) ينظر: صلاح الدين المختار، تاريخ العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، (بيروت١٩٥٧)، ص ص ٩٧-٩٨.

(١٥١) المصدر نفسه.

(١٥٢) ينظر: حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ص ١٤؛ محسن الامين الحسني العاملي، المصدر السابق، ص ١٨.

(١٥٣) سنت جون فلبي، المصدر السابق، ص ص ١١٨-١١٩؛ محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، (قم، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ١٩٩٦)، ص ١٧٧.

(١٥٤) أبوطالب، ص ٣٨٣-٣٨٤.

(١٥٥) وثائق عثمانية: أرشيف رئاسة الوزراء في استنبول، خطي همايوني: رقم البحث ٤٧٣، دفتر مهمة ٢٢٩، رجب ١٤٢٤هـ، ص ص ٣٦-٣٧.

(١٥٦) حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ص ١٤.

(١٥٧) ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(١٥٨) يوافق فيها ذكرى ولادة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي ينظر: جعفر باقر محبوبة، المصدر السابق، الجزء ١، ص ٣٢٦.

(١٥٩) (كان هناك طريقان يسلكهما المسافرون بين كربلاء والنجف، الاول صحراوي يربط المدينتين بشكل مباشر، ويستغرق ليلتين اوثلاث، مروراً بالمحطات التالية (خان النخيلة، خان الحماد، خان المصلى)، أما في الظروف الصعبة فإن الطريق الثاني هوالوحيد الآمن، ويسير بمحاذاة نهر الفرات، مروراً بثلاث بلدات هي (الهندية اوطويريج، الكفل، الكوفة). للتفاصيل حول وسائل النقل القديمة وخانات طريق كربلاء ينظر: محمد كاظم الطريحي النجف الاشرف مدينة العلم والعمران، (بيروت، دار الهادي٢٠٠٢)، ص ٦١-٦٢؛ جاسم محمد ابراهيم سعد اليساري، المصدر السابق، ص ٥٩.

(١٦٠) محسن الامين الحسيني العاملي، المصدر السابق، ص ١٤؛ محمد عوض الخطيب، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(١٦١) ينظر: محمد جواد بن محمد العاملي، المصدر السابق، الجزء ٥، ص ٦٥٧.

(١٦٢) اتهمت المصادر العثمانية (سليمان الصغير) بأنه "وهابياليول»، على الرغم من اقرارها بأنه اجرى اصلاحات مالية وتشريعية، ووقف في وجه النفوذ البريطاني المتزايد. ينظر: علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ص١٧٧-١٨١.

(١٦٣) يوسف كركوش، المصدر السابق، ص ١٣٣؛ عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(١٦٤) للتفاصيل ينظر: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، محمد علي والجزيرة العربية، (القاهرة ١٩٨١) ص ص ١٩٥-٢٢٤.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الأجنبية

١. وثائق عثمانية: ارشيف رئاسة الدولة في استنبول، خطي همايوني: رقم البحث ٥٣٣، دفتر مهمة ٢٢٠، ذي الحجة ١٢١٧ هـ.
٢. وثائق عثمانية: ارشيف رئاسة الوزراء في استنبول، خطي همايوني: رقم البحث ٤٧٣، دفتر مهمة ٢٢٩، رجب ١٤٢٤هـ.
٣. وثائق عثمانية: ارشيف رئاسة الوزراء في استنبول، خطي همايوني: رقم البحث ٥٨٠، دفتر مهمة ٢٠٠، اواسط ربيع الاول ١٢٠٨هـ.
4. J.A Saldanha, Persian Gulf précis, (vol.VI), Precis of Turkish Arabia affairs 1801–1901 (London, 1986).

ثانياً: الرسائل الجامعية

٥. باسم حطاب حبش الطعمة، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٧٩٨–١٨٣١، رسالة ماجستير، (كلية الاداب/ جامعة بغداد)، ١٩٨٥.
٦. جاسم محمد ابراهيم سعد اليساري، تاريخ كربلاء في العهد العثماني الاخير ١٨٦٩–١٩١٤، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا (بغداد)، ٢٠٠٣.
٧. سيف نجاح مرزه ابوصيبع، تاريخ النجف الفكري في عهد المماليك ١٧٥٩–١٨٣١، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية (الجامعة المستنصرية)، ٢٠٠٥،.
٨. ناهدة حسين علي ويسين، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير ١٨٣١–١٩١٧،

اطروحة دكتوراه، كلية التربية- ابن رشد/ جامعة بغداد، ١٩٩٩.

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة

٩. احمد عبدالغفور عطار، محمد بن عبدالوهاب، (الرياض ١٣٩٧هـ).

١٠. احمد مصطفى ابو حاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، (القاهرة ١٩٦٧).

١١. احمد مصطفى ابو حاكمة، تاريخ الكويت ١٧٥٠-١٩٦٥، مطبعة حكومة الكويت، الجزء ١.

١٢. اسماعيل احمد ياغي، بريطانيا والدولة السعودية الاولى، مجلة العلوم الاجتماعية- جامعة الرياض، العدد ١، السنة ١٩٧٧.

١٣. امير جواد كاظم علي بيج، الحائر الحسيني ٦٨٠-١٢٥٨م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الاداب/ جامعة الكوفة، ٢٠٠٧.

١٤. امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، (بيروت ١٩٥٤)، الجزء١.

١٥. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة في ديوان حاكم دولة قطر، (الدوحة١٩٧٥)، الجزء ٣.

١٦. جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الطبعة٢، (النجف، مطبعة الاداب ١٩٥٨)، الجزء١.

١٧. جليل العطية، كربلاء في عيون الرحالة الغربيين، بحث في كتاب: دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، (الكويت، دار الصفوة ١٩٩٦).

١٨. جون بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ترجمة خيري حماد، (بيروت، مكتبة الحياة ١٩٧١).

١٩. جون غلوب باشا، حرب الصحراء: غارات الوهابيين على العراق، ترجمة صادق عبدالركابي، (عمّان ٢٠٠٤).

٢٠. حسن عيسى الحكيم، النجف في عهد المماليك العثمانيين، (النجف ١٩٩٨)،

٢١. حسن مجيد الدجيلي، ايران والعراق خلال خمسة قرون، (بيروت، دار الاضواء ١٩٩٩).

٢٢. حسين بن ابي بكر بن غنام، تاريخ نجد: روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام)، تحقيق ناصر الدين الاسد، (القاهرة ١٩٦١)، الجزء١.
٢٣. رجاء حسين حسني الخطاب، العراق والصراع العثماني الفارسي، (بغداد٢٠٠١).
٢٤. رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربة، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الايمان، لا «ت».
٢٥. رسول حاوي الكركولي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة علاء موسى كاظم نورس، بيروت، دار الكتاب العربي، د"ت».
٢٦. ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، (بغداد، مطبعة شفيق ١٩٦٧).
٢٧. زكاريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، مج١٧-١٨٤٠، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥.
٢٨. ستيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة ٥، (بغداد ١٩٨٥)
٢٩. سنت جون فلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، ترجمة عمر الديراوي، (بيروت، مطبعة دار الشمالي، د «ت»).
٣٠. سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، (بيروت ١٩٨٣).
٣١. سلمان هادي الطعمة، عشائر كربلاء واسرها، بيروت، دار المحجة البيضاء، ١٩٩٨.
٣٢. سلمان هادي الطعمة، ومضات من تاريخ كربلاء، (النجف، مطبعة الاداب ١٣٧٨هـ)، الجزءآن ١-٢.
٣٣. السير هارفرد جونز بريجز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز ٢٠٠٥).
٣٤. سليمان بن عبدعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المصدر السابق، ص١٦؛ صادق حسن السوداني، العلاقات السعودية-العراقية ١٩٢٠-١٩٥٨، (بغداد، مطبعة الجاحظ ١٩٧٦).
٣٥. صلاح الدين المختار، تاريخ العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، (بيروت١٩٥٧).
٣٦. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: حكومة المماليك١٧٤٩-١٨٣١، الجزء

٦، (بغداد ١٩٥٤).

٣٧. عبدالرزاق الحسني، تسخير كربلاء تسخير كربلاء، (بيروت، مطبعة دار الكتب ١٩٧٨).

٣٨. عبدالحسين بن احمد الاميني، شهداء دروب الفضيلة، (النجف، مطبعة الغري١٩٣٦).

٣٩. عبدالحسين بن علي الكليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، (النجف، المطبعة الحيدرية ١٣٤٩هـ).

٤٠. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥-١٨١٨، (القاهرة، المطبعة العالمية ١٩٦٩).

٤١. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، محمد علي والجزيرة العربية، (القاهرة ١٩٨١).

٤٢. عبدالعظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤-١٩١٨ دراسة تاريخية، (قم، ١٤٢٧هـ).

٤٣. عبدالعزيز سليمان نوار، داوود باشا والي بغداد، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨،

٤٤. عبدالله بن صالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب- حياته وفكره، (الرياض، دار العلوم ١٤٠١ه).

٤٥. عثمان بن سند البصري، ت «١٢٥٠هـ»، مختصر مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داوود، بغداد.

٤٦. عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة٤، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز١٩٨٢)، الجزء ١.

٤٧. عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى القرشي (ت ٩٢٢ هـ).

٤٨. غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام، -تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٦م.

٤٩. علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق١٧٥٠-١٨٣٠، (بغداد، دار الحرية ١٩٧٥).

٥٠. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بيروت ١٩٦٩)، الجزء ١.

٥١. فلاديمير بوريوفيتش لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، (موسكو، دار التقدم ١٩٧١).

٥٢. كريم حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، (بغداد، مطبعة الزمان ٢٠٠٥)، الجزء ٣.
٥٣. مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق احمد مصطفى ابوحاكمة، (بيروت ١٩٦٧).
٥٤. محسن الامين، اعيان الشيعة، (بيروت، دار المعارف ١٩٨٣)، الجزء ٤.
٥٥. محسن الامين الحسيني العاملي، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبدالوهاب، (دمشق، مطبعة ابن زيدون ١٩٩١).
٥٦. محمد باقر الخوانساري، ت «**١٣١٣**»، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، (طهران ١٨٨٨)، الجزء ٢.
٥٧. محمد بن جرير الطبري ت «**٣١٠هـ**»، تاريخ الرسل والملوك «**تاريخ الطبري**»، الطبعة ٤، (القاهرة، دار المعارف ١٩٧٧)، الجزء ٧.
٥٨. محمد جواد بن محمد العاملي، مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلاّمة، (القاهرة، مطبعة الشورى ١٣٢٧هـ)، الجزء ٦.
٥٩. محمد حامد الفقّي، اثر الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية، (بيروت ١٣٥٤هـ).
٦٠. محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين، (كربلاء: مطبعة اهل البيت ١٩٦٩).
٦١. محمد حسن النجفي الجواهري (ت: ١٨٤٩)، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، (طهران ١٩٤٨)، الجزء ١.
٦٢. محمد حسين آل كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، النجف، ٢٠٠٢.
٦٣. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، (قم، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ١٩٩٦).
٦٤. محمد كاظم الطريحي النجف الاشرف مدينة العلم والعمران، (بيروت، دار الهادي٢٠٠٢).
٦٥. مقبل بن عبدالعزيز الذكير النجدي، العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، القسم ٢، الجزء ٧ من كتاب: خزانة التواريخ النجدية، (د "ط" ١٩٩٩).
٦٦. ميمونة خليفة الصباح، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٣٤، السنة ١٣، ١٩٨٨.
٦٧. نجاح الطائي، الوهابيون: خوارج أم سنة ؟، (بيروت، دار الميزان ٢٠٠٥).

٦٨. ياسين العمري، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، (الموصل، مطبعة ام الربيعين ١٩٤٠).
٦٩. يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، (بغداد، دار الحرية للطباعة ١٩٨١).

رابعاً: البحوث المنشورة

٧٠. رياض الاسدي، محاولات الاستقلال المحلي في العراق ١٧٥٠-١٨١٧، مجلة الجندول الالكترونية للعلوم الانسانية، العدد ٢٥، السنة ٣، ٢٠٠٥.
٧١. صادق حسن السوداني، (جماعة الاخوان) جيش ابن سعود شبه النظامي، مجلة المؤرخ العربي، جامعة البصرة، العدد ١٠، (ايلول ١٩٧٨).

الجمعية الإسلامية في كربلاء ١٩١٨-١٩٢٠ (دارسة تاريخية)

The Islamic Society in Karbala 1918-1920 A.D. (A Historical Study)

أ. م. د. عدي حاتم عبدالزهرة المفرجي
أ. م. د. نعيم عبد جودة الشيباوي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

Asst. Prof. Dr. Oday Hatem
Asst. Prof. Dr. Naaeem Abid Jouda Al-Shaybawi
Karbala Univerisity
College of Education for Human Sciences
History Dept

الملخص

تعرض العراق خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤الى الاحتلال البريطاني وكانت الأوامر العسكرية في التحرك لهذا الاحتلال قادمة من حكومة (الهند البريطانية الشرقية) المؤمنة بسياسة الاحتلال المباشر وربط المستعمرات بالنار والحديد مع هذه الحكومة التي تختلف مع سياسة حكومة (لندن الغربية- ومقرها القاهرة-) ذات فلسفة سياسة الاحتلال غير المباشر التي تجعل في مستعمراتها حكومات موالية، ولذا كان العراق تحت قبضة احتلالية قوية أرادت ربطه بالهند، ولأجل ذلك استخدمت عشرات السياسات الادارية والنفسية لتحقيق ذلك ومنها ترتيب استفتاء شكلي في نوع الحكم الذي يريده العراقيون، وكانت الاجابات محددة مسبقا وهوالارتباط بحكومة الهند البريطانية لولا موقف رجال الدين في مدينة كربلاء والنخبة المثقفة الذين وضعوا عصارة جهادهم في جمعية اسلامية أخذت على عاتقها التصدي والرفض، بل استخدموا معهم سياسة بالغة الحكمة والتبصر عندما أفتوا بعدم جواز تولي زمام المسلمين ألا منهم واليهم.

Abstract

During the first world war in 1914 A.D Iraq was occupied by Britain; the military commands for that occupation came from the (East Indian – British) government which believe in the policy of the direct occupation and in linking the colonies, by force, with this government which differs from the policy of the (west London in Cairo) government which calls for or believe in the indirect occupation policy by appointing loyal government in its colonies. Consequently, Iraq was under a strong occupational power intending to link it with India. To accomplish that, a great many administrative psychological policies were followed one of which was holding a superficial referendum to decide on the type of government the Iraq is like. The answer was put in advance which was liuking Iraq with the British Indian government. The objection was clearly seen by the highest religious (pious) people stand in holy Karbala together with the most educated people there who founded the Islamic society which confronted and stood against and rejected that policy as they followed a wise

policy when they delivered the fatwa which called for the impossibility and inadmissibility of governing and taking over the Muslims affairs but by the Muslims themselves.

المقدمة

سلطت هذه الدراسة الضوء على جمعية إسلامية دينية، ودور رجالها المنقذ لمصير الشعب العراقي، والذي زرع الثقة بالنفس وعدم الانقياد للسياسات الأخرى، وأرادت (الجمعية الاسلامية في كربلاء) من العراقيين الاعتماد على أنفسهم في تقرير مصيرهم، لذا قُسِّمت الدراسة الى ثلاثة محاور: الأول دراسة عن نشأة هذه الجمعية وفلسفتها وأبرز الأعضاء المنتمين اليها والظروف التي ساعدت على ظهورها. وأما المبحث الثاني فقد تطرق الى الاختبار الأول لهذه الجمعية وهو موقفها من سياسة الاستفتاء البريطاني في العراق وناقش الوسائل الادارية الاخرى العاملة على أحكام حلقات السيطرة البريطانية على العراق وكان هذا الاختبار بمثابة العامل الرئيس في انبثاق هذه الجمعية والتصدي لسياسات بريطانيا في العراق.

أما المبحث الثالث فسلط الضوء على موقف السلطات البريطانية من نشاط الجمعية المتنامي وبخاصة بعدما أخذت تتصدر العامل المقاوم للبريطانيين وبأسلوب فكري متقدم. أما المبحث الثالث فكان عن دور نشاط الجمعية الاسلامية الكربلائية في ثورة العشرين حيث يعدّ المحرك الاساس والفاعل في توجيه العشائر والقوى المناهضة للاحتلال البريطاني وكان هذا الحدث النهاية المباشرة للجمعية بسبب سياسة البريطانيين بانهاء جميع أشكال المقاومة في العراق بما فيها الجمعيات الوطنية.

المبحث الأول

الجمعية الإسلامية في كربلاء (النشأة والتأسيس)

أدرك رجال الدين والنخبة المثقفة في كربلاء نوايا البريطانيين السياسية بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، لأن جميع الوعود السابقة تبخرت وألغى البريطانيون حقوق الشعب العراقي وآماله في بناء حكم وطني منتخب ومستقل، ينظر الى أهداف الشعب والوطن قبل أي شيء آخر، لذلك بدأ رجال الدين والنخبة المثقفة وعلى رأسهم الشيخ محمد تقي الشيرازي بالتحرك السريع لإحباط خطط البريطانيين، اذ عملوا على توسيع قاعدة المعارضة الشعبية للوجود البريطاني، والقيام بتنظيم مضابط في حركة متصلة، وتعبئة الرأي العام وتنسيق الجهود السياسية بهدف تحقيق الاستقلال[1]، أما الوسائل التي اتبعها رجال الدين والمثقفون لتحقيق هذه الأهداف فهي تشجيع العمل على إنشاء الجمعيات الإسلامية للعمل على إذكاء الروح الوطنية، وعقد الندوات والاجتماعات السرية والعلنية في كربلاء لكشف المخططات الأجنبية الرامية الى السيطرة على مقدرات وثروات البلاد[2] وكان من أبرز وأهم تلك الجمعيات هي(الجمعية الإسلامية في كربلاء) التي تأسست في أواخر سنة ١٩١٨ برعاية الشيخ (محمد تقي الشيرازي) وبرئاسة نجله الشيخ (محمد رضا) في كربلاء، وضمت في

عضويتها كل من: (السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني الحسيني، والسيد حسين القزويني، والسيد عبدالوهاب الوهاب، والشيخ ابي المحاسن، والشيخ عبدالكريم العواد، والشيخ عمر الحاج علوان، والشيخ عبدالمهدي قنبر[٣]) وكان من أهم أهدافها العمل ضد حكومة الاحتلال البريطاني وتحرير العراق وتأسيس حكومة مستقلة فيه[٤]. وهكذا كان العمل في (النهضة الإسلامية النجفية) التي أسسها السيد محمد بحر العلوم في النجف عام ١٩١٧[٥].

وقد نشأت عدة فروع (للجمعية الإسلامية الكربلائية)في العديد من المدن ومناطق العشائر العراقية فكان لها دور كبير في نشر فتوى الشيخ الشيرازي (حرمة انتخاب غير المسلم) في جميع أنحاء العراق ولاسيما في مناطق الفرات الأوسط[٦]، كما كان لهذه الجمعية دور كبير في إنهاء الصراعات والخلافات بين رجال العشائر والقبائل العراقية، إذ قامت بإجراء اتصالات كثيرة ومتواصلة فيما بينهم من أجل توحيد الصف الوطني وتوجيهه نحوقضية العراق الأولى والهدف الرئيس وهوالاستقلال عن النفوذ الأجنبي[٧]. ولذا اخذت هذه الجمعية ممارسة الدور الاجتماعي والسياسي في الوقت نفسه.

كانت هذه الجمعية تعمل بسرية تامة خوفاً من عملاء بريطانيا، وفي الوقت ذاته كان لها رجال من الحكومة يتعاونون معها وهم مقربون من رئيسها الشيخ (محمد رضا)، وكان هؤلاء الرجال من الموظفين الكبار في الدولة مثل وكيل متصرف كربلاء (خليل عزمي بك)، وسيد مهدي الحسيني الذي أصبح فيما بعد عضومجلس النواب، وكان لهؤلاء دور كبير للعمل على إحباط جميع مخططات البريطانيين في نقل أخبار وتحركات البريطانيين ومخططاتهم الى الجمعية[٨].

عملت (الجمعية الاسلامية في كربلاء) على بث الروح الوطنية والإسلامية بين أبناء الشعب العراقي، واتضح ذلك من خلال المنشورات التي كانت توزعها بين الأهالي أذ تضمنت عبارات وطنية مثل: (حب الوطن من الإيمان)، (للوطن نحيا وللوطن نموت)(٩)، كما تضمنت عبارات إسلامية وقوميه، إذ كانت تؤكد على الأمجاد التاريخية للأمة العربية الإسلامية وتستلهم العبر والدروس منها، ومن هذه العبارات: ((إن الأمم التي شعرت في هذه الحياة... هي الأمة التي اعتبرت بماضي أيامها وسالف عصرها...))(١٠)، ((... كانت الأمة العربية قد توصلت بدماء رجالها الى هذه الطريقة التي تجعل الشعب حياً قابضاً على زمام أموره، مالكاً حريته وحقوقه...))(١١)، وجاء في نص آخر أن العرب المسلمين ((... ركبوا البحار المخيفة وقطعوا الفيافي والقفار العظيمة طالبين المجد حتى رفرفت راياتهم فوق الأندلس وشربت خيولهم من نهر السند...))(١٢) ثم بينت الجمعية ما ابتليت به الأمة العربية الإسلامية من ضعف وخمول وكسل كما أشارت أدبياتها بضرورة رفض الاستعمار بكل أنواعه وأشكاله التي يتستر بها، حتى أنها رفضت استعمار الدولة العثمانية لشعوب أوربية، على الرغم من أن العثمانيين كانوا يرفعون راية الإسلام، وشعوب أوربا أكثرهم من النصارى فقد ورد في أحد نصوصها الأدبية ((... كنا نرى كل يوم أمة من الأمم تنهض بمساعدة آخرين فتنال حريتها وحقوقها وتعد باستقلالها كاليونان والبلقان والصرب....))(١٣)، وكان من بين أهداف الجمعية المطالبة بأن يكون الحكم في العراق ملكياً دستورياً، وأن يحكم ((الأمة ملك من ابناء جلدتها))(١٤)، وكانت الجمعية تصر على انضمام العراق الى الدولة العربية الموحدة التي وعد البريطانيون

بها العرب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[١٥]، كما كانت الجمعية ترى ضرورة الاستفادة من العامل الدولي لتحقيق أهداف الشعب بالحرية والاستقلال وخاصة تصريح الرئيس الأمريكي (وودروويلسن) صاحب المبادئ الأربعة عشر ومنها مبدأ حق تقرير المصير، ثم تختم الجمعية بشعار (الاجتهاد الاجتهاد أيها الوطنيون - السعي السعي أيها العراقيون)[١٦].

كان لتلك الأهداف والشعارات والأدبيات أثر كبير في نفوس عامة الناس فنالت دعماً كبيراً من مختلف طبقات الشعب العراقي بخاصة العشائر، حيث أرسلت العديد من المضابط المؤيدة للجمعية، ومن أبرزها مضبطة العشائر في سوق الشيوخ والتي عبرت عن دعم كبير للمرجع الشيرازي و(للجمعية الإسلامية في كربلاء)، وكان أهم نص ورد في هذه المضبطة هوقولها ((... نسعى ونجد في سبيل تحرير العراق، وأخذ الحكم الذاتي له بموجب ما تراه وتأمرنا به الجمعية ويشير إليه حضرة حجة الإسلام والمسلمين آية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه ...))[١٧]. ولم يقتصر نشاط (الجمعية الإسلامية في كربلاء) على نشر وتوزيع المنشورات، إنما توسع هذا النشاط الى التنسيق والتعاون مع الجمعيات الوطنية الأخرى في العراق وبخاصة جمعية (حرس الاستقلال)[١٨]. حيث وصل مستوى التنسيق ما بين الجمعيتين الى الحد الذي دفع بعض الباحثين الى اعتبار جمعية (حرس الاستقلال) جزء من (الجمعية الاسلامية الكربلائية)[١٩] وكان أحد أهم الأهداف من هذا التنسيق والتعاون هوتوحيد الكلمة ما بين الطوائف والقوميات العراقية وبخاصة بين السنة والشيعة، فنظمت ندوات للشعراء والوعاظ من كلا الطائفتين الذين
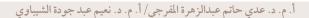
أكدوا في قصائدهم وأشعارهم على ضرورة الاتحاد تحت راية الإسلام[٢٠]، ومن أبرز تلك القصائد قصيدة للشاعر محمد حبيب العبيدي وكان من الإخوة -أبناء السُنة والجماعة- حيث قال في مطلعها:

لا تقل جعفرية حنفية   جمعتنا الشريعة الأحمدية
لا تقل شافعية زيدية   وهي تأبى الوصاية الغربية[٢١]

وقد أعطى هذا التعاون الوثيق ما بين السنة والشيعة دفعة قوية للحركة الوطنية في العراق التي انتقلت من بغداد باتجاه مناطق الفرات الأوسط وخصوصاً إلى أرض مدينة كربلاء، وأرجاء متفرقة من العراق بفضل جهود ومساع (الجمعية الإسلامية في كربلاء)[٢٢].

المبحث الثاني

موقف الجمعية الإسلامية في كربلاء من استفتاء الحكم في العراق

أراد البريطانيون وضع صيغة قانونية لربط العراق بالهند بما يسمى بالاحتلال المباشر من خلال القوات البريطانية القادمة بأوامر حكومة الهند البريطانية، فقد أمرت هذه الحكومة في الثلاثين من شهر تشرين الثاني لعام ١٩١٨ وكيل الحاكم المدني في العراق (ارنولد تالبوت ويلسون) بإجراء استفتاء في شكل الحكومة الجديدة في العراق وكانت أسئلة هذا الاستفتاء قد نصت على:

١. هل ترغبون بقيام حكومة عربية تحت الهيمنة البريطانية تمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية حتى الخليج العربي.

٢. هل ترغبون بتنصيب رئيس عربي على هذه الحكومة.

٣. وإذا كان الأمر كذلك فمن هوالذي ترونه مناسباً بمنصب رئيس عربي على هذه الحكومة[٢٣]. وعقدت اجتماعات في مباني سراي الحاكم السياسي في السادس عشر من شهر كانون الأول لعام ١٩١٨ لأخذ الإجابات، وظهر آنذاك تردد بين العراقيين عند توجيه تلك الأسئلة، فطلب على سبيل المثال اهالي كربلاء من السلطات مهلة ثلاثة أيام لكي يتداولوا في الأمر، وهي المدة التي وافق عليها البريطانيون، فعقد الأهالي اجتماع في دار السيد (محمد

صادق الطباطبائي) وثم في دار المرجع الديني الشيخ (محمد تقي الشيرازي) فوضع جواب واحد لا غيره وهوالطلب بإقامة حكومة عربية مسلمة يرأسها أحد أنجال الشريف (الحسين بن علي).ويبدوأن هذا الرأي هومن مؤثرات (الجمعية الاسلامية في كربلاء)(٢٤).

كان (ارنولد تالبوت ويلسون –نائب الحاكم الملكي في العراق–) ينظر إلى هذا النشاط المعادي نظرة توجس وحذر، بسبب التخوف من قيام الأهالي بنشاط يعرقل خطط البريطانيين في العراق، ولذا أصدر أوامره بضرورة كون النتائج مرضية لسياسة حكومة الهند – البريطانية(٢٥) وأول من صدّ هذه الرغبات والاوامر هم رجال الجمعية الاسلامية، وعلى رأسهم المرجع الشيخ (محمد تقي الشيرازي) إذ أفتوا بأن: ((كل من يرغب في حكومة غير مسلمة من الناس مارقاً عن الدين))(٢٦) وبسبب هذه الفتوى تردد الاهالي في إعطاء ردّ يتجاوب مع الاستفتاء فقاموا بالتحريض على رفض الاستفتاء، وبسبب موقفهم هذا اعتقل البريطانيون في ١ تموز ١٩١٩ جملة من الناس من أهالي كربلاء للضغط وفرض الإرادة الأجنبية(٢٧).

سعى الشيخ الشيرازي للكشف عن تزوير الاستفتاء عن طريق مراسلة الحكومة الأمريكية التي ضغطت عبر مبادئ الرئيس الأمريكي (ويلسن) لمنح الاستقلال للبلدان التي كانت خاضعة للدولة العثمانية. ومن الجدير بالذكر أن بنود الرئيس (ويلسن) روّج لها كثيرٌ من قبل الحركات الوطنية في العراق خلال مرحلة الاستفتاء وكانت في وضع النقاش من قبل رجال الجمعية الاسلامية في كربلاء(٢٨).

كتب الشيخ الشيرازي رسالة بتاريخ ١٣ شباط ١٩١٩ وأرسلها الى السفير الأمريكي في طهران، حاججه بالمبادئ التي أعلنتها الولايات المتحدة وخاصة بند (تقرير المصير)، وطلب منه المساعدة في تشكيل حكومة عربية إسلامية، ووصف لـه حال العراقيين بالقول: ((... ولا يخفى عليكم أن كل أمة مطوقة بالقوانين العسكرية المحتلة من كل الجوانب لا تجد أمامها مجالاً حراً للتعبير عن آرائها في الحرية والاستقلال ...))، كما بين الشيرازي في رسالته أن البريطانيين يخدعون الرأي العام بعناوين الحرية، كما أضاف بأن بعض الأشخاص الذين صوتوا لبقاء بريطانيا كان بسبب خوفهم على حياتهم، وعبر الشيرازي عن هذه الحقيقة بقوله ((.... وإذا ظهر منهم (أي بعض الأشخاص) فإنه لا شك منبعث عن الظروف القاسية المحيطة بهذه البلاد ...))، وجدد الشيرازي في نهاية الرسالة دعوته الى الحكومة الأمريكية بالتدخل لمساعدة الشعب العراقي على تحقيق طموحاته[٢٩].

وفي ذات الشهر أي شباط ١٩١٩، كتب كل من الشيخ الشيرازي و(شيخ الشريعة الأصفهاني)[٣٠] رسالة الى الرئيس الأمريكي (وودرووويلسن) تضمنت ذات المطالب المذكورة في الرسالة الأولى التي تم إرسالها الى السفير الأمريكي في طهران، وأضافوا عليها أن بريطانيا إذا أرادت الحماية أوالانتداب على العراق فعليها أن تأخذ رأي المجلس الوطني المنتخب، ولم تخلوهذه الرسالة من دبلوماسية واضحة بالقول الى الرئيس الأمريكي: ((... ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ ومدنيته الحديثة ...))[٣١]، وربما تساءل البعض عن سر مراسلات الشيخ الشيرازي مع الولايات المتحدة حصراً من دون الدول العظمى

الأخرى؟ ونعتقد أن مرد ذلك يعود لأسباب عديدة، الأول: هوإعلان الرئيس الأمريكي (وودروويلسن) لمبدأ حق (تقرير المصير)، والسبب الثاني: هوكون الولايات المتحدة لا تزال دولة غير استعمارية على العكس من بريطانيا وفرنسا، أما السبب الثالث: فهوالتأثير المتبادل ما بين الولايات المتحدة وبريطانيا، بسبب تنامي قوة الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية في تلك المرحلة مما جعل السياسيين البريطانيين يعتقدون بإمكانية ظهورها بقوة على الساحة السياسية الدولية في مرحلة لاحقة والتي من شأنها أن تؤثر على القرارات البريطانية.

لم ترد الولايات المتحدة على رسالتي الشيخ الشيرازي بشكل مباشر، وإنما ردت بشكل غير مباشر، لأن اللجنة الأمريكية التي تم إرسالها الى سوريا لأخذ رأي السوريين حول الاستقلال أوالانتداب والتي سميت لجنة (كنج–كراين)[٣٢] قررت تمديد عملها ليشمل العراق أيضاً بعد سوريا، واتضح ذلك جلياً من مضمون الرسالة التي أرسلها (جعفر العسكري)[٣٣] الشخصية العسكرية والسياسية المعروفة، والذي كان موجوداً في سوريا الى الشيخ الشيرازي، حيث بين العسكري في رسالته كيفية عمل اللجنة الأمريكية في سوريا بالقول ((الوفد حر بحركاته، سار على منهج قويم يلائم مصالح الشعوب مقتفي آثار الحقوق بكل إنصاف مانح حرية اللسان والضمير ...)) ثم يضيف العسكري في رسالته ((سيدي الفاضل، يجب أن تكون مطالبكم من حضرات الوفد القادم إليكم عما قريب هوالاستقلال التام الذي لا تشوبه أقل شائبة تمس بكرامته من أية دولة كانت ...)) وختم العسكري رسالته في أن يطلب العراقيون المساعدة الفنية والاقتصادية الأمريكية حصراً، بقوله ((... وبما أن المساعدة لازمة على شرط أن تكون مقتصرة على الأمور الفنية والاقتصادية،

لذلك رأينا أن تطلبوا المساعدة الأمريكية لمدة معينة، كما طلب أخوانكم السوريون والفلسطينيون ...))[٣٤].

إلا أن تلك اللجنة لم تصل الى العراق لأن هدفها الرئيس هوالأوضاع في سوريا ويبدوأنّ التأثير البريطاني منعها من الوصول للعراق، ومن المحتمل أن يكون لبريطانيا دور معرقل بهذا الاتجاه عن طريق الضغط على الولايات المتحدة، لأن ظهور رغبة العراقيين بالاستقلال وطلب المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة حصراً، ستخسر بريطانيا كل شيء لها في العراق بعد أن تكبدت خسائر مادية وبشرية كبيرة حتى تمكنت من السيطرة عليه. وقد أدى عدم قدوم اللجنة الى العراق الى امتعاض شعبي شديد داخل العراق، وتم تنظيم عدة مضابط وعرائض أرسلت الى الشريف حسين بن علي (ملك الحجاز)، ليسلمها هوبدوره الى اللجنة الأمريكية، وكان من أبرز تلك المضابط هي مضبطة كربلاء التي أعدها رجال (الجمعية الاسلامية في كربلاء)[٣٥] وتم الاتفاق على اختيار الشيخ (محمد رضا الشبيبي) لإيصالها الى الحجاز[٣٦]، حيث غادر الشبيبي النجف في تموز ١٩١٩، ووصل الى الحجاز بعد شهر، وأهم ما تضمنته هذه العرائض هوالتذكير بمبادئ الرئيس الأمريكي (ويلسن) ومن أبرزها مبدأ (حق تقرير المصير)[٣٧].

ثم رد الشريف حسين بن علي في (١٧ آب ١٩١٩م – ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٧هـ) بكتاب الى الشيخ الشيرازي وأهم ما ورد فيه قوله ((... تلقينا محرركم الكريم وطيه صور إفاداتكم للجنة وعلم آمال الجميع وإني بعنايته تعالى سأبذل كل ما في وسعي لحصول رغباتكم ...))[٣٨].

وصل هذا الكتاب الى كربلاء في وقت حرج للغاية فقد تنصلت دول الحلفاء عن مقررات ومقترحات اللجنة الأمريكية التي زارت سوريا، وكذلك نُفي أعضاء (الجمعية الإسلامية في كربلاء) إلى الهند، ولكن هذا الحراك السياسي جعل العراقيين في نشاط سياسي مرتفع ذلك بفضل الجمعية الإسلامية في كربلاء(٣٩).

المبحث الثالث

ردة الفعل البريطاني على نشاط الجمعية الإسلامية في كربلاء

توفي المرجع الديني الأعلى في النجف السيد محمد كاظم اليزدي (الطباطبائي) في ٣٠ نيسان ١٩١٩، والذي أخذ بالابتعاد عن السياسة في أواخر حياته، ولعل جوابه عندما سُئل عن رأيه أثناء عملية الاستفتاء ((أنا رجل لا أعرف بالسياسة، بل أعرف هذا حلال وهذا حرام))[٤٠]. وبعد وفاته أصبح الشيخ محمد تقي الشيرازي هوالمرجع الديني الأعلى، وكان نشاطه السياسي بارزا من خلال إصداره الفتاوى وتأسيسه ودعمه للجمعيات السياسية الوطنية في العراق[٤١].

تحرك البريطانيون سياسياً باتجاه الشيرازي محاولين استمالته بطريقتين الأولى هي طريقة الترغيب، والثانية الترهيب وكانت الجمعية واقعة تحت كلا الاتجاهين.

فقد حاول البريطانيون استغلال حادثة وفاة السيد اليزدي للتقرب من الشيخ الشيرازي واستمالته إليهم، فأرسل قائم مقام الحاكم المدني في العراق (هاول) برقية تعزية للشيخ الشيرازي بتاريخ ٥ آيار ١٩١٩، وتضمنت هذه البرقية الكثير من مظاهر التملق والتزلف والمدح والثناء للشيرازي ورجال الدين الآخرين، فقد ورد فيها ((... نسأل الله أن يتغمد الراحل الكريم برضوانه ويسكنه فسيح جناته وأن يعوضنا عنه بكم خيراً، ونطلب من المولى عز وجل أن يطيل بقائكم ويسعد

أيامكم ويعلي قدركم ...))، وتختتم البرقية البريطانية بالقول ((... هذا اسمحوا لنا بالتعبير لكم عن تقدير الحكومة البريطانية العظمى لخدمات حضرات العلماء الأعلام دامت بركتهم واستعداد بقضاء ما ترونه فيه خير العباد ولكم منا السلام أولاً وأخيراً))[٤٢] وهكذا حاول البريطانيون كسر شوكة (الجمعية الاسلامية في كربلاء) باحتواء الراعي الأول والأخير لها ألآ وهوالمرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي، ففي حزيران ١٩١٩، ذهب نائب الحاكم المدني للعراق (ويلسن) الى كربلاء بنفسه للقاء الشيرازي، وكان (ويلسن) يتقن اللغة الفارسية فأخذ يتحدث بها، بدأ (ويلسن) بإثارة العناوين الطائفية مع الشيرازي حينما طلب منه أن يعين رجلاً (شيعياً) ليكون (كليدار) مراقد الأئمة في سامراء بدلاً من الكليدار (السُني)، واعتقد (ويلسن) أن الشيرازي سيوافق على هذا الاقتراح بكل سهولة لكونه شيعيّا، غير أن الشيرازي رفض ذلك، بعدها حاول (ويلسن) أخذ موافقة الشيرازي على المعاهدة التي كانت تسعى بريطانيا لعقدها مع إيران، كما طلب منه التدخل لوقف المقاومة المسلحة التي كانت تبديها القبائل الإيرانية القاطنة جنوب إيران ضد القوات البريطانية، لكنه فشل في هاتين المحاولتين أيضاً[٤٣].

يتضح مما سبق أن (ويلسن) حاول أن يضرب على الوتر الطائفي عند لقائه بالشيرازي وعندما فشل في ذلك، انتقل الى الضرب على الوتر القومي بإثارته الموضوع الإيراني معتقداً أن الشيرازي رجل إيراني الأصل ويمكن أن يميل الى بلده، لكن الشيرازي أحبط هاتين المحاولتين وانتهت محاولات (ويلسن) جميعها بالفشل.

بعد فشل جميع أساليب الترغيب التي اتبعها البريطانيون مع الشيرازي، انتقلوا الى أساليب الترهيب، حيث اعتقلت السلطات البريطانية أعضاء بارزين من (الجمعية

الاسلامية الكربلائية) وعددهم ستة في ٢ آب ١٩١٩ وهم: (محمد علي الطباطبائي، محمد مهدي المولوي، محمد علي أبو الحب، طليفح الحسون، عبدالكريم العواد، عمر الحاج علوان) وتم نفيهم جميعاً الى الهند[٤٤]، فكتب الشيخ الشيرازي رسالة احتجاج الى (ويلسن) في ٥ آب ١٩١٩ طالباً منه إخلاء سبيلهم وواصفاً إياهم (بأنهم لم يفعلوا شيئاً سوى المطالبة السياسية بحقوق البلاد المشروعة)[٤٥]، لكن (ويلسن) رفض إطلاق سراحهم واصفاً إياهم بالمشاغبين، وأنهم يقومون بـ(تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية)[٤٦]، عند ذلك قرر الشيرازي مواجهة هذا التحدي عن طريق التهديد بالهجرة الى إيران لكي يفتي من هناك بالجهاد ضد البريطانيين[٤٧]، ويبدو أن الشيخ الشيرازي اختار إيران ليست لكونها بلده الذي ولد فيه، بل لأن بريطانيا كانت على وشك عقد معاهدة مع رئيس وزراء إيران (وثوق الدولة) تحصل فيها على امتيازات ومصالح اقتصادية وعسكرية كثيرة في إيران وبالتالي فإن تنفيذ الشيخ الشيرازي لتهديده وهجرته الى إيران وإعلانه الجهاد هناك يعني نسف كل الجهود التي بذلتها بريطانيا بهدف التوقيع على المعاهدة، ومن المرجح أن يكون الشيرازي أراد من وراء ذلك إيصال رسالة الى بريطانيا بأنه قادر على تهديد مصالحها في العراق وإيران.

وربما كان خبر عزم الشيخ الشيرازي الهجرة الى إيران هو الذي عجل بتوقيع رئيس وزراء إيران (وثوق الدولة) المعاهدة في ٩ آب ١٩١٩، قامت بريطانيا بمناورة سياسية أخرى من أجل امتصاص النقمة، فأرسل (ويلسن) مبلغاً كبيراً من المال الى الشيخ الشيرازي بيد معتمده (محمد حسين خان الكابولي)، وقد رفضه الشيرازي[٤٨]، كما تم نقل حاكم كربلاء الميجر (بوفل) الى قضاء طويريج وعُين بدلاً عنه (محمد خان بهادر) الملقب (الميرزا محمد البوشهري) وهو من
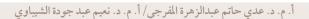
أصل إيراني ومن تلامذة السير (برسي كوكس) في السلك السياسي[٤٩].

وبالرغم من تلك الخطوات التي قامت بها بريطانيا إلا أن الشيخ الشيرازي لم يغير موقفه وأصر على إطلاق سراح المنفيين، عند ذلك اضطرت السلطات البريطانية الى التنازل عن قرارها السابق وأفرجت عن المبعدين الذين عادوا الى ديارهم في كانون الأول ١٩١٩، وكان هذا أول انتصار سياسي سجله الشيرازي على السلطات البريطانية بتحرير رجال الجمعية الاسلامية. وعلقت المس بيل على إطلاق سراح المنفيين بالقول ((ولكن أولئك المشبوهين أطلق سراحهم بكفالة الميرزا محمد تقي نفسه فعادوا في الحال الى سيرتهم الأولى، وبذلك فقد شجع الحادث حبك الدسائس بدلاً من إيقافها عند حدها))[٥٠].

المبحث الرابع

جمعية النهضة الإسلامية الكربلائية وثورة العشرين

أصيب المجتمع الكر بلائي بالإحباط اثر عقد (مؤتمر سان ريمو) في إيطاليا في الخامس والعشرين من شهر نيسان لعام١٩٢٠ بسبب وضع العراق تحت الانتداب البريطاني والذي صوره العراقيون مجرد ضم العراق الى المستعمرات البريطانية والحكم المباشر، ومنهم رجال الجمعية الاسلامية في كربلاء الذين اخذوا العمل على مواجهة الاحتلال البريطاني، بالاتفاق مع النخبة المثقفة في مدينة النجف وبغداد، والقوى العشائرية[٥١].

كانت النخبة المثقفة في مدينة النجف غير قادرة على ممارسة نشاطها بشكله الكامل في مدينتهم بسبب تداعيات ثورة النجف ١٩١٨ وإعدام خيرة شباب هذه المدينة[٥٢] وهذا الأمر أجبر النجفيين والفراتيين من العشائر على نقل نشاطهم إلى مدينة كربلاء والتعاون مع الجمعية الاسلامية. وسبب اختيار مدينة كربلاء يرجع الى:

١. وجود الجمعية الاسلامية في كربلاء.

٢. التأثير العاطفي الديني الذي تتمتع به مدينة كربلاء على عشائر وسط العراق وجنوبه وبالتالي إمكانية جعل هذه المدينة قاعدة للنشاط السياسي الوطني.

٣. تقبل أهالي مدينة كربلاء النشاط السياسي وهذا راجع الى جهود الجمعية الاسلامية في كربلاء.
٤. قرب مدينة كربلاء من بغداد والنجف وبالتالي إمكانية التعاون بين سياسي تلك المدن[٥٣].

وظهر لنا بأن (الجمعية الاسلامية في كربلاء) في موقفها السياسي أصبحت المحرك الفاعل للحركة الوطنية في العراق، حيث وفرت عناصر الثورة من زعيم ديني يستظلون بعباءته نشاطهم السياسي كذلك وجود نخبة وطنية كربلائية متعاونة مع وطني النجف وبغداد، فضلاًعن تعاون بعض شيوخ العشائر الفراتيين. وقرر بعض زعماء العشائر على رأسهم السيد (علوان الياسري) بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٢٠على ضرورة التعاون التام مع (الجمعية الاسلامية في كربلاء) وبخاصة توزيع منشور بتوقيعه يأمر بالوحدة وجمع الشمل والتساند في كل المهام وجعل يوم الجمعة يوم الشعب تعطل فيه المكاسب ويترك البيع والشراء، وتنصب المنابر في الساحات ليتبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الإثارة والتحريض[٥٤]. وقررت (الجمعية الاسلامية في كربلاء) بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٢٠ التعاون مع النخبة البغدادية المثقفة وارسلت السيد (هادي زوين)[٥٥] إلى بغداد والاتصال بشخصياتها الوطنية[٥٦] وأثمر ذلك الإيفاد، اذ أوفد البغداديون الحاج (جعفر ابوالتمن)[٥٧] الى كربلاء في الأول من شهر أيار عام ١٩٢٠ لمعرفة مستوى الحركة الوطنية، وسبل التعاون مع الحركة الوطنية الكربلائية، وشيوخ عشائر الفرات الأوسط، وعرف ذلك الاجتماع(اجتماع كربلاء في ١ أيار ١٩٢٠)[٥٨] والذي تكلل بالنجاح اذ وصل الأمر بأهالي كربلاء الى نعت البريطانيين

بالكفار والصليبيين، وزاد هذا المؤتمر الحركة الوطنية في كربلاء قوة ورصانة باتفاق النخبة المثقفة ورجال الدين والعشائر في تنسيق العمل الوطني وكل هذا الترتيب راجع بفضل الجمعية الاسلامية الكربلائية(٥٩).

ففي وثيقة -منشورة- صادرة من السلطات البريطانية تبين تأثير (مؤتمر كربلاء) ما ذُكر بالنص: ((واجتمع مندوبوبغداد والفرات... وقرروا القيام بالثورة ان لم تمنحهم السلطة البريطانية الاستقلال التام والحرية المنشودة، وتعاهدوا عند ضريح الإمام الحسين بن علي، على ان لا يتراجعوا عن غايتهم. واستمرت الاجتماعات حتى نهاية شهر رمضان ١٣٣٧هـ ...))(٦٠). وهذا التخوف تعزز بشكل واضح بعد معرفة وجود اتصالات بين رجال الدين في كربلاء والأمير (فيصل بن الحسين) في شأن مصير العراق وشكل الحكم، اذ كتب (الشيخ محمد رضا الشيرازي) في ٢٦ أيار ١٩٢٠ رسالة إلى الأمير فيصل عكس فيها مخاوف العراقيين من الاحتلال وعجزهم في إيصال صوتهم وأهداف (الجمعية الاسلامية في كربلاء)، ومن نصوص تلك الرسالة: ((... لا ريب في أنكم تدركون ان موقف العراقيين إزاء الحكومة المحتلة موقف ملؤه المخاوف والأخطار لذلك يصعب عليهم مباشرة رفع أصواتهم إلى مؤتمر الصلح وعصبة الأمم والى الصحافة الحرة والحكومات الدمقراطية ومن أجل ذلك فقد انتدب أبي حضرة الفاضل الشيخ محمد باقر الشبيبي(٦١) ليفدكم شفاهاً عما ينبغي عمله بالفعل لانقاذ هذا البلاد الطاهرة التي عاث فيها اعداء الاسلام فساداً وضيقوا الخناق على أخوانكم الذين أنهكهم التحكم الغريب والظلم العجيب ومن جراء أفاعيل حكومة الاحتلال التي اعتدت ظلما وعدوانا على الاماكن المقدسة

مقامات أجدادكم الطاهرين وأهانت مراكز العلماء الروحانيين ...))[٦٢].

كان شيوخ العشائر من الفرات الأوسط وجنوب العراق يأتون لزيارة العتبات المقدسة، والإقامة في مدينة كربلاء خلال تلك الايام بسبب امتلاكهم بيوت وخدم، فيستغلونها باللقاء مع رجال الجمعية الاسلامية الكربلائية، بل هؤلاء الشيوخ والسادة وهم السيد (محسن ابوطبيخ ونور الياسري وعبدالواحد ال سكر وشعلان أبوالجون) لا يتوانون عن الاجتماع حتى دون المرجع الديني الشيخ (محمد تقي الشيرازي) في سبيل مناقشة واقع الحركة الوطنية، مثل اجتماعهم في منزل السيد (ابوالقاسم الكاشاني)الواقع قرب الحرم الحسيني المقابل لشارع السدرة في الثالث من شهر أيار عام ١٩٢٠ والذي تبعه في الليلة التالية عقد اجتماع في دار السيد (نور الياسري) الذي يقع في (محلة السلالمة) وأثمرت الاجتماعات على ضرورة إعلان الثورة[٦٣]). وناقش المجتمعون في اجتماعاتهم مشروع القيام بعمل مسلح ضد الاحتلال البريطاني وبغية معرفة شرعية عملهم، أرسلوا مشروعهم إلى المرجع الديني الشيخ (محمد تقي الشيرازي) الرابع من شهر أيار عام ١٩٢٠ فحصلوا على فتوى تجيز مشروعهم، وكان الوسيط بينهم) الشيخ (محمد رضا) نجل الشيخ (محمد تقي الشيرازي)[٦٤].

وبذلك استطاعت (الجمعية الاسلامية في كربلاء) جمع الحركة الوطنية من وسط العراق وجنوبه، فكان هذا التجمع من النخبة المثقفة وشيوخ العشائر ورجال الدين، وقد اتفقوا على استخدام أداة المواجهة وهي الثورة المسلحة.وقام أعضاء (الجمعية الإسلامية في كربلاء) بإرسال دعوات إلى أهالي كربلاء لحضور الاحتفالات والمناسبات في صحن العتبتين المقدستين، وكانت تهدف تلك

الاحتفالات على تحريض وتحشيد الناس، وتعبئتهم، ضد الاحتلال البريطاني ووصل الأمر الى إرسال (الجمعية الاسلامية في كربلاء) في ٤ حزيران١٩٢٠ مضبطة الى البريطانيين تطالب باستقلال العراق، وتشكيل لجنة تنظيم المظاهرات برعاية الشيخ (محمد رضا الشيرازي) وقد استضافت هذه اللجنة رجل ذونهج ثوري وهوالشيخ (محمد مهدي الخالصي)[٦٥] الذي خطب بالصحن الحسيني الشريف في ٢١ حزيران ١٩٢٠ خطبة ثورية استنهض فيها الهمم لمقاومة البريطانيين وإخراجهم من البلاد اذ قال: ((... نحن أيها السادة متمسكون بحبل الإسلام والإسلام لا يرضى بنا الذل فقد حُصِرَت العزة بنا اذ قال تعالى ((ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين))... فكونوا ممن لا يخشى ألّا الله... الموت أدنى لك يا بريطانيا من ان نذل لك ونخزى وأن وسوسة الشيطان لا تقف أمام أمر الرحمن... إن الحياة حلوة ولكنها مع الذل مرّه قذرة إذا لم نغلب بريطانيا فسوف لا تغلبنا ونحن أحياء بل ستدوس على اجداثنا ونحن مستشهدون في سبيل الله والعز والشرف))[٦٦] وهذه التطورات السياسية التي صنعها أهالي كربلاء أزعجت البريطانيين، فأصوات التكبير التي قاطعت خطبة الخالصي بين فترة وأخرى والقائلة (الله اكبر إلى ساحات العز والجهاد أيها المسلمون والموت للإنكليز) ووصف البريطاني بالكافر بل ظهور مفهوم فقهي بأن الإدارة البريطانية والعاملين معها بمثابة وصاية مسيحية على العراقيين، وبالتالي يعني خيانة للدين والوطن[٦٧] وهذه التطورات أجبرت البريطانيين على اتخاذ إجراءات عسكرية أضرمت مشاعر العامة، إذ أمر وكيل الحاكم المدني في العراق (ارنولد تالبوت ويلسون) حاكم مدينة الحلة السياسي (بولي) بالذهاب الى مدينة كربلاء

واتخاذ تدابير عسكرية تكسر شوكة (الجمعية الاسلامية في كربلاء)، وتشدد قبضة البريطانيين، فدخل بقوات من السيارات المصفحة والمدافع والرشاشات والتي طوقت المدينة بغلق مداخلها ومخارجها وهدد باقتحامها أوتسليم جملة من أهاليها المثيرين للنشاط الوطني، وهم (الشيخ محمد رضا الشيرازي والشيخ عبدالكريم العواد ومحمد شاه الملقب بالهندي وأحمد القنبر والشيخ هادي آل كمونة والشيخ كاظم ابوذان والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ عمر الحاج علوان وابراهيم ابووالدة وعبدالمهدي القنبر والسيد احمد البير وعثمان العلوان والسيد محمد علي (هبة الدين) الحسني الشهرستاني)[٦٨] وهولاء أمرهم الشيخ (محمد تقي الشيرازي) بالذهاب والتفاوض (ويبدوأنها الخشية على المدينة من بطش البريطانيين) فذهبوا في اليوم التالي باستثناء (السيد هبة محمد علي (هبه الدين الحسني الشهرستاني) بسبب إصابته بالرمد، وعند حضورهم اتهمهم (بولي) بالنشاط ضد البريطانيين فاعتقلوهم ونفوهم الى جزيرة هنجام في الهند[٦٩]. وهذا العمل كان شديد الوطأة على (الجمعية الاسلامية في كربلاء)، فتوجه سادة وشيوخ عشائر الفرات الأوسط إلى مدينة كربلاء في زيارة النصف من شعبان ١٣٣٨ والمصادف ٢٨ حزيران ١٩٢٠ لمناقشة التطورات السياسية في اعتقال ونفي جمع من أهالي كربلاء وبخاصة (الشيخ محمد رضا الشيرازي) وحضر رجال من الفرات الأوسط هم (السادة علوان الياسري وكاطع العوادي وهادي زوين ومحمد رضا الصافي ومحسن أبوطبيخ والشيوخ عبدالواحد ال سكر ومجبل الفرعون وعلوان الحاج سعدون وعبادي الحسين ومرزوك العواد وشعلان العطية وسعدون الرسن وشعلان ابوالجون وغثيث الحرجان وشعلان

الجبر) واجتمعوا في دار (السيد ابو القاسم الكاشاني) الملاصقة للصحن الحسيني الشريف من جهة باب السدرة، وتبعه اجتماع أخر في دار (الشيخ محمد تقي الشيرازي) وحضره من النجف (الشيخ عبدالكريم الجزائري) وبغداد (محمد جعفر ابوالتمن) واقسم المجتمعين على تحرير العراق وتخليصه من البريطانيين (ويبدوانه تنسيق مسلح للقيام بالثورة) لان المجتمعون خططوا للثورة ففي نفس اليوم كتبوا كتاباً إلى حاكم (الشامية والنجف) (نوربري) يطالبونه بالإفراج عن نجل الشيرازي ورجال (الجمعية الاسلامية في كربلاء) والا القيام بالثورة المسلحة(٧٠). وهذا تصريح بالمقاومة الشعبية المسلحة.

وكانت هذه العوامل مجتمعة قد ساعدت على تصاعد احتقان الجماهير، فبعد يومين من تهديد العشائر، وفي الثلاثين من شهر حزيران عام ١٩٢٠ انطلقت شرارة الثورة من مدينة الرميثة التي حسمت سياسات المماطلة بين العراقيين والبريطانيين، وأصبحت العشائر العراقية بمثابة الذراع العسكري للوطنيين الذين اتخذوا من كربلاء مركز لنشاطهم، فشكّلت في مدينة كربلاء حكومة محلية، وعملت (الجمعية الاسلامية في كربلاء) على تسخير كل ما في مدينتهم لصالح الثورة فسيطروا بتاريخ ٧ تموز ١٩٢٠ على حامية طويريج العسكرية، وامتد تأثير الثورة على معظم مدن وقرى وأرياف الفرات الأوسط التي حاصرت الحاميات البريطانية وسيطرت عليها، وأرسل الثائرون في ٢٤ تموز ١٩٢٠ مندوباً عنهم اسمه (جدوع أبوزبد) الى عشائر الجنابيين في المحمودية وزوبع في الفلوجة لاستنهاض هممهم ودعوتهم للمشاركة في الثورة فعرض عليهم فتوى الشيرازي في الجهاد، وكتاب استنهاض الهمم بتوقيع السيد (هبة

الدين الشهرستاني) وأثمر الأمر اذ وافق الشيخ (خضر العاصي) من عشيرة الجنابيين، وذهب الثائرون في مدينة كربلاء الى معاون الحاكم السياسي (محمد خان بهادر) فطلبوا منه التنازل عن ادارة المدينة فطلب منهم يومين وكان ينوي استغلالهما للاستعداد لمواجهة الحركة الوطنية، فخرجت مظاهرة تندد به وتذمّه ومن هتافاتها ((ما نطيك يا عبدالسوجر))(٧١) والمراد من هذا الهتاف (عدم إعطاء إدارة المدينة يا خادم الجنود البريطانيين) وأثمر هذا النشاط، أذ اضطرت تلك الادارة للهرب الى الحامية البريطانية في المسيب في ٢٥ تموز ١٩٢٠، ودفع هذا الحدث (الجمعية الاسلامية في كربلاء) الاحتفال واطلاق الاهازيج، وفي اليوم التالي اجتمع رجال الحركة الوطنية في دار الشيخ (محمد تقي الشيرازي) لمناقشة إدارة مدينة كربلاء وحفظ الأمن والاتفاق على تنصيب شخصية من الحركة الوطنية والمعروف بثقله العشائري وهو (السيد محسن أبوطبيخ) متصرف لمدينة (طويريج) في ٦ تشرين الأول ١٩٢٠(٧٢).

الخاتمة

أولا: ظهرت للباحثين (الجمعية الإسلامية في كربلاء) بسبب المرحلة الصعبة التي مر بها العراق بعد الاحتلال البريطاني، لاسيما بعد معرفة نوايا البريطانيين على ربط العراق بالهند وفرض سياسة الحكم المباشر، ومن دواعي الظهور لهذه الجمعية كشف زيف مواثيق الوعود البريطانية وادعاءاتهم الكاذبة التي روجوا لها خلال الحرب. لذا اخذت ثلّة من رجال النخبة المثقفة الواعية في مدن الفرات الأوسط التعاون مع شيوخ العشائر المتعاطفين معهم بتشكيل جمعية أسلامية وطنية يقودها مرشد ديني وهوالشيخ (محمد تقي الشيرازي) وكان أعضاؤها الفاعلون هم من أهالي كربلاء والنجف ومقرها في كربلاء بسبب توفر الظروف الجيدة لهذه المدينة من قيادة النشاط السياسي للعراق بعد خمول مدينة النجف بسبب قسوة البريطانيين على أهلها بسبب انتفاضة النجف ١٩١٨، واستطاعت الجمعية من الهيمنة السياسية على مدن الفرات الأوسط بل كان لها من يسمع ويستجيب من العراقيين كافة عن طريق البيانات والمناشير والفتاوى، لذا يرى الباحث ان هذه الجمعية هي استكمال لنشاط الجمعية الإسلامية في النجف التي تأسست في النجف عام ١٩١٧- والتي قامت بانتفاضة عارمة في النجف عام ١٩١٨ وكانت سبب في نهايتها بسبب إعدام رجالها في الكوفة على مشانق البريطانيين.

ثانيا: كانت الوسائل التي استخدمتها (الجمعية الاسلامية في كربلاء) لمواجهة الاستفتاء البريطاني وسائلاً واعية ومتقنة تدل عن دراية عالية عندما واجهت الفكر بالفكر لصالح العراقيين، فعندما أراد البريطانيون من مضابط الاستفتاء جواباً واحداً يتماشى مع سياستهم وهوربط العراق بالهند كانت المفاجأة من جواب الجمعية المؤثر وهوالرغبة بحكومة عربية يرأسها أمير هاشمي، وكان رد البريطانيين عنيف تمثل بالاعتقال والتهميش والنفي وكان أسلوب ردّ الجمعية بالغ الوعي والأهمية عندما اتصلت بالدول الكبرى وعرضت قضيتها إمام الرأي العام العالمي، واستكمالاً لهذا النهج الواعي أعدت الجمعية مضبطة متفق عليها وأرسلت في اب ١٩١٩ بيد الشيخ (محمد رضا الشبيبي) إلى الحجاز تطالب بحكومة عربية يرأسها احد أنجال الشريف الحسين بن علي الهاشمي، وهودليل على وعي ودقة عمل هذه الجمعية.

ثالثا: كان موقف البريطانيين من سياسة (الجمعية الإسلامية في كربلاء) قد تمحور حول محاولات بائسة في كسر هيبة رجال الجمعية الإسلامية الكربلائية بالاستمالة أوالترغيب، وفي أوقات أخرى الترهيب والتحذير، وكلها لم تنفع. فبعد موقف رجال الجمعية بضرب الاستفتاء وإفشاله حاول البريطانيون من التقرب والتملق لرجال الجمعية الإسلامية الكربلائية وبشتى الوسائل وبخاصة عندما أرادوا العزف على وتر حساس جداً وهوالطائفية والعنصرية فما كانت إلاّ حكمة الشيخ الشيرازي التصدي لهذه السياسات المفرقة وإجهاض مشاريع البريطانيين الطائفية، وبعد فشل البريطانيين في زرع الفرقة وكسب رجال الجمعية قاموا بالبطش برجال الجمعية من الاعتقال والتعذيب والنفي خارج العراق، ولم

يكتب لتلك المحاولات إلا الفشل وزيادة صلابة الجمعية الإسلامية الكربلائية ومواصلة نشاطها السياسي. ويرى الباحث ان هذه الصلابة والمواصلة راجع الى صلابة وقوة رجالها المتمثلة بمرشدها الروحي وبعلماء المذهب.

رابعا: كان دور (الجمعية الإسلامية في كربلاء) في ثورة العشرين موقف القيادة والريادة للعراقيين ومن أرض مدينة كربلاء، فقد كانت سياسات البريطانيين الطائشة سبباً دفع العراقيين الى الثورة وأصبحت الجمعية الإسلامية الكربلائية الراعي الرئيس لنشاط الثورة بإقامة المؤتمرات الثورية التعبوية في كربلاء والاتصال مع فيصل بن الحسين وجمع العشائر العراقية في خندق واحد والاجتماع بهم، بل استطاعت من جمع العراقيين من شماله الى جنوبه، واقامة الاحتفالات الدينية والمهرجانات الحماسية والتعاون مع الحركة الوطنية في المدن العراقية ومنها بغداد والنجف، فكان الرد البريطاني الاعتقال والنفي والتشريد وهنا أدرك البريطانيون أن قوة الجمعية نابع من قوة وصلابة مرشدها الشيخ (محمد تقي الشيرازي) الذي يرجع اليه الشيعة في جميع أمورهم لكونه المرجع الأعلى لهم لذا قاموا باعتقال نجله الشيخ (محمد رضا الشيرازي) ونفيه خارج العراق، وكانت تلك الحادثة ضربة موجعة للجمعية. وأمام هذه المعطيات انطلقت ثورة العشرين في العراق وأوجعت البريطانيين، فعلى الرغم من فشلها العسكري الا انها انتصرت سياسيا بإبدال الحكم البريطاني المباشر الى الحكم الغير مباشر وقيام حكومة وطنية عراقية. وكانت سياسة العنف تجاه رجال الجمعية بالاعتقال والنفي والترهيب عامل مساعد على نهاية الجمعية إلا أنّ النهاية الحقيقية بعد وفاة المرشد الروحي لها الشيخ الشيرازي ١٧ أب ١٩٢٠.

وهي بذلك حققت الكثير من الثمار، ومنها ثمرة ثورة العشرين.

خامساً: ظهرت للباحث أنّ (الجمعية الاسلامية في كربلاء) قامت بإجهاض مشروع ربط العراق بالهند تحت هيمنة السياسة البريطانية، إذ كان لها الفضل بتنسيق الجهود الوطنية العراقية في اتجاه الاستفتاء البريطاني كما استطاعت الجمعية الاسلامية في كربلاء توحيد الكلمة من خلال استغلال التأثير الروحي لمرشدها الديني المرجع الديني الشيخ (محمد تقي الشيرازي) على العراقيين فكان للجمعية الاسلامية الكربلائية دور في توحيد مضابط الاستفتاء باتجاه وحدة العراق وسيادتة وان رجال الجمعية لهم الفضل بوحدة الساسة العراقيين ورسم مستقبل العراق بالتعاون مع إشراف الحجاز في شكل الحكومة العراقية، وللجمعية الاسلامية الكربلائية دور في قيادة ثـورة العشرين وضرب البريطانيين وإجبارهم على ابدال سياستهم تجاه العراق لذا فأن الجمعية حققت رسالتها الدينية والسياسية ونجحت في حماية العراق في مدة حرجة وهي ١٩١٨-١٩٢٠ وهوعمر الجمعية.

الهوامش

(١) عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثـورة العشرين) بغداد، د. م، ١٩٨٤، ص٢٤٤.
(٢) إبراهيم الفاضلي، الثورة التي قادها المرجع الديني محمد تقي الشيرازي، العدل «صحيفة»، ع ٣٠، س ٧، النجف، ٣٠ أب ١٩٧٣.
(٣) محمد طاهر العمري الموصلي، تأريخ مقدرات العراق السياسية، المجلد الثالث، مط دار السلام، بغداد، ١٩٢٥، ص ص٣٣٣-٣٣٤؛ عبدالرزاق آل وهاب، كربلاء في التاريخ، ج ٣، مط الشعب، بغداد، ١٩٣٥، ص٢٥؛ عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط٢، مط دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص١٩٣.
(٤) عبدالجبار حسن الجبوري، الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص٥٤.
(٥) محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين-معلومات ومشاهدات عن الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠، مط التضامن، النجف، ١٩٧١، ص ص٦٣-٦٩.
(٦) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص٢٤٥.
(٧) المصدر نفسه، ص٢٤٥.
(٨) عبدالرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص ص٣٠-٣١.
(٩) المصدر نفسه، ص٣١.
(١٠) المجتمع «صحيفة»، في ذكرى ثورة العشرين، ع ١٦٨، كربلاء، ٦ تموز١٩٧٢.
(١١) المصدر نفسه.
(١٢) عبدالرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص٣٢.
(١٣) موسى إبراهيم الكرباسي، ثورة العشرين جسدت أماني الشعب، المجتمع «صحيفة»، ع ١٢١، كربلاء، ٢٩ أب ١٩٧١.

(١٤) لجنة احياء تراث الامام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الامام الميرزا محمد تقي الشيرازي، دار الصادق للطباعة والنشر، كربلاء، ٢٠٠٤، ص٤٥.

(١٥) نور الدين الشهرودي، نور الدين الشهرودي، اسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٩٩١، ص١٧٨.

(١٦) عبدالرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص٣٥.

(١٧) إسحاق النقاش، شيعة العراق، قم، ١٩٩٨، ص٩٤.

(١٨) هي من الجمعيات السياسية العراقية، تأسست في نهاية شباط ١٩١٩ وضمت في عضويتهاكل من: محمد الصدر، جعفر أبوالتمن، علي البازركان، يوسف السويدي، وآخرين، وكانت تعمل ضد الاحتلال البريطاني للعراق، للمزيد من التفاصيل عن هذه الجمعية ينظر: عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص ص٥٦-٥٩.

(١٩) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية –حقائق ووثائق- فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال ٤٠ عام، دمشق، ١٩٩٩، ص١٩.

(٢٠) كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، ج الأول، مط الآداب، النجف، ١٩٦٩، ص١٥١.

(٢١) إبراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، بغداد، ١٩٦٨، ص٤١؛ رؤوف الواعظ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ١٩١٤-١٩٤١، بغداد، ١٩٧٤، ص١٠٠.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٢٣) وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين (الجذور السياسية والفكرية للحركة القومية العربية والاستقلالية)، ط٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٩٧.

(٢٤) حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج٢، بيروت، ١٩٩٠، ١٨٧-١٨٨؛ الاء عبدالكاظم جبار، موقف الفئة المثقفة في حركة كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢ مكتبة الحكمة، كربلاء، ٢٠٠٨، ص١٠٨.

(٢٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق (حول ثورة العشرين) ج٥، بغداد، د. ت، ص٧٩-٨٠.

(٢٦) مقتبس من سلمان هادي ال طعمة، تراث كربلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت، ١٩٨٣، ص٣٦.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٣٦؛ عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مط العرفان، بيروت، ١٩٦٥، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢٨) محمد حسن الكليدار، كربلاء في دور الاحتلال الإنكليزي البغيض، الكتاب «مجلة» ع ٣، س ٩، بغداد، آذار ١٩٧٥، ص٤٢.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٣٠) هوفتح الله بن محمد النمازي الأصفهاني، من كبار رجال الدين في العراق، كان له دور كبير في الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني سنة ١٩٢٠ الى جانب زميله الشيخ الشيرازي، أصبح الأصفهاني مرجعاً أعلى بعد وفاة الشيرازي في ١٧ آب ١٩٢٠ لمدة سنة واحدة ووافته المنية، تولى المرجعية من بعده السيد (أبوالحسن الأصفهاني). للمزيد من التفاصيل ينظر: نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، المصدر السابق، ص ص١٩٢-١٩٥.

(٣١) مقتبس من محمد حسن الكليدار، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣٢) سميت بهذا الاسم نسبة الى رئيسها (تشارلس كراين)، وعضوية أحد أعضائها المسمى (هنري كنج)، وكانت لجنة أمريكية صرفه بعد أن اعترضت أوتراخت الأطراف الدولية الأخرى في المشاركة فيها، قررت الولايات المتحدة إرسالها في ٢١ آذار١٩١٩، واستمرت بعملها في بلاد الشام لمدة ستة أشهر، رفعت بعدها تقريرها الى الرئيس الأمريكي (ودروويلسن) في ايلول ١٩١٩، والذي أوصت فيه باستقلال سوريا الاداري الواسع، وضم فلسطين ولبنان الى سوريا، كما أوصت اللجنة برفض المطالب الصهيونية في فلسطين، لكن انسحاب الولايات المتحدة من مؤتمر الصلح ومعارضة فرنسا لمقترحات اللجنة، كل ذلك حال دون تطبيق مقترحاتها. ينظر: نجيب الأرمنازي، محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، مطابع الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤، ص ص٦-٨؛ د. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، مط المعارف، بغداد، ١٩٤٦، ص ص٤-٦.

(٣٣) جعفر العسكري (١٨٨٥-١٩٣٦): ولد في بغداد، لقب بالعسكري نسبة الى قرية (عسكر) العراقية القريبة من كركوك وهي القرية التي انتقل إليها جده الأكبر في القرن السادس عشر الميلادي، دخل العسكري المدرسة الحربية في الاستانة وتخرج منها سنة

١٩٠٤ وأصبح ضابطاً في الجيش العثماني برتبة ملازم ثان، شارك في الحرب العالمية الأولى في ليبيا الى جانب السنوسيين ضد البريطانيين، إلا أنه انضم الى الجيش العربي بقيادة الشريف حسين المتحالف مع البريطانيين سنة ١٩١٧ في بلاد الشام، عاد الى العراق وأصبح وزيراً للدفاع في حكومة عبدالرحمن النقيب سنة ١٩٢٠، ثم أصبح رئيساً للوزراء في عام ١٩٢٣، استمر بشغله للمناصب الحكومية حى مقتله خلال الانقلاب الذي قاده الفريق (بكر صدقي) في العراق في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، للمزيد من التفاصيل ينظر: مذكرات العسكري، تحقيق وتقديم نجدة فتحي صفوة، دار اللام، لندن، ١٩٨٨؛ علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧.

(٣٤) إسحاق النقاش، المصدر السابق، ص٩٧؛ نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، المصدر السابق، ص١٦٣.

(٣٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية المصدر السابق، ج ٥، المصدر السابق، ص ص١٢٢-١٢٣.

(٣٦) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص ص٩٠-٩١.

(٣٧) الوطن «صحيفة»، الى روح العلامة الكبير (البطل الثائر) المرحوم محمد تقي الحائري، ع ١٦، س ١، بغداد، ٢٨ أب ١٩٦٦.

(٣٨) سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠٠٠، ص ص٣١-٣٢.

(٣٩) عبدالرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص٧٦.

(٤٠) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٤١) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص١٠١.

(٤٢) عبدالرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص ص٥٧-٥٨.

(٤٣) نور الدين الشهرودي، اسرة المجدد الشيرازي؛ المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٤٤) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٨٨.

(٤٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية المصدر السابق، ج٥، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٤٦) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٤٧) عباس الحائري، حوادث الأيـام، ج الأول، تحقيق أحمد محمد رضا الحائري، قم، ٢٠٠٠، ص٤٦٧.

(٤٨) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٩٠.

(٤٩) لجنة التأبين، سيرة آية الله الخراساني، قم، ١٩٩٤، ص٢٤١.

(٥٠) مس بل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق جعفر خياط، ط٢، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ص٤٤١.

(٥١) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر سابق ص٥٤. وللمزيد من التفاصيل عن اسباب ثورة العشرين في العراق ينظر: وميض جمال عمر نظمي، المصدر سابق؛ عبدالله الفياض، المصدر سابق.

(٥٢) للمزيد من التفاصيل عن حوادث انتفاضة النجف ١٩١٨ واجراءات البريطانيين ينظر: عدي حاتم عبدالزهرة، النجف الاشرف، المصدر السابق، ص٢٢٣-٣٠٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٢٧٠-٢٧١.

(٥٤) علي الشرقي، الأحلام، بغداد، مط العمال، ١٩٦٣، ص١٠٨؛حسن شبر، المصدر السابق، ص٢٢٦-٢٢٧؛ نديم عيسى، المصدر السابق، ص٦٦.

(٥٥) وهوالسيد هادي بن السيد محمد بن السيد حسن بن حسين المعروفين (بال زوين النجفية) وهوأديب ومن وجهاء النجف وذوتأثير على عشائر الفرات الاوسط وكان هووابيه مؤثر في الأوساط الرسمية في الحكومة العثمانية وتهدئة النفور بين تلك الحكومة وعشيرة الخزاعل ودخلوا مع هذه العشيرة في شراكة زراعية فأصبحوا وكلاء لهم في أراضي الحيرة، وكان مساهماً في انتفاضة النجف وثورة العشرين توفي ١٩٢٥. محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص٢٢٨-٢٣١.

(٥٦) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٦٣.

(٥٧) هومن التجار المعروفين في مدينة الكاظمية ويمتلك تعليم جيد وكان معروف بتنوره اذ كان له الفضل في تأسيس (مكتب الترقي الجعفري العثماني) اوبما يعرف (المدرسة الجعفرية) وكان دعمه ماديا ومعنويا وكان من المجاهدين ضد الاحتلال البريطاني في حملة الجهاد ١٩١٥ وثورة العشرين. للمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر: عبدالرزاق عبدالدراجي، جعفر ابوالتمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط٢،

بغداد، دار الحرية، ١٩٨٠.

(٥٨) هوالاجتماع السري الذي عقد في ٣ آيار ١٩٢٠في منزل السيد أبوالقاسم الكاشاني، حضره عدد من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف مناطق الفرات الأوسط (نور الياسري، عبدالكريم الجزائري، محسن ابوطبيخ، عبدالواحد الحاج سكر، شعلان أبوالجون، عبدالوهاب الوهاب، هبة الدين الشهرستاني) وموفد بغداد (جعفر أبوالتمن) تداولوا فيه مسألة استخدام القوة ضد الاحتلال البريطاني في العراق، وتم الاتفاق أخيراً على ضرورة أخذ رأي الشيخ (محمد تقي الشيرازي) فاختاروا خمسة مندوبين منهم لمقابلة الشيرازي وهم (الشيخ عبدالكريم الجزائري، جعفر أبوالتمن، نور الياسري، علوان الياسري، عبدالواحد الحاج سكر) واجتمع المندوبون الخمسة مع الشيرازي في منزله بتاريخ ٤ آيار ١٩٢٠ ويُعد هذا الاجتماع من أهم الاجتماعات التي عُقدت قبل الثورة.وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٧٤.

(٥٩) حسن الشيخ عبدالامير، العلامة المجاهد الشيخ رحوم الظالمي سيرته وجهاده (قم، ٢٠٠٥) ص ٦٨.

(٦٠) مقتبس من كامل سلمان الجبوري، وثائق لم تنشر عن الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، أفاق عربية «مجلة» بغداد، ع ٨، س ٤ نيسان ١٩٧٨، ص ١١

(٦١) ولد في مدينة النجف ١٨٨٩ وهومن عائلة عرفت بالعلم وريادة الأدب وصنوفه، أبوه من فحول الشعر في العراق وهو (الشيخ جواد الشبيبي) لديهم مجلس ادبي ضم مختلف شعراء النجف وأدبائها، كان عضوحرس الاستقلال، وحلقة الوصل بين الحركة الوطنية في كربلاء والبغداديين، وهومن حمل رسائل الوطنيين الى الأمير فيصل بن الحسين، توفي ١٩٦٠. للمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ودورها السياسي ينظر: عبدالرزاق الهلالي، الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٠) بغداد، شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٦٥.

(٦٢) عبدالرزاق ال وهاب، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٦٣) عبدالله الفياض المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٦٤) عبدالامير هادي العكام، المصدر السابق، ص٤١؛ عبدالله الفياض، المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٦٥) ولد في مدينة الكاظمية ونشأ فيها، ودرس العلوم الحوزوية في مدينة النجف ثم عاد

الى مدينته وأكمل فيها دراسته حتى أصبح من رجال الدين البارزين، وكان الساعد الأقوى والمفوض المعتمد للشيخ محمد تقي الشيرازي والذي كان يتكل عليه ويستشيره في القضايا الدينية والسياسية فاصبح محرك فاعل في ثورة العشرين ومساندة اهالي كربلاء. محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص ١٤٧-١٥٠

(٦٦) مقتبس من فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ج١، بغداد، مط النجاح، ١٩٥٢، ص ١٥١؛ ومقتبس من نديم عيسى، المصدر السابق، ص٦٩؛ كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٦٧) نديم عيسى، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٦٨) ولد بمدينة سامراء عام ١٨٨٤ ودرس على يد علمائها، وبعدها توجه إلى مدينة كربلاء ثم مدينة النجف عام ١٩٠٢ فنهل من معارفهما وعلومهما، واخذ الجانب الإصلاحي في تدريسه، بل كان مؤيدا» للحركات الإصلاحية (الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩٠٦) و(العثمانية ١٩٠٨-١٩٠٩) وله مؤلفات أهمها (الهيئة والاسلام) تقلد منصب وزير المعارف في حكومة عبدالرحمن النقيب الثانية، وغيرها من المناصب الإدارية، توفي عام ١٩٦٧. محمد باقر البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني أثاره الفكرية ومواقفه السياسية ١٨٨٤-١٩٦٧، ايران، مط دلتا، ٢٠٠٢، ص ٢٥-٣٣؛ عدي حاتم عبدلزهرة، السيد هبة الدين الشهرستاني مصلحا ومجددا، جامعة كربلاء «مجلة» ٢٠٠٤، مج ٢، ع ٦، ٢٠٠٥، ص ٢١٥.

(٦٩) فريق المزهر الفرعون، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٧٠) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، مط اللواء، ١٩٥٤، ص١١٩؛ عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص١٦٣-١٦٤.

(٧١) السوجر قادمة من الكلمة الانكليزية soldiery والتي تعني جنود والمقصود بذلك الجنود البريطانيين فمعنى الهوسة الشعبية (يا عبدالجنود البريطانيين).

(٧٢) كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق، ص١٤.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، بغداد، ١٩٦٨.
٢. إسحاق النقاش، شيعة العراق، قم، ١٩٩٨.
٣. حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج ٢، بيروت، ١٩٩٠.
٤. حسن الشيخ عبدالامير، العلامة المجاهد الشيخ رحوم الظالمي سيرته وجهاده قم، ٢٠٠٥.
٥. الاء عبدالكاظم جبار، موقف الفئة المثقفة في حركة كربلاء من التطورات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، ٢٠٠٨.
٦. رؤوف الواعظ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ١٩١٤-١٩٤١، بغداد، ١٩٧٤.
٧. سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، بيروت، ١٩٨٣.
٨. صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية -حقائق ووثائق- فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال ٤٠ عام، دمشق، ١٩٩٩.
٩. عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٦٥.
١٠. عبدالرزاق عبدالدراجي، جعفر ابوالتمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط٢بغداد، ١٩٨٠.
١١. عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، ١٩٨٤.
١٢. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق (حول ثورة العشرين) ج ٥، بغداد.
١٣. علي الشرقي، الأحلام، بغداد، ١٩٦٣.
١٤. علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤.
١٥. فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ج ١، بغداد، ١٩٥٢.
١٦. محمد طاهر العمري الموصلي، تأريخ مقدرات العراق السياسية، المجلد الثالث، بغداد، ١٩٢٥.

١٧. محمد باقر البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني أثاره الفكرية ومواقفه السياسية ١٨٨٤-١٩٦٧ ايران، ٢٠٠٢.

١٨. مس يل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق جعفر خياط، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٤.

١٩. عباس الحائري، حوادث الأيام، الجزء الأول، تحقيق أحمد محمد رضا الحائري، قم، ٢٠٠٠.

٢٠. عبدالرزاق آل وهاب، كربلاء في التاريخ، ج ٣، بغداد، ١٩٣٥.

٢١. عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط ٢، بغداد، ١٩٧٥.

٢٢. عبدالجبار حسن الجبوري، الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨، بغداد، ١٩٧٧.

٢٣. محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين-معلومات ومشاهدات عن الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠، النجف، ١٩٧١.

٢٤. لجنة احياء تراث الامام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الامام الميرزا محمد تقي الشيرازي، كربلاء، ٢٠٠٤.

٢٥. كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، ج ١، النجف، ١٩٦٩.

٢٦. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، بغداد، ١٩٤٦.

٢٧. نور الدين الشهرودي، نور الدين الشهرودي، اسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٩٩١.

٢٨. نديم عيسى، الفكر السياسي لثورة العشرين، بغداد، ١٩٩٢.

٢٩. لجنة التأبين، سيرة آية الله الخراساني، قم، ١٩٩٤.

٣٠. وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين (الجذور السياسية والفكرية للحركة القومية العربية والاستقلالية)، ط ٢، بغداد، ١٩٨٥.

البحوث العلمية

٣١. عدي حاتم عبدالزهرة، السيد هبة الدين الشهرستاني مصلحا ومجددا، جامعة كربلاء «مجلة» ٢٠٠٤، مج ٢، ع ٦، ٢٠٠٥.

الدوريات

٣٢. أفاق عربية «مجلة» بغداد، ع ٨، س ٤، نيسان ١٩٧٨.
٣٣. العدل «صحيفة»، ع ٣٠، س ٧، النجف، ٣٠ أب ١٩٧٣.
٣٤. الكتاب «مجلة» ع ٣، س ٩، بغداد، آذار ١٩٧٥.
٣٥. المجتمع «صحيفة»، في ذكرى ثورة العشرين، ع ١٦٨، كربلاء، ٦ تموز ١٩٧٢.
٣٦. المجتمع «صحيفة»، العدد ١٢١، كربلاء، ٢٩ أب ١٩٧١.
٣٧. الوطن «صحيفة» الى روح العلامة الكبير (البطل الثائر) المرحوم محمد تقي الحائري، العدد السادس عشر، بغداد، ٢٨ أب ١٩٦٦.

باب التراث الأدبي

Literature Heritage Section

وظائف مراثي الإمام الحسين (عليه السلام) في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠-١٩٥٠)

Functions of Imam Husain's (peace be upon him) Elegies in Iraqi Poetry for the Period (1900-1950)

م. د. علي حسين يوسف

الكلية التربوية المفتوحة في كربلاء

Lecturer Dr. Ali Husain Yusif

Open Educational College

Karbala University
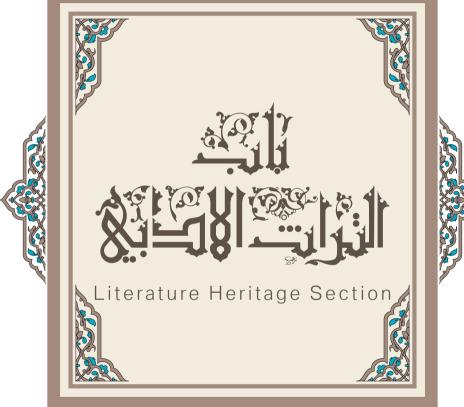
الملخص

هذا بحث يقف على مراثي الامام الحسين في الشعر العراقي الحديث في ثلاثة محاور:

الأول: الوظيفة النفسية التي تجسد الرؤية الذاتية للشعراء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: الوظيفة الإجتماعية والأخلاقية التي تعبر عن طموحات الشعراء في بناء مجتمع فاضل.

الثالث: الوظيفة السياسية التي نجد أثرها من خلال محاولة الشعراء وأستلهام مبادئ الثورة الحسينية في رفض الظلم والمطالبة بتحرير الشعوب.

- وخرج البحث بمجموعة نتائج يمكن تلخيصها في أن الشعراء العراقيين في مراثيهم الحسينية أن الأدب ينبع من ذات الإنسان، ولكنه لايستطيع أن ينفصم عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه الأديب، فقد سجل الشاعر العراقي وفي حضرة الإمام الحسين عليه السلام كل همومه التي أثارتها عوامل السياسة محرضا، ومستنهض، او ناصحاً، وشاكياً الى سيد الشهداء، وبذلك فالشاعر كان يعي دور الكلمة في تغيير الواقع السياسي، فضلا على وعيه بأن الأدب ليست بعيد عن الأحداث السياسية، وهذا يعني أن الشاعر كان يمارس دوره في نقد ذلك الواقع حتى في حالات حزنه.

Abstract

This research aims at investigating Imam Husain's (peace be upon him) elegies at the period specified as such elegies have kept treating Arab affairs. Accordingly, this research falls into three sections:

The first: The pscychological function which reflects the personal viewpoints of the poets in elegizing Imam Husain (peace be upon him) .

The second: The social and ethical function which expresses the poets ambitions in establishing a virtuous society.

The third: The political function the effect of which is noticed in the poets attempts and their acquiring of the principles of Imam Husain's revolution in not accepting injustice and appealing for nation's freedom .

The research ends with proving that the Iraqi poets in their Imam Husain's elegies start from inside the human being which is inseparable from the society reality in which the writer

lives. The Iraqi poet, in the presence of Imam Husain (peace be upon him), expressed his sorrows and troubles stimulated by the pscychological, social, ethical and political factors.

توطئة

ينطلق هذا البحث من ان الأدب عامة، والشعر خاصة، لا بدَّ أن يكون هادفاً لتحقيق غاية منشودة؛ نفسية أواجتماعية أوأخلاقية أوسياسية مستنداً في ذلك إلى أمرين: مبدأ الالتزام في الأدب الذي يقابل مبدأ (الفن للفن)[١]، وإلى استقراء مراثي الإمام الحسين عليه السلام في الحقبة موضوع الدراسة، إذ إن تلك المراثي لم تنفك من معالجة قضايا الإنسان العربي، فقد عبرت عن هموم الجماهير وطموحاتها، إذ حاول الشعراء توظيف الحقائق التاريخية المتمثلة بأحداث معركة الطف من أجل ربط الحاضر بالماضي لمنحه قوة وثراء، ولتأكيد عمق الانتماء التاريخي المتمثل بأنصع صفحات التاريخ، صفحة الثورةالحسينية.

إن أهم ما ميز مراثي الإمام الحسين في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين تلك النظرة النقدية للواقع العراقي وهوأمر يدل على إدراك واعٍ عند الشعراء بمسؤوليتهم التاريخية، وشعورهم بأن غائية الأدب لا تتعارض مطلقاً مع قيمه الفنية الخاصة، وقد وجد هؤلاء الشعراء أنَّ الأدب «يجب أن يندغم في مشكلات المجتمع... حتى يحيل حياتنا الفردية إلى حياة اجتماعية تترفع عن الهموم الشخصية الصغيرة، وتضطلع بالهموم الإنسانية الكبرى»[٢]، لذلك كان التزام هؤلاء الشعراء بقضايا أمتهم وهم يرثون الإمام الحسين عليه السلام معبراً عن التزامهم بمبادئ الثورة الحسينية، كون تلك المبادئ خير ما ينهض بالإنسان إلى

عالم السمو الروحي والأخلاقي[٣]، فضلا على ما يؤديه رثاء الإمام الحسين عليه السلام من رؤية ذاتية تتمثل في رجاء التقرب إلى الله عن طريق الإمام الحسين عليه السلام وما ينتج من ذلك الأمر، من شعور بالراحة النفسية، والأمان الداخلي وهكذا نجد إن "الشاعر يهدف إلى خلق عالم أفضل من العالم الذي نعيش فيه"[٤]، وهذا المنحى في التوظيف الشعري يعكس اهتمام الشعراء بالقضايا الإنسانية التي أكدتها الآداب العالمية وأفرزتها المتغيرات التاريخية[٥]، فظهر ذلك واضحا في الموضوعات الجديدة، ولا سيما السياسية الاجتماعية منها، واستعمال المفردات المعبرة عن تلك الافكار الجديدة مما دفع الشعراء الى ان تكون مراثيهم الحسينية معبرة عن رسالتهم الانسانية والقومية فضلا على ما تضمنته تلك المراثي من قيم دينية وأخلاقية وتربوية.

لذلك سيكون هذا الفصل في ثلاثة محاور:

الأول: الوظيفة النفسية التي تجسد الرؤية الذاتية للشعراء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية التي تعبر عن طموحات الشعراء في بناء مجتمع فاضل.

الثالث: الوظيفة السياسية النبي نجد أثرها في محاولة الشعراء واستلهام مبادئ الثورة الحسينية في رفض الظلم والمطالبة بتحرير الشعوب.

أولاً: الوظيفة النفسية:

تتمثل الوظيفة النفسية للشعر عامة -والرثاء خاصة- في ما تثيره من عواطف كامنة في النفس، وما يتولد من ذلك من استقرار نفسي، فالنصوص الأدبية المؤثرة «تكشف من أمامنا آفاقا فسيحة من الخيال المجنح، والعاطفة المتقدة»(٦)، ويبدوهذا الأمر جلياً في النصوص التي ترتبط بعقيدة الإنسان يقول أحد الباحثين المعاصرين "إن قراءة القرآن -مثلاً- لا تتحفني بطائفة من الأفكار ولا تحلق بي في أجواء من التأملات فحسب، ولكنها إلى ذلك تنفحني نسائم من العواطف، وتثير عندي طائفة من الانفعالات، وقد تفرض علي سلوكا معيناً"(٧) إن الإنسان إذا ما آمن بعدالة قضية فإنه يكون من الناحية النفسية مستعدا لتقبل كل ما يدعم ويعزز تلك القضية، وحينما يكون النص الأدبي موظفا لتلك القضية، فإنه سيكون محور التقاء بين المبدع والمتلقي، طالما أن هناك اتفاق ضمني مشترك على قضية واحدة "فالمتلقي حين يتعرض لمادة من هذه المواد فإنه يتحرك باتجاه إصدار حكم عليها والاستجابة لها"(٨) والنقطة الأساسية التي يلتقي عندها الشاعر والمتلقي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام هي المنزلة العظيمة للإمام، وعدالة قضيته وتضحيته في سبيلها مما تترب على ذلك أن يكون الإمام الحسين عليه السلام شفيعا لمحبيه وأنصاره.

إن مبدأ الشفاعة من أهم الأسباب التي دفعت الشعراء إلى القول، وجعلت المتلقي يعيش حالات التأثر والتصديق لما يحققه مبدأ الشفاعة من شعور بالأمان النفسي عند المسلم، من هنا كان الحزن على الإمام الحسين عليه السلام خيارا يميل إليه الشعراء من أجل نيل شفاعته، للوصول إلى مرضاة الله، وهذا وحده يمكن أن

يكون كافياً لبعث الراحة النفسية للشاعر والمتلقي معاً، فالكل بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم يوم القيامة، يقول عبدالحسين الحلي[٩]: (من الرمل)

أنت لي ركنٌ شديدٌ يوم لا يُلْتجى إلاّ إلى ركن شديدِ
هذه مني يدٌ مُدت فخذْ بيدي منك إلى ظل مديدِ

فالإنسان بما هوكائن تتجاذبه الغرائز والنزوات، فإنه سيظل عرضة للخطيئة والتقصير، مما يولد في داخله أنواعاً من الصراعات التي تزعجه وتقض مضجعه باستمرار، ولاسيما حينما يتراءى له ذلك الموقف الرهيب، وهويعرض للحساب الإلهي، يوم القيامة فيأتي دور الشفيع – الإمام الحسين عليه السلام هنا يخفف عن تلك الصراعات الداخلية، وليكون بارقة أمل في النجاة، يقول محمد علي اليعقوبي[١٠]: (من الخفيف)

لست أرجوسوى حضوركم يو م وفاتي وفي الحساب خلاصي

إن ملازمة الحزن لطلب الشفاعة في المرثية الحسينية دليل واضح على إيمان الشعراء بشفاعة الإمام الحسين عليه السلام، فقد "ارتبطت ثورة الحسين وشخصيته، ومبادئه وبطولته وتضحيته بالألم، والألم بالأمل، والأمل بالإنقاذ والخلاص النهائي، لأن البشرية لا تستطيع لوحدها أن تتغلب على الألم البشري، وبذلك أصبح الاستشهاد طريق الشفاعة والخلاص"[١١]، فالإمام حينما ضحى بنفسه وأصحابه، فإن ذلك كان من أجل خلاص المسلمين، حتى إن تضحيته في سبيل الإسلام لم تقف عند حد، فقد أعطى الله كل شيء، فأعطاه الله كل شيء، ومما أعطاه الله للحسين، أن يغفر لمن نصره، ولوببيت شعر، أوبدمعة حزن[١٢].

يقول محمد علي النجار(١٣): (من الكامل)

وأرى ببعدي عن رثائك جفوةً   فنظمت أبياتا على مقداري
لأكونَ مصداقَ الأحاديثِ التي   تُروى لنا في جملة الأخبارِ
من قال فينا بيت شعرٍ واحدٍ   فله جنان الخلد دار قرارِ

ويقول عباس رشيد الخزاعي(١٤): من (الخفيف)

تدخلون الجنات من قال فيكم   بيت شعر وقلبه مسرورُ
وشعوري لديكم والقوافي   هي لي عندكم شفيع نصيرُ

فقد جعل الشعراء من شفاعة الإمام الحسين عليه السلام وسيلة للخلاص الأخروي، وكانوا يتكلمون بلهجة الواثق المطمئن لرسوخ ذلك المبدأ عندهم، فكان خير وسيلة حاول الشاعر من خلالها الانتقال من "حالة إحساسه الحاد بالواقع؛ واقعه النفسي الذي يموج بألوان الصراع... وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هوالرغبة في التخلص من هذا الواقع»(١٥).

ويقول عبدالمنعم الفرطوسي(١٦): (من البسيط)

أنت الشفيعُ وما عندي لما اكتسبت   يداي غيرك يوم الحشر من أملِ(١٧)

فقد حاول الشاعر من خلال الكلمة الصادقة تحقيق غايتين تتمثل الأولى بالاستجابة لدافع القول بوصفه إنسانا مبدعا، في حين تتمثل الثانية في رجائه بنيل شفاعة الإمام الحسين عليه السلام لتتوحد الغايتان في تحقيق جومن الأمان النفسي والاطمئنان الداخلي.

والملاحظ أن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام لم يكونوا شفعاء في الآخرة فحسب، بل إن الشعراء استنجدوا به للخلاص من صعوبات الدنيا ومصائبها،

أولطلب النجاح في حياتهم يقول يعقوب جعفر الحلي[١٨]: (من البسيط)

إني لأرجوكمُ في كل نائبةٍ   فإنكم خيرُ مرجوٍ ومنتدبِ

ويقول محسن أبو الحب[١٩]: (من البسيط)

أنتم رجائي وأنتم عدتي وبكم   أرجوالنجاةَ فأنتم علةُ العللِ

ويقول عبدالقادر رشيد الناصري[٢٠](من الخفيف)

يا ابن رب البيان كن لي شفيعا   يوم لا شافعَ سواكم ومطلبْ
واذكُرَنّي لدى إلهك إن جئـ   ـتَ ومن حوله التسابيح تسكبْ
قل له... عبدك المشرد يحيا   في زحام الحياة من غير مأربْ
غيره ناعم بدنيا الأماني   وهوفي عالم الشقاء معذبْ

إن هذا المنحى في طلب الشفاعة والنصرة يكاد يكون ظاهرة عامة في خواتيم المراثي في إشارة من الشعراء إن حزنهم على سيد الشهداء دليل على إخلاصهم لمنهج أهل البيت عليهم السلام لذلك فمن حقهم أن يتوسلوا به لتحقيق مطالبهم التي تعبر عن نفوس أرهقها الزمن، فلم تجد سوى اللوذ بحمى الحسين عليه السلام لاستعادة الثقة بالنفس، وليكون ذلك للشاعر «طريقا في المثوبة على شعره وقصائده... كي ينال الشفاعة والأجر والمثوبة»[٢١].

وقد تلبي المرثية الحاجة النفسية للانتقام من أعداء الدين -ممثلين بقتلة الإمام الحسين- في إشارة إلى حنق الشاعر وغضبه عليهم، وذلك من خلال التحريض على أخذ ثأر الإمام والاقتصاص منهم، يقول عبدالمنعم الفرطوسي[٢٢]: (من الطويل)

أما آن للموتور أن يطلب الوترا   فيشفي بأخذ الثأر أفئدة حرىَ
وللحق أن تطغى به عزماتهُ   فتنذر أهل الشرك بالبطشةِ الكبرى

وللعلم المنصور أن يبلغ المنـى فيخفق منشورا على الطلعة الغرّا

إن القراءة النفسية لمثل هذه النصوص يمكن أن تكشف عن أوجه الغرض الذي يقصده الشاعر في طلبه للثأر، مثلما تكشف عن المزاج الشخصي للشاعر، ولاسيما إذا عرفنا أن الشاعر -أي شاعر «يقضي عمره في جهاد ونضال وعراك مع الدنيا والناس ومع الأوهام والأباطيل والأضاليل»[٢٣]، فالفرطوسي الذي عاش حياة بائسة[٢٤] يمكن أن تعبر أبيات التحريض المتقدمة التي بلغت حوالي ٣٧ بيت من أصل ٦٧ بيت أي أكثر من نصف المرثية على إعادة الموازنة النفسية للطبقة التي ينتمي لها الشاعر بحكم ما تعرضت له من عوامل القهر والاضطهاد، فمثل هذه الأبيات يمكن أن تكون ردة فعل تتناسب وجسامة القلق الذي يعيشه الشاعر[٢٥]، وقد يحاول الشاعر من خلال التحريض أن يعبر عن ولائه لأهل البيت انطلاقا من التبرئة من أعدائهم، فيكون ذلك جزءً من رسالته الأدبية التي تمثل "رسالة التزام هادف يدعم القيم القومية والإنسانية ويدافع عن الإنسان كلما لحقه لون من شتى ألوان الاضطهاد[٢٦]. من هنا يمكن أن تفسر دعوات التحريض بأنها دعوات ولائية لا دعوات انتقام من الآخرين، ولاسيما وأن مبادئ الثورة الحسينية تأبى ذلك وقد تنعكس الحالة النفسية للشاعر في المرثية بصورة تساؤل وشك في حقائق التاريخ، يقول محمد مهدي الجواهري[٢٧](من المتقارب):

وقـلـت: لـعـل دوي السنيـنِ بـأصـداء حـادثـك المفجـــعِ
ومـارتـل المخـلـصون الدعــا ةمــن مـرسـلـين ومــن سجــعِ

يـدا في اصطناع حديث الحسين بـلــون أريـــد لــه ممتـــــعِ

أريـــد الحـقـيـقـة في ذاتهـــــا   بـغـير الـطـبـيـعـة لم تـطبـــــعِ

إن نفس الجواهري في هذه الأبيات غير مطمئنة لما يراه الشاعر ويسمعه من الدعاة بشأن قضية الحسينعليه السلام فيذهب به الشك إلى الشك فيما عنده من مسلمات متوارثة بشأن حديث الحسينعليه السلام، يقول الجواهري[٢٨]:

وجـــاز بي الـــشـــكُّ فـيـــما مع   الجـــدود الى الـشـك فـيـما معي

لكن شك الشاعر لم يكن سلبياً بل كان سبيلاً إلى الوصول إلى حقيقة الثورة الحسينية الناصعة إنه أشبه بشك ديكارت حينما قاده إلى الإيمان بالله[٢٩]، يقول الجواهري حينما يتجاوز مرحلة الشك[٣٠]:

فـأسـلـم طـوعـا إلـيـك الـقـيـــاد   وأعـطـاك إذعـانـة المهـطـــعِ[٣١]

فقد حاول الشاعر خلق جومن الاطمئنان الداخلي، التي قد تنتقل إلى المتلقي، لأن النص الأدبي المؤثر حين يخرج من حوزة المبدع فإنه يتحول إلى ملك مشاع بين المتلقين، فيؤدي الوظيفة نفسها والأثر ذاته، فقد يشعر المتلقي بما يشعر به المبدع إلى درجة أنه يتماهى مع النص في حال من (الاتحاد الفني) أي «أن تحس نفسك، والصورة التي تراها، أوالموسيقى التي تسمعها شيئاً واحداً»[٣٢]، وهذا وجه مهم من أوجه الوظيفة النفسية في مراثي الإمام الحسينعليه السلام، لأن هذه الوظيفة لا يمكن أن تفهم إلا ببيان الصلة بين (أنا) الشاعر و(النحن) الذي يمثل المتلقين "من حيث إنها عملية تمضي نحوإدماج الـ(أنا) مع الاخرين في بناء اجتماعي متكامل هو (النحن)"[٣٣].

وقد تتمثل الوظيفة في الكشف عن الأبعاد الخفية لحزن الشاعر، ما يسهل فهمه وتفسيره، ولاسيما أن شعراء المراثي الحسينية -في الحقبة موضوع الدراسة- لم يكن حزنهم على الإمام الحسين مجرداً من غاياته، فلعل القارئ لا يجد مرثية تخلومن بارقة أمل توحي بأن دولة العدل لا بد أن تحقق يوما، فالحزن بهذا المعنى حزن إيجابي لا حزن خضوع وانهزام، فقد يكون «الحزن علامة قوة، لا علامة ضعف؛ لأنه يشهد بإدراكنا لقيمة ما نفقد، ولا نكون كذلك إلا ونحن أصحاء...»[٣٤].

إن هذا المزيج الغريب من الحزن والأمل، وربما لا نجد ما يماثله في أي نوع من الأدب ما خلا مراثي الإمام الحسين عليه السلام، فالشاعر يعي حزنه، محاولا في أغلب الأحيان تسويغه بأسباب منطقية يقول عبدالحسين الازري[٣٥]: (من الكامل)

لا غــروإن طـوت المنيـةُ ماجدا كـثـرت مـآثـره وعــاش قليلا

فهذه خصيصة الإنسان المؤمن الذي ينطلق من الحزن ليصنع الفرح، أوفي حزنه يكمن الفرح.

ويصور يعقوب جعفر الحلي حزن عدد من الأنبياء على الإمام الحسين عليه السلام، لإسباغ الشرعية على حزنه، فيقول[٣٦]: (من الوافر)

ومـوسـى راح وهـوبـه كليـمٌ وفيـه أسـىً بكى عيسى المسيحُ
وأكــرم أنـبـيـاء الله طــه وأشرفـهـم غـدا فيه ينــوحُ
ألا تهـوي الـسـماء وذا حسيـن عـلى الـغـبراء منعفر طريـحُ

فالشاعر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام لا يكتفي بالحزن، بل يحاول أن يسجل أسبابه، وقد يتعدى الأمر إلى المطالبة، والحث على الحزن، يقول محسن أبوالحب[٣٧]: (من البسيط)

فـرضٌ علينا ثياب الحـزن نلبسها	عـلى الحسين بـن طـه سيد الرسلِ
ونـذرف الدمع حزنا لأبـن فاطمةٍ	مـن القلوب دمـاءً لا مـن المقـلِ

فقد حاول هؤلاء الشعراء أن يكون حزنهم على الإمام الحسينعليه السلام منسجما مع حزن الأنبياء والوجود على سيد الشهداء أنه جزء من الحزن العظيم الذي «لا يكون إلا من نصيب الرجل العظيم، ولوكان البكاء عيباً لنزه الله الأنبياء عن البكاء»(٣٨).

إن هذه النصوص الحزينة تكشف عن الواقع اللامرئي المتمثل بخبايا النفس الإنسانية، ولاسيما عند النفوس التي تتحسس مرارة الواقع، فليس كل إنسان بقادر على الرؤية الفاحصة والدقيقة لواقعه، فالإنسان العادي لا يرى ما يراه الفنان أوالشاعر، أولا يستطيع أن يعبر عما يراه بالطريقة نفسها التي يعبر بها الشاعر فخلف كل بيت شعر يوجد العديد من المعاني والصور، وخلف كل كلمة حزن يكمن واقع مرير، واقع الشاعر نفسه وقد يسقط الشاعر كل آلامه وأحزانه في رثائه للإمام الحسينعليه السلام يقول الشيخ كاظم آل نـوح(٣٩): (من الخفيف)

سئمتْ نفسهُ الحياةَ ليحيى الـ	ديـــن إذ قـتـلـه بــه إحـيــاءُ
نـصر الـديـنَ ديـنَ احمـد إذ سـا	قـت جيـوشـا لحـربـه الطلقـاءُ

إن الشاعر يستشرف الواقع من خلال تحسسه لما يثيره هذا الواقع في نفسه من هموم ومتاعب، يحاول إفراغها في البكاء على الإمام الحسينعليه السلام وكأن الإمام الحسينعليه السلام بما شهد من مآس يمثل المعادل الموضوعي لأحزان الشاعر كلها «فلكي يعقل الإنسان العالم ونفسه لا بد له من أن يخرج عنهما، وأن يحتل منهما برج المراقبة...»(٤٠)، فإن التعبير (سئمت نفسه) يمكن أن يكون إشارة واضحة لما يشعر به الشاعر نفسه، لذلك فإن مثل هذه المعاني تجسد قصة النفوس التي

حاصرها عبء الواقع فلم تجد سوى الحسينعليه السلام ملجأ تلوذ برياض ذكره العطرة، وهذا لا يعني هروباً من مواجهة ذلك الواقع أونكوصاً من الشاعر بل محاولة لاكتشاف الذات من جديد، الذات التي لا تجد نفسها إلا بحضرة الإمام الحسينعليه السلام، وهذا ما يطلق عليه علماء النفس بالوقاية النفسية التي يلجأ إليها الإنسان للوذ «بتلك الأنماط السلوكية التي سبق للشخص أن ألفها واطمأن إليها»(٤١)، يقول السيد محمد جمال الهاشمي(٤٢): (من الطويل)

فعذرا أبا السجاد طفحةَ شاعرٍ يحاول أن يرمي إليك بسلمِ
وأنت الذي قد حاول الفكر سبره ففاض ببحر من معانيك مفعمِ
لذلك اتخذت الدمع للشعر مجهرا يرى فيه أسرار الوجود المطلسمِ
فما كنت إلا عالما متراميا يشع بأقمارٍ ويزهوبأنجمِ

إن الشاعر بوصفه إنساناً فناناً لا بد وأن حاجاته النفسية تبقى من دون إشباع في الأغلب، وأن الخيارات المطروحة أمامه، قد لا تتناسب ومزاجه، مما يؤدي به إلى حالة من التوتر التي لا يستطيع تحملها، لذلك يعمل جاهدا لخفض ذلك التوتر باللجوء إلى رحاب الشخصيات العظيمة كالإمام الحسينعليه السلام الذين يمثلون له عالماً من الأمان، وقدوات أنموذجية «وهكذا تتجسد في الفنان المبدع همومه وهمومعصره، ويستقطب قلقاً إنسانياً، فيتفاعل في داخله قلقه الذاتي، وقلق مجتمعه وأمته، وقلق إنساني عام»(٤٣).

إن قنوات الاتصال بين الشاعر والمتلقي مهيأة تماما في مراثي الإمام الحسينعليه السلام من خلال اشتراكهما في هم واحد، ومأساة واحدة مما يخلق «تطابقاً بين محتوى الاتصال (موضوع الرثاء) ومحتوى العملية الإبداعية التي تتنقل

نتائجها عن طريق العمل الفني المنجز»[٤٤]، ويبدوذلك واضحاً من خلال عنصر المأساة في الحدث الحسيني، الذي يمثل عاملا مشتركا بين الشاعر والمتلقي مما يخلق جوا من التلاحم بين العمل المنتج والمستقبل، يقول السيد مسلم الحلي[٤٥] (من البسيط):

لقد مضيتَ وقد خلفتها مُثُلا بقين فينا مثال العز والعظمِ
دروس تضحية للمؤمنين بها إذا مضت أمم تلقى إلى أممِ

ويقول حسين علي الأعظمي[٤٦] (من الرمل):

دمه الذكرُ الذي ننشده كلما لاح صباحٌ ومساءُ

فقد حاول الشاعران أن يتكلما بلسان الجمع في إشارة إلى اشتراك الآخر -المتلقي- في الحزن، فالشاعر يحاول في أغلب الأحيان أن يكون أدبه جماعياًلم «ينظمه... لمجرد أنه الرأي السائد في جماعته، بل لأنه أحس هوإحساساً عنيفاً قاهراً بهذه العاطفة، وهذا الإحساس هوالذي أرغمه على أن ينتج أدبه»[٤٧]، وهذا يعني أنَّ الشاعر العراقي في رثائه الإمام الحسينعليه السلام يحمل بين جنباته هموم قطاعات واسعة من الناس تشترك كلها في الإيمان بعدالة القضية الحسينية، وهذا واضح في استعماله بكثرة لضمائر الجمع (نا، نحن).

ثانياً: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية:

لقد أكد عدد من النقاد أهمية العوامل الاجتماعية في إنتاج الأدب؛ هذه العوامل تتمثل عندهم بجملة من الأمور منها: الوضع الاقتصادي للمؤلف، والوضع المهني وطبقته الاجتماعية، ونظرته للتراث[٤٨].

ومن خلال تلك العوامل يمكن فهم الوظيفة الاجتماعية للأدب، وتفسير أهدافه وغاياته.

وبخصوص مراثي الإمام الحسين عليه السلام، فإنه يصعب فهم عدد من الموضوعات التي يؤكد عليها الشعراء، ما لم يتم قهم العوامل الاجتماعية التي تؤثر في الشعراء، ومن تلك الموضوعات؛ دعوة الشعراء إلى أخذ الثأر والتحريض واستنهاض الإمام الثاني عشر على وجه الخصوص فبدون الرجوع إلى الخلفية الاجتماعية للشاعر، ومنابع ثقافته، واتجاهه العقائدي، لا يمكن إيجاد معنى منطقي يفسر تلك المفاهيم، لكن المتلقي المعين، والمقصود من قبل الشاعر قد لا يرى في الأمر مشكلة في فهم مثل تلك الدعوات، إذ إن الفهم المشترك بين الشاعر والمتلقي يساعد على إدامة عملية التواصل بينهما، محدثا تأثيرا وتأثرا بين الطرفين، مما انعكس على أن تكون المرثية عاملا مهما من عوامل توجيه الجماهير، وزيادة تفاعلهم مع الحدث الاجتماعي والسياسي.

ويمكن القول إن الوظيفة الاجتماعية لمراثي الإمام الحسين عليه السلام تتمثل في إبرازها لحقيقة الصراع بين الخير والشر، هذا الصراع الذي وجد مع وجود الإنسان، وسوف يستمر ما شاء الله له الاستمرار، ولكل طرف من طرفي هذا الصراع من يمثله، فالأبطال والشهداء والمضحين من أجل المبادئ الإنسانية، يمثلون الطرف الأول -الخير- أما الظالمون والأشرار، الذين يحاولون إعاقة مسيرة البشرية نحو الكمال، فإنهم يمثلون طرف الشر، هذا المعنى جسده الشعراء العراقيون في مراثيهم الحسينية، بشكل لا يقبل اللبس، فالحسين الذي جسَّد معالم الفضيلة كان رمزاً وبامتياز لمفاهيم الخير، فقد كان «أنموذجا لأفضل المزايا الهاشمية»[٤٩]

فضلا عن إنه ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله واقرب الناس إليه، وأكثرهم محبة له، أما يزيد الذي لم يكن "نموذجا لأفضل المزايا الأموية، بل كان فيه الكثير من عيوب أسرته ولم يكن له من مناقبها المحمودة إلا القليل"(٥٠)، فكان يمثل طرف الشر.

كان هذا التقابل بين طرفي معركة كربلاء محورا مهما حاول الشعراء العراقيون في هذه الحقبة –موضوع الدراسة– استثماره في إبراز إن ذلك الصراع لم ينته ما زالت هناك نفوس خيرة وأخرى شريرة، ففي كل زمان حسين عليه السلام وفي كل مكان كربلاء.

يقول محمد صالح بحر العلوم(٥١) (من الطويل)

فجيعة يوم الطف تروي فصولها	أصولُ حياةٍ طورها يتجددُ
وتضحية الحر الشهيد بنفسهِ	شهادة حق باسمها الحقُّ ينشدُ

وقريب من هذا المعنى قول السيد محمد جمال الهاشمي(٥٢) (من الخفيف):

حادثٌ أفجعَ القرونَ فلا تنـ	ـفكُّ من هول يومه تتبرمْ
هكذا سنة الزمان، فحق	مستظام وظالم يتظلمْ

فالثورة التي أعلنها الإمام الحسين عليه السلام نجد صداها في أثناء الأيام، إلى الأبد، حينما يطل الشر برأسه بين الفينة والأخرى لتدمغه وتكبح جماحه، بقوة المبادئ التي استشهد من أجلها سيد الشهداء عليه السلام لتؤكد حقيقة غلبة الخير في آخر الأمر، يقول عبدالحميد السماوي(٥٣) (من الطويل):

سلي كيف أودى في أمية بغيها	وكيف انطوى سلطانها المتوغلُ
وكيف تلاشى رمزها بعدما رنا	إلى مجدها طرف من الدهر أحولُ
هوى صرحها الأعلى فأضحى بجنبه	يرن من العدل الإلهي معولُ

فالشاعر يؤكد حتمية العدل الإلهي، كوظيفة اجتماعية أخلاقية فقد يمهل الإله من تسول له نفسه الظلم والطغيان، لكنه لا يهملهم يعيثون في الأرض فساداً، فسرعان ما يفتك بهم ويجعلهم نسياً منسياً، بعكس الصالحين والخيرين، وقد كان ذلك من أهم الحقائق التي أكدها القرآن الكريم. والشاعر حينما يضع تلك الحقيقة نصب عينيه، ويوظفها فنيا، فإنما يعبر بذلك عن آمال الجماهير، ويرضي خواطرهم في الاقتصاص من الظالمين، فالشاعر في الرثاء الحسيني معبر عما يختلج في الذاكرة الجمعية للجمهور، إذ ليس من المبالغة القول إن الجمهور مدين للشاعر بوصفه الناطق باسمه، المعبر عن طموحه وقد ينصهر صوت الشاعر مع صوت الملايين منالشعب، حتى ليبدوالخطاب باسم الجماعة يخفي من ورائه هموم شعب بحاله، وفي إحدى مراثيه الحسينية يقول محمد صالح بحر العلوم معبرا عن تلك الحقيقة[٥٤]: (من الكامل)

أنا صورة الشعبِ الذي نفض الكرى ... عن مقلتيه وثار ليثا مرعبا
ناغيته طفلا وصنت لواءَهُ ... كهلا وارفع فيه رأسي أشيبا
وأقمت في بيتي تجاربَ أمسهِ ... عينا تقيه تصدّعا وتشعبا
البيتُ بيتي والحفيظةُ في دمي ... والشعبُ قوّتي التي لن تغلبا

فالشاعر يظهر إيمانه بالشعب كقوة لا تغلب، وهو قادر على تحقيق ما يصبو إليه «لذا فإن الشاعر حاول أن يجعل من تجربته الذاتية تجربة جماعية تعبر عن تطلعات المجموع وهمومهم»[٥٥]، وهذا الارتباط بين (أنا) الشاعر و(النحن) وتعبيره عن هموم الطبقات المحرومة كان حافزا مهما للطرفين: الشاعر والجمهور في إدامة التفاعل في ظل خيمة القضية الحسينية، فكان ذلك سببا وراء هذا الكم الهائل من

المراثي، وإذا كان أحد الباحثين يقول أنه لم يعلم أنَّ "شاعراً عربياً حتى اليوم لم يعرض في شعره -ولو جزئياً- إلى الحسين وثورته إلا نادراً"(٥٦)، فكيف بالشعراء العراقيين الذين حلَّت بين ظهرانيهم فاجعة كربلاء، وسالت تلك الدماء الزكية على أرضهم، لذلك فقد تميز بالاصالة، وأصالة المرثية الحسينية لا تعني التفرد المطلق في الرثاء، بل تعني شدة الولاء، وصدق الإخلاص للقضية التي آمن بها الشعراء الحسينيون، فالفكرةالأصيلة «لا تعني أن أحداً لم يفكر فيها أبدا من قبل...»(٥٧)، إذ إن الأصالة في الإبداع نسبية ومشروطة بظروفها التاريخية والاجتماعية، فشخصية الشاعر "تعيش في بيئة ذات مضمون ثقافي تاريخي اجتماعي، تتبادل معها الأثر والتأثير بطريقة دينامية متفاعلة من خلال إطار نوعي اكتسب مضمونه منالخارج"(٥٨)، ترى ذلك واضحاً في الأثر الاجتماعي الاجتماعي التي تتسم به مفردات المراثي الحسينية، إذ إن العلاقات الاجتماعية بين الشاعر ومعارفه تأثرت بقضية استشهاد الإمامعليه السلام، فاصطبغت المراثي بين الأصدقاء بالطابع الحسيني، فالفن يعد مجهودا مشرقا لأجيال من المبدعين الذين يتعاقبون جيلا بعد جيل، يؤثرون في المجتمع، ويؤثر المجتمع فيهم، وفي هذا التفاعل بين الطرفين كمن سر بقاء الادب وديمومته.

وهذا السيد محمد سعيد الحبوبي يتأثر بوفاة أحد أصدقائه(٥٩)، فيرثيه بمرثاة أقرب إلى رثاء الإمام الحسينعليه السلام يقول(٦٠): (من الكامل)

كان المحرم مخبرا فاريتنا ... يا جعفر فيه الحسين قتيلا

فكأن جسمك جسمه لكنه ... كان العفير وكنت أنت غسيلا

وكأن راسك راسه لولم يكن ... عن منكبيه مميزا مفصولا

وجبينك الوضاح مثل جبينه ... بلجاً وليس كمثله تجديلا
وحملت أنت مشرفا أيدي الورى ... وثوى بنعش لم يكن محمولا
إن تنأ عنا راحلا كرحيله ... فلرب سجاد تركت عليلا

فقد كان الحدث الحسيني حاضراً في ذهن الشاعر، لم يغب عن باله، إذ إنه يراه مجسداً في كل ما يثير أشجانه ولواعجه إن هذا التماهي بين حزن الشاعر وهمومه الاجتماعية وحزنه على الإمام الحسين عليه السلام يؤكد الأثر العميق للأبعاد الاجتماعية في الحزن على الإمام الحسين عليه السلام، وهو أمر يكاد يكون طبيعيا «فالأعمال الفنية تتألف دائما من موضوعات لها دلالة اجتماعية، وللألفاظ والأنغام والأشكال ارتباطات انفعالية تتسم بأنها اجتماعية»(٦١)، ويبدو أن رؤية الشعراء لخلود المأساة الحسينية كانت تعود في أحوال كثيرة إلى عوامل اجتماعية يمكن تفسيرها «في التطابق الذي يوجد بين الموضوعات الرئيسة والاجتماعية والعاطفية والقيم والنماذج التي يصورها العمل الأدبي، وبين القيم والنماذج المتمثلة تمثيلا قويا عند الجمهور المتلقي»(٦٢).

يقول السيد مصطفى جمال الدين(٦٣): (من الكامل)

مولاي... رزؤك خالد أبدا ... كخلود هذا الفتح في الحقبِ

إن أحزان الشعراء لا تنفصل عن واقعهم الاجتماعي، لذلك فقد وجد الشعراء العراقيون في قضية الإمام الحسين عليه السلام إطاراً يغلفون به أحزانهم، ويبثّون شكواهم، فالشاعر يستجيب لنداء ذاته الكئيبة على الإمام الحسين عليه السلام بقدر ما يستجيب لضغوط العوامل الاجتماعية المؤثرة عليه، فالشاعر-أي شاعر «ابن المجتمع، مصنوع بوجدانه ومضغوط بعناصره في النواميس والأعراف

والقيم، ولكن الشاعر الحقيقي هوابن ذاته أيضاً»[٦٤].

يقول محمد حسن أبوالمحاسن[٦٥]: (من البسيط)

دنيا لآل رسول الله ما اتسقتْ　　　أنى تؤملها تصفووتتسقُ

فالشاعر في حضرة الإمام الحسينعليه السلام -وأهل بيته- وجد الظلم وغياب العدل، قد أصبح حداً وغاية لما في المجتمع من ظلم وقسوة.

لكن الشعراء على الرغم من أحزانهم حاولوا التأسي والصبر إقتداءً بسيد الشهداء، فلم تكن المراثي حزنا كلها، إنما وجد الشعراء إن الظلم والحيف الذي للحق بالإمام الحسينعليه السلام كان تقابله الشجاعة بأزهى صورها ومن ذلك التناظر استحث الشعراء قرائحهم لخلق حالة من الاستنفار مشفوعة بالحزن، ليكون رثاء الإمام الحسينعليه السلام عبرة واعتبار لكل من يؤمن بعدالة قضيته، يقول حسين علي الأعظمي (من البسيط)[٦٦]:

رأى الحسين إلى الدنيا التي غدرت　　　به وعاثت بآل البيت في نكدِ
فودع الأهل والدنيا وصال على　　　أعدائه مستميتا صولة الأسدِ

إن قبول الحسينعليه السلام لواقع الحال المفروض، وبتلك النفس الأبية، وتضحيته بنفسه وأصحابه لهودرس نموذجي لا يمحى أثره، ولا ينضبمفعوله ومثل «هذا الشعر ليس تقريراً لواقع الحال فقط، وإنما هودعوة لما يجب أن يكون، ولما يريده الشاعر أن يكون الأمر عليه بلا شك»[٦٧]، لذلك يقول الشاعر نفسه -الأعظمي- في المرثية ذاتها[٦٨].

إن مت احييتَ آمالا موحدةً　　　وأمةً مالها في الدهر من بدِ

فقد قرن الشاعر بين استشهاد الإمام الحسينعليه السلام وإحياء الأمل في النفوس

في إنقاذ الأمة من الظلم، ولا شك في أن ذلك هدف اجتماعي مهم، حاول الشاعر الالتفات إليه، فحساسيته بوصفه فنانا «تمكنه من الالتفات إلى ما لا يلتفت إليه الجمهور، كما تمكنه من الكشف عن جوانب إنسانية لا تبرز عادة إلى مستوى الوعي العادي»(٦٩) ومن القيم التي أكد عليها الشاعر؛ قيمة الصبر، كقيمة ارتبطت بالواقع الاجتماعي للعراق في النصف الأول من القرن العشرين فالتقلبات السياسية وما تبعها من عدم استقرار الأحوال المادية والمعاشية، وما رافق ذلك هيمنة أجنبية، فرض على الشعراء أن يروا في الصبر شراً لا بد من قبوله، والصبر من الأمور الحميدة عند العرب، وقد قيل "خير الأمور مغبة الصبر "(٧٠)، فالشاعر في الرثاء الحسيني يتأسى بصبر الحسين عليه السلام، ثم إنه لا يرى خياراً غير الصبر لما هوفيه، يقول يعقوب الحاج جعفر الحلي(٧١): (من الطويل)

اری كلَّ رزءٍ يجملُ الصبرُ عنده　　　وما الصبر في رزء الحسين جميلُ

فالمعنى الضمني في البيت يؤكد على تهوين الصبر وقبوله فللإنسان أن يصبر على ما ينوبه، لكنه مع نائبة الحسين عليه السلام قد يتعذر عليه الصبر، وقد يظهر الشاعر اهتمامه بقيمة الصبر على لسان حال الإمام الحسين عليه السلام، وهويقوي من عزيمة أهل بيته، يقول يعقوب الحاج جعفر الحلي في مرثيةأخرى(٧٢): (من الطويل)

فقال اصبروا فاللهُ خيرُ خليفةٍ　　　عليكم وأبقى بل أبرّ وأرفقُ

هنا تبين عاقبة الصبر في توجيه الإمام لأهل بيته، فالصابرون على ما يريد الله لا بد إنهم سيجازون الثواب العظيم، وهذا المعنى طالما أكّد عليه القرآن الكريم.

وقد يذكر الشاعر صبر أصحاب الحسين عليه السلام في ساحةالمعركة، لما في ذلك من

قيمة توجيهية للشباب المسلم، يقول محمد حسن أبوالمحاسن[٧٣]: (من البسيط)

والصبر أثبت في يوم الوغى حلقا … إذا تطاير من وقع الضبا الحلقُ
رسوا كأنهم هضب بمعتركٍ … ضنكٌ عواصفه بالموت تختفقُ
ولابسين ثياب النقع ضافية … كأن نقع المذاكي الوشي والسرقُ[٧٤]

فقد أكد الشاعر صعوبة الصبر في ساحات القتال، وكأنه يهيب بأبناء جلدته أن يجعلوا الصبر وسيلة لتحقيق ما يصبون إليه.

ويقول حسين علي الأعظمي[٧٥] (من البسيط):

ألهمْتَنا الصبرَ في الأحداث وهوكما … تراه في كل ضيق خير مستندِ

فالشاعر يؤكد إن أهم ما في الثورة الحسينية هوصبر الإمام الذي أصبح درسا لكل الصابرين والمثابرين من أجل تحصيل مراضيهم.

ومن القيم الأخرى التي أكد عليها الشعراء: العدل، فقد حاول الشعراء نقد الواقع الاجتماعي من خلال تصويرهم لغياب العدل فيه، يقول الشاعر إبراهيم الوائلي[٧٦]: (من البسيط)

صهر النبوةِ إن العدلَ قد عبثتْ … به المطامعُ واجتاحته أهواءُ

فالإحساس بالظلم والإحباط نتيجة غياب العدل دفع الشاعر إلى التوجه إلى الإمام الحسين عليه السلام شاكياً له حال الأمة، ولا يخفى ما في البيت من قيمة نقدية لاذعة للمجتمع، فإن إنسانية أي مجتمع تقاس بمدى توفر العدل بين أفراده، فإن غاب عنه العدل فإنه سيصبح لا محالة مجتمعاً يفرق بين الناس فيتفشى الظلم وتسود الجاهلية.

أما قيمة الشجاعة فقد اكتسبت مشروعيتها وأهميتها في مراثي الإمام

الحسين عليه السلام بوصفها أهم ما يرغب العربي أن يتحلى به من صفات، ففي مجتمع -كالمجتمع العراقي- وقد تجاذبته الأحداث السياسية، والتيارات الثقافية والفكرية، لا بد أن تكون الشجاعة هي الحل الأمثل لأغلب مشكلاته؛ هذه الشجاعة يمكن أن تسمى شجاعة الحق، إذ إنها لسيت موجهة للانتقام من أحد بل «هي قيمة تكتسب اجتماعيا، وهي تقدم فكري، بقدر ما هي تقدم أخلاقي، وهي فضيلة اجتماعية في روحها»(٧٧)، فلا غرابة أن يتوجه الشعراء إلى رحاب الحسين عليه السلام مشيدين بشجاعته وشجاعة أصحابه، مستنهضين شباب الأمة، ليبثون فيهم الروح المعنوية التي من خلالها يثبت الشعب وجوده ويحقق هويته بعد عقود طويلة من الاستلاب وغياب الشخصية.

يقول محمد جواد الغبان(٧٨): (من الكامل)

فأعد أبا الشهداء نهضتك التي	**قد قمت فيها بالفضيلة صادعا**
لترد للنشئ الغرير رشاده	**وله تكون عن الغواية صادعا**
واهتف بهم: جدوا بحزم واعملوا	**(أن ليس للإنسان إلا ما سعى)**

فقد أكد الشاعر أهمية العزم لتحقيق المطالب والذي لا يكتمل من دون أن يكون الإنسان شجاعاً، لذلك راح الشاعر يخاطب الإمام أبا عبدالله بأن يلهم الشباب مبادئ ثورته وشيء من شجاعته، ليوفقوا في مساعيهم بغية بناء أوطانهم. إن هذه الشجاعة المستوحاة من وقفة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء حاول الشعراء من خلالها رسم النموذج القدوة لما يجب أن يكون عليه المرء ليكون دوره فاعلاً في مجتمعه.

وأكد الشعراء عدم اهابة الموت، لأن الموتَ أجل عند الله إذ لا يموت الإنسان

إلا بيومه الذي قرره الله، ولا دخل للإنسان في ذلك، فالقضاء مقدر، والإقدام والشجاعة لا علاقة بها بأجل الإنسان، فكم مقاتل مغامر عاش طويلاً، وكم من خائف مات في أتفه الأسباب، لذلك فإن شعراء المراثي طالما أكدوا على هذه الحقيقة من خلال تصويرهم لاستشهاد الإمام عليه السلام الذي كان نتيجة للإرادة الإلهية، ولم يمت الإمام عليه السلام غلبةً، من ذلك قول السيد مهدي الطالقاني(٧٩): (من الكامل)

فمضى إلى الحرب الزبون مجرِّدا   عضبا على حزِّ النحورمعوَّدا

حتى إذا شاء الإله بأن يرى   ذاك الهمام مجدلاً بين العدى
نادته داعية القضاء فخر عن   ظهر الجواد ملبياً ذاك الندا

فقد أكد الشاعر أن الإمام الحسين عليه السلام حينما سقط شهيدا فإنما كان ذلك لأمر الله وإرادته، وليس لأسباب خاصة بظروف المعركة، وهذا درس لمن يخافون الإقدام، وقد قالت العرب «إن الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة، ولذلك من يقتل مدبراً أكثر من يقتل مقبلاً»(٨٠)(من الطويل):

فهيا شبابَ العصرِ وانهج كنهجهم   فإن حسيناً لا يريدُ لك اللطما
أليس أبى الضيم ضحى بنفسهِ   وقد علَّم الناس الشجاعة والعزما

فقد أكد الشاعر أهمية الشجاعة في تغير الواقع من خلال تأكيده على الإقتداء بثورة الإمام الحسين عليه السلام التي تأبى الضعف والوهن، إذ علمت الإنسانية كيف تصبر لكي تنتصر ومما يرتبط بالشجاعة، مسألة أخذ الثأر، وذلك باستنهاض الأئمة لينتصفوا ممن ظلمهم، لذلك لم يعد الطلب الثار يتجه لتلبية غايات محدودة وضيقة، كما كان قبل الإسلام(٨١)، بل أصبح في مراثي الإمام الحسين عليه السلام يتجه

إلى الاقتصاص من أعداء الإسلام الماثلين في كل مكان وزمان، يقول إبراهيم الوائلي[٨٢] مخاطبا الإمام الحسين عليه السلام: (من البسيط)

قل للكتائب تنهض من مراقدها　　　فقد خلت من صهيل الخيل بيداءُ
ولب للحق يا ابن الحق دعوته　　　فقد عراه من التضليل إعياءُ
كتيبة الله لم تهدأ على ترة　　　أوتستجب للتغاضي وهي خرساءُ

هذه الأبيات تعبر عن حاجة الجماهيرإلى من يأخذ بيدها لإعادة الأمور إلى نصابها، وقد وجد الشاعر بأن القيادة الحقة، هي القيادة الإلهية المتمثلة في أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم القادة وهم الأمناء على المسلمين ويقول عبدالمنعم الفرطوسي مستنهضاً الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف[٨٣]: (من السريع)

فاظهر فدتك النفس من غائب　　　لأنفس ملّت من الانتظارْ

إن مثل هذه الدعوات تعبر عن إيمان الشعراء بأن الأئمة حاضرون بينهم، وتشير إلى وطأة الواقع الذي لا يمكن تخفيفها إلا بظهور الإمام المهدي، وتؤكد على تفاعل الشاعر مع مشكلات عصره لأن «المشكلات الاجتماعية الحيوية للعصر الذي يعيش فيه الفنان هي التي تحفزه على الإنتاج الفني»[٨٤] وقد حاول الشعراء إبراز حقيقة إن ما اصاب الأمة كان بفعل إهمالها لمبادئ الإسلام التي جسدها بشكل واضح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يقول مظهر اطميش[٨٥]: (من مجزوء الرمل)

إنها ذكرى تسامت　　　بالإبا معنى ومبنى
إنها ذكرى صراع　　　هد للطغيان حصنا

إنها الذكرى التي　　　من أجلها نحن اجتمعنا

مـــا اجـتــمـعــنــا لـبـكــاء فــالــبــكــاء يـــورث حــزنــا
كـــم لـــنـــا فـــيـــهـــا عـــظـــات لــيــتــنــا فــيــهــا اتــعــظــنــا
وتـــرســـمـــنـــا طـــريـــقـــاً خـــطَّـــه الـــســبــط إلــيــنــا
لـــعـــرفـــنـــا كـــيـــف نـبـنـي وطــــنــــا فـــيــــه خـلـقـنــا
وعـــلـــمـــنـــا كـــيـــف نـنـشـئ أمــــة المــــجــــد لـنـهـنـا

فالشاعر يؤكد أن ما يوجد من سلبيات يمكن أن يعزى إلى إهمال دروس الثورة الحسينية، وقد جمع الشاعر بين الشكوى والتحسر على ما وصل إليه واقع الأمة جراء إهمالها لذلك التاريخ المجيد الذي لم يستثمره أبناء العصر من أجل بناء مجتمع صحيح، وقريب من هذا المعنى قول محمد جواد الغبان(٨٦): (من الكامل)

إيـهٍ أبـا الـشـهـداءِ دعـوة صـارخ ينعى إلـيـك عُـلا ومجـدا ضائعـا
لوكنت تلقي نظـرةً في وضعنا لـرأيـت منه مـا يـردك جازعـا
نـشء غـريـر لم يـسرْ نحوالعلى الا تقهقر لـلـضـلالـةِ راجعـا
نبذ الـتـآزرَ والتكاتفَمذْ غداال عـدوان والخـذلان فيـه شائعا
وجـنـت عليه مـبـادئ هدامـةٌ نـشروا بهـن مخازياوفـضـائعــا
كـم بـائـع لـضـمـيرهِ وضـمـيـرُهُ يدعـوبحـزن مـا أخسـك بائعـا

فهذه الأبيات تدل بوضوح على نظرة الشاعر النقدية لمجتمعه والحال الذي وصل إليه الشباب الذي ترك الإقتداء بعظماء المسلمين وتمسك بتلك الثقافات البعيدة عن الواقع العراقي -بحسب ما يراه الشاعر- فهذه شكوى اكثر بقدر ما تكون نقد لاذع من هنا يمكن القول بأن شاعر المراثي حاول تعرية الواقع وإظهاره في صورته الحقيقية، وإبراز ما فيه من مساوئ وعيوب.

ويقول عبدالحميد السماوي[٨٧]: (من الكامل)

ما كنتُ أحسبُ والمقدَّرُكائنٌ   إن العقول تصاب بالإغماءِ

فالشاعر يحاول أن يشخص الداء، وهوعنده يتمثل بتخلف طرق التفكير، فالواقع «مشلول بالتخلف والركود، واقع يعاني من هبوط مادي وروحي يكاد يعم شؤون الحياة جميعاً»[٨٨].

إن هؤلاء الشعراء الذين نظروا للواقع العراقي آنذاك بعيون نقدية من خلال تشخيصهم لما يعاني منه المجتمع ومن خلال الشكوى واستنهاض الأئمة، فإنهم يؤكدون جملة أمور: منها حاجة المجتمع إلى قيادة تنصف المظلوم وتردع الظالم، مما دفعهم إلى تأكيد حضور شخصية الإمام المهدي في أغلب المراثي، لأن ظهوره يمثل الثورة التي يكون معها الحل لأزمات الواقع الاجتماعية والأخلاقية، وهذا الأمر يشير إلى أن الشاعر الحسيني حريص على سلامة المجتمع حرصاً نابعاً من عقيدة دينية راسخة وإيمان ثابت بأن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تمثل المعادل الموضوعي، لثورة النبي محمد صلى الله عليه وآله حينما صدح بأمر الله محرراً العرب من جاهليتهم ووثنيتهم، لذلك يقول مظهر اطميش[٨٩]: (من الكامل)

أسليل بيت لايزال كتابهم   سفراً جليلا للبرية هاديا

أبقيت للأجيال درساً خالدا   ما زال فيه فم الأعاصر شاديا

ويقول طالب الحيدري[٩٠]: (من المتقارب)

حريٌّبمثلك أن يخلدا   وأن يصبحَالبطلَالمفردا

ضربت لنا مَثلا في الإباءِ   يعلمنا النبل والسؤددا

تعلمنا كيف يحيى وكيف   يموت الفتى شامخا اصيدا

فمع الحسين عليه السلام يكتسب الوجود معناه، فالإيمان بقضية ما يعني العيش من أجل تلك القضية، والاستعداد للموت والتضحية من أجلها، فلا بد من وجود معنى «فاللامعنى يحرم الحياة من الامتلاء وبالتالي فهويعادل المرض، فالمعنى يجعل الكثير من الأشياء ممكنة التحمل، وربما يجعل كل شيء محتملا...»(٩١)، يقول محمد مهدي الجواهري(٩٢): (من الطويل)

هي النفس تأبى أن تـذِلَّ وتُقهـرا ... ترى الموت من صبر على الضيم ايسرا
وتختار محمودا من الذكر خالـداً ... على العيش مذموم المغبة منكـرا
مشى ابن علي مشية الليث مخدرا ... تحدته في الغاب الذئاب فاصحـرا

ثم يقول في خاتمة القصيدة(٩٣): (من الطويل)

أقـول لا قـوام مضـوا في مصابه ... يسومونه التحريف حتى تغيَّرا
دعـوا روعـة التاريخ تـأخذْ محلها ... ولا تجـهـدوا آيـاتـه أن تحـَّـورا
وخـلـوا لـسـان الـدهـر ينطقْفإنَّه ... بليغ إذا مـا حـاول الـنطق عـبَّرا

فمواجهة لحياة لا تتأتى إلا لمن يتأسى بعظماء الرجال ومن الصعوبات التي تخلق الهموم في النفس والإرادة في إثبات الذات ينشأ التوتر الفعال «التوتر الذي ينشأ عن الألم الذي ينبثق بدوره عن عدم الانسجام بين الإنسان والعالم، هذا التوتر قدم لنا شخصيات كبيرة من الإبداع»(٩٤)، والأبيات تتضمن في دلالاتها مسوغاتها التوجيهية من خلال تأكيد الشاعر على الإفادة من دروس التاريخ، وهذا يؤكد أن نصوص المراثي في أغلب الأحوال، توظف من أجل المتلقي، وتوجه تبعاً لذلك.ولابد من الاشارة الى ان الشعر العراقي عامة في النصف الاول من القرن العشرين قد اتجه الى معالجة الجوانب الاجتماعية كردة فعل على

تركة القرن التاسع عشر[٩٥] مما كان واضحا في النصوص المتقدمة فقد اظهرت اهتمام شعراء المراثي الحسينية بمشكلات مجتمعهم، فقد طغى الاهتمام بالجانب الاصلاحي والتوجيهي على الاهتمام بالجوانب الفنية، وحضي المضمون بالعناية الاولى على حساب الاهتمام باللغة، لذا كثر استعمال صيغ الامر للمطالبة بالاصلاح والتغيير مما جعل عددا من تلك المراثي تميل الى النثرية.

ثالثاً: الوظيفة السياسية:

تميز الشعر العراقي في النصف الأول من القرن العشرين باهتمامه الكبير بقضايا السياسة ومشاكلها، ولاسيما ما كان بعد اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، فقد كانت العوامل السياسية عاملاًمهماً في نهضة الأدب العراقي، بخلاف الأدب في الأقطار العربية الأخرى، إذ كانت العوامل الثقافية الفاعل الأساسي في نهضتها الأدبية[٩٦]، ويبدوأن تنامي الوعي السياسي في العراق جعل الشاعر العراقي يعيش في قلب الأحداث، وينغمس فيها «فالأديب يتأثر بالحياة الخارجية السائدة في بيئته القائمة في مجتمعه، وهويستمد أدبه من حياة هذا المجتمع»[٩٧]، ولذلك ارتفع الشعر العراقي في الحقبة موضوع الدراسة بموضوعاته وأهدافه وابتعد عن المبالغات، ورصف الألفاظ، وانتقاء العبارات، وبرز الصدق في الدفاع عن قضايا الأمـة[٩٨]، وانشغل الشعراء في معالجة القضايا السياسية، كالمطالبة بالاستقلال، والحرية وعلاقة المواطن بالسلطة، والديمقراطية، وقضية فلسطين، والوحدة العربية[٩٩]، ويدل هذا على الوعي السياسي للشاعر العراقي في تلك

الحقبة، وشعوره بالمسؤولية، ويدل أيضا على وعيهم بـ «دور الشعر وهدفه باعتباره (كذا) سلاحاً يقارعون به الظلم، ويحثون به على التقدم، ونيل الآمـال»(١٠٠).

ولم تكن مراثي الإمـام الحسين عليه السلام في هذه الحقبة، بعيدة عن السياسة وصراعاتها، فقد رافـق الشعر الحسيني العراقي الحـدث السياسي الداخلي والخارجي، وصار الشاعر يعالج من ضمن ما يعالجه في المرثية، قضايا الوطن والعروبة والقومية، إذ إن الظروف السياسية التي مرت بالعراق والأمة العربية ألقت بثقلها على الشعراء، مما دفعهم إلى "الحنين الطاغي إلى الماضي والتأمل الطويل في أحداثه واسترجاع لنغمات ذلك المجد المندثر، والإصرار على العيش في أجـواء الفخر العربي وأمجـاد الأمـة، وما قدمته في قضايا الحكم والثقافة والحضارة"(١٠١)، فالماضي وسيلة ناجحة لبث روح التضحية والشجاعة والإقدام في نفوس الجماهير، وكان الشاعر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام يحاول أن يوظف مبادئ الثورة الحسينيَّة، والعمل على غرس تلك المبادئ، فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام رمز البطولة والتضحية والفداء، وخلاصة الشجاعة والبأس ومعلم الثورات الحرَّة جميعاً، يقول السيد محمود الحبوبي(١٠٢): (من الطويل)

دم العـز أبقى أيَّ ذكرى لمن دعى ‏ ‏ ‏ وآن لنا يا قوم أن نعيَ الذكـرى
فنقفوا خطى أحرارنـا في جهادهم ‏ ‏ ‏ ونقرأ من تاريخنا الأسطر الحمـرا
وندفع عنا الـشرَّ حـاط شعوبنـا ‏ ‏ ‏ ومن نحن بين الناس أن نقبل الشرا

إنَّ هذه النبرة الجديدة في الخطاب الشعري العراقي في النصف الأول من القرن العشرين تشير بوضوح إلى وعي تام بخطورة المرحلة، وتؤشر ميلاد قضايا أدبية جديدة فرضت نفسها على الواقع الأدبي، فإذا كان الشعراء العراقيون في

القرن التاسع عشر «لم يجددوا في شيء ولم يخرجوا عن نطاق الشعر القديم»(١٠٣)، فيما يتعلق بموضوعات الشعر، فإنَّ شعراء القرن العشرين كان همهم الشاغل الأحداث التي عصفت ببلدهم، فكانت مبادئ الثورة الحسينيَّة وأبعادها السياسية التي تمثَّلها الشعراء العراقيون بوصفها قيماً أنموذجيَّة، حاضرة في كل آن في أذهانهم، فضلاً عن أنَّها تمثل ماضياً إيجابياً محفزاً للأجيال للثورة على كل أشكال العبوديَّة، يقول حسين علي الأعظمي(١٠٤): (من الرمل)

دمـــهُ في كـــل جـــيـــل ثـــورةٌ	**تـصرع الـظـلـم ولـلـحق سـواءُ**
دمـــهُ رمـــز ضـحـــايـــا أمـــةٍ	**حـــرَّة فـيـهـا حـيـاة وإبـــاءُ**
دمـــهُ الـــذكـــر الـــذي نـنـشـدهُ	**كـلَّـما لاح صـبـاح ومـســاءُ**
دمـــهُ الـبـعـــث لمـوتـــى أمـــةٍ	**حـاربـتـهـا مـن بـنـيـهـا الـلـؤمـاءُ**

فقد وجد الشاعر تضحية الإمام الحسين عليه السلام كفيلة بأن تكون خير درس لأمة تنشد الثورة لتصرع بها الظلم، ولتحقق حياة العزَّة والإباء، التي أرسى دعائمها الإمام الحسين عليه السلام بوقفته في كربلاء، فمما لا شك فيه «انَّ الشاعر وهويستخدم الحالة التراثية التي يجدها مناسبة لعرض أفكاره وإبرازها يستند في ذلك إلى قناعة محددة متصلة الوشائج بقيم اجتماعية وسياسية وثقافية على نحويجعل الحالة التراثية تحتوي هذه الأفكار، وتعبر عنها في النص الشعري الذي يبدعه»(١٠٥)، ففي إحدى مراثي الشاعر محمد صالح بحر العلوم الحسينيَّة يتخلَّص الشاعر إلى ما يشبه التحذير من مكائد الاستعمار والهيمنة الأجنبيَّة التي استمرَّت جاثمة على العراق، حتى بعد إعلان الحكم الوطني، يقول(١٠٦): (من الطويل)

وكونـوا كما كان الحسيـن وصحبه	**مصابيح خيـر للجماهير توقـدُ**

وصونوا حقوق الشعب من كل ماردٍ على الشعب في طغيانه يتمرَّدُ
ولا تثقوا من فاتح بتعهدٍ فما للغزاة الفاتحين تعهّدُ
ولا تقبلوا بعد التجارب توبةً لطاغية، تاريخ عَهْدَيْهِ أسودُ
ثلاثون عاماً-وهي عمرٌ لأمةٍ تمر وهذا الشعب فيها مصفَّدُ[107]
ثلاثون عاماً-كل ثانية بها تعادل قرناً ينقضي ويجدَّدُ
تفاقمت الأرزاء من كل جانبٍ علينا وكل بالفناء مهدِّدُ

إنَّ هذا النفس الثوري، وهذه الصرخة المدويَّة التي تضمنتها مرثيَّة بحر العلوم، هي دليل واضح على أنَّ الأدب ليس ببعيد عن السياسة، ومشاكل المجتمع، فالشاعر ينعى حال العراق في الحقبة ١٩١٧-١٩٤٧ إلى الحد الذي شعر فيه بأنَّ الفناء يهدد الجميع إن استمرَّت سياسة البلاد على ما هي عليه آنذاك، مما يشير إلى أنه «كلما اشتدَّت صلة الأديب بمشكلات الشعب، وشاركه شعوره، وأحسَّ بآلامه وأحاسيسه كان أقدر على تلمّس العلل وحل مشكلاته»[108]، والحل عند بحر العلوم يتمثَّل في الاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام والسير على النهج الذي اختطَّه في محاربة الطغاة.

ويؤكد عبدالغني الخضري أنَّ الاحتلال والفرقة، والتهاون في الدفاع عن الوطن لم تكن لتحصل لو تمسَّك الجميع بنهج الإمام عليه السلام في إشارة إلى تكامل ذلك النهج، وحيويته في العصور كلها، يقول[109]: (من الطويل)

فلو أننا سرنا على ضوء نهجهِ لعادت يد الباغي على أرضنا صفرا
وعاد الذي غلَّت يداه بحسرةٍ وما كان يوماً بالمواعيد مغترا
وعدنا يداً لم نفترق لملمةٍ تشيع على الآفاق لامعة غرّا

نذب عـن الأوطـان من أرض يعرب وما وهبـت يوماً لأعدائها شبرا

وفي مرثيَّة أخرى، يؤكد الشاعر نفسه هذا المعنى، فيقول[١١٠]: (من الوافر)

فـلـوإنّـا بإخـلاص بذلنـا كبذل السبـط أصحـاباً وآلا

لعاد الكافـر الباغي طريـداً ولم يسلـب لنـا حتى العقالا

ولم تذهب فلسطيـن جبـاراً ولا ملك لغيـر العُـرْب طـالا

فقد وجد الشاعر كل المشاكل التي تعانيها الأمَّة من تفرقة، وتشرذم، واحتلال، كانت من جرّاء تضييع أبنائها مبادئ الإمام الحسينعليه السلام، وقد تكلَّم الشاعر بحسرة حينما استعمل الأداة (لو) في إشارة إلى شعوره بالخيبة والندم على ما أصاب هذه الأمة، ثمَّ انَّ الشاعر في المرثيتين تحدَّث بضمير الجماعة (نا) مما يعني صدق إخلاصه وانتمائه إلى قضايا أمته العربيَّة، وابتعاده عن النظرة القطريَّة الضيقة، فالشاعر «كلما استطاع... تجاوز أنانيته الفردية استطاع تخطي حالته الفردية، وضياعه إلى حالة الالتحام بالمجتمع والعصر»[١١١].

والملاحظ على أغلب المراثي الحسينيَّة في الحقبة موضوع الدراسة، التي عالجت الواقع السياسي أنَّ الشعراء كانوا يرون في ثورة الحسينعليه السلام ثورة رابحة بحساباتها المعنويَّة، على الرغم من أنها انتهت بمصرع سيد الشهداءعليه السلام وأهل بيته، لذلك انطلق هؤلاء الشعراء في التعامل مع ذلك الحدث بوصفه درساً مثالياً للنجاح في حل مشاكل الإنسان العربي، وتاريخاً مشرقاً، يمكن أن يزرع في الإنسان مواقف التحدي والرفض، ويشد من عزيمته، يقول طالب الحيدري[١١٢]: (من الطويل)

كفى ذلَّة أن يخضع العُرْب للعدى وأن يستطيع الناهضون تصبّرا

وقد يصل الأمر بالشاعر إلى رفض كل أنواع الحزن من أجل مواجهة

التحديات، فالغد سيكون مشرقاً بالتحدي، لتكتسب النفوس القوة والمنعة، لذلك رفض عدد من الشعراء تصوير الإمام الحسين عليه السلام بموقف الاستعطاف والإشفاق، فهوبطل تحدّى فناضل، وقاتل فاستشهد.

إنَّ الحدث الحسيني كان غذاءً ودافعاً مهماً في نظم المرثيَّة، فمن خلال ذلك الحدث يصب الشاعر همومه المكبوتة، بوساطة المعاني التي يختارها لقصيدته، محاولاً استدعاء التأريخ، وإحضاره من أجل تشخيصه، ونقله من الذاكرة إلى الممارسة، لتؤدي القصيدة دورها في التوظيف السياسي، يقول عباس الملا علي[113]: (من الخفيف)

قطرة من دم الحسين تنادي	في سماء الدنا بصوت جهارا
أمة العرب ها أنا فوقكم	حمراء قد زحت عن جبيني الستارا
كلّ صبح وكلّ عصر أريكمْ	كيف تبقى الدماء دوماً شعارا
فالبسوها طرية فهي أزهى	من دم الكرم أن تعودوا سكارى
وسلاف النجيع أشهى سُلافاً	ينبت العز أويعيد انتصارا
وقراع السيوف أرخم جرْساً	من قراع الدفوف ليلاً نهارا
خلق الشهم للمعالي خدينا	مثلما خادن الغوي العذارى
امسحوا الطرف وانظروا لي طويلاً	قطرة تملأ السماء احمرارا
كم أنادي وأرسل اللفظ نارا	يا بني يعرب بداراً بدارا

فالشاعر تكلَّم بلسان حال قطرة من دم الحسين عليه السلام، ليكون الكلام أكثر تأثيراً، وهذا التقمص يعبر عن إبداع تكمن خلفه عاطفة ثائرة رافضة لكل أنواع الظلم، والشاعر «ينقلها -أي العاطفة- من فرد واحد أحسَّ بها أولاً إلى آخرين كثيرين يجعلهم الفن يشاركونه عاطفته»[114].

وقريب من ذلك قول أحمد الوائلي في إحدى مراثيه الحسينيّة، وقد انعكست الأحداث السياسية والاجتماعية على مضامين مرثيته، فراح من خلال المزاوجة بين الغرض الأساسي للمرثيَّة، وتلك الأحداث، يستمد المسوِّغات التي تدفع إلى استنهاض الشباب المسلم لرفض الواقع السياسي المتردي، يقول(١١٥): (من الخفيف)

يا دماً شابت الليالي عليه	وهولآن في الرمال جديدُ
يحمل الطف والحسين حساماً	كلَّما مرَّ بالوجود يزيدُ
وإذا عرَّس الخنوع بجيلٍ	وانحنى منه للمذلَّة جيدُ
صاح بالرمل من صداه دوّي	فإذا الرمل فارسٌ صنديدُ
هكذا أنت كلما افتقر الجيـ	ـل لعزم فمن دماك الرصيدُ
صرخة لم يضع صداها وإن	حاول تضييعها الضجيج الشديدُ
ولهيب ما أطفأته بحارٌ	لا ولا استام من لظاه الجليدُ
ونزوع حر وأن حاولت أنْ	تحتوي نزعه النفوس العبيدُ
إنَّ دنيا الخنوع للحر سم	وهي للخانعين عيشٌ رغيدُ

فقد حاول الشاعر من خلال مخاطبته الإمام الحسين عليه السلام أن يصوغ فكرته في الأبيات المتقدمة، التي أكدت بقاء الذكرى الحسينيَّة خالدة في ضمير الزمن على الرغم من تباعد الحقب بوصفها درساً متجدداً ومستمراً باستمرار الصراع بين الخير والشر، فالشاعر أراد إيصال هذه الفكرة وهو «لا يحاول أن ينفس عن عاطفته فحسب، بل يحاول أن يؤديها في نوع من الأداء كفيل بأن ينفعل به متلقيه»(١١٦).

وفضلاً عمّا تقدَّم، فقد يجد القارئ لمراثي الإمام الحسين عليه السلام في الحقبة موضوع الدراسة نقداً سياسياً موجهاً ضد السلطة، والمؤسسات السياسية، وهذا الاهتمام في النقد السياسي يدل على وعي الشاعر العراقي، ومراقبته لما يجري،

حرصاً منه على مستقبل بلده، فكانت «السياسة في كل مرحلة تمر بمنعطفات جديدة، وتسلك روافد مختلفة حتى صارت صورة الأوضاع السياسية هذه مادة ثرَّة تمدّ الشعراء بالتجارب الحيَّة، وتثير فيهم العواطف الحارَّة»[١١٧]، وكان ذلك النقد -في أغلب الأحوال- شكوى من الشاعر إلى الإمام الحسينعليه السلام، يقول عبدالقادر رشيد الناصري[١١٨]: (من الكامل)

أَمِن العـدالة أن يذلّ لغاصـــبٍ ... شعب عــداد النجـم والأجـرامِ
والعصـر عصـر النور فيه تحرَّرتْ ... كلّ الشعـوب وليس عصر ظلامِ
فمحاكــم التفتيـش دال زمانهـا ... وتـقـوَّض البستيـل بعد قيـامِ
الا شعوب الشرق وهي عريقـــة ... تنقــاد كالأنعـــام للإعــدامِ
لما تـزل من وقـع سوط عدوِّهـا ... مرتاعــة تبكي بكـا الأيتـــامِ
والقيـد حزَ بساقهـا فتخاذلـــت ... من ثقلــه وهـوت على الأقـدامِ

أنــا إن بكيتـك لست أبكـي فانياً ... تطـوي مفاخـره يـد الأيـــامِ
لي من مصابـك وهونبـع خالـد ... وحـي يُحَيَـيِّ مرقمـي بسلامِ

فالشاعر يشكوإلى الإمام الحسينعليه السلام ما يراه من واقع متردٍّ، وحال سيئة، حتى وصل بالامة إلى أن تذلَّ بعد عزِّهـا، محاولاً خلق حالة من الرفض والتحدي في نفوس الجماهير، لتبصيرهم بمفاسد السياسة.

ويقول طالب الحيدري[١١٩]: (من الكامل)

أشكوأبـا الشهـداء جور مخاتل ... في الشعـب مطبـوع على الإجرامِ
الجاهليَّـة قـد أعيدت مـرَّةً ... أخـرى فعـاد الحكـم للأصنامِ
الحاكميـن بغيـر عدل في الورى ... وبغيـر قـانـون وغيـر نظـامِ

فالحيدري باسلوبه «السهل الممتنع والفاظه الحلوة وروحه الثائر السخر ونظرته الحزينة»(١٢٠) يشكوختل الحكام، ومكرهم، وجورهم، ونهجهم في الحكم نهجاً جاهليّاً من خلال عدم المساواة في توزيع الحقوق، وهوأمر دأب عليه الشعر السياسي في العراق عامَّة، «إذ حفل... بفضح طبيعة السلطة التي تحكم البلاد بمختلف مراحلها، ودعا كثيراً إلى مناهضتها»(١٢١)، فإذا كان الأمر يتعلَّق بمراثي الإمام الحسين عليه السلام فإنَّه ليس غريباً أن تفعل المراثي في النفوس ما لا تفعله القصائد السياسية الأخرى، فقد «كان مجرد ذكر الحسين عليه السلام بعد واقعة الطف، يعد بملحظ سياسي تحدياً سافراً لنظام الحكم، ودعوة للإطاحة به، فهويرعب الطغاة، ويدخل الذعر بين صفوف أوليائه، بل هويقيمهم ويقعدهم منذ عصره حتى العصر الحاضر(١٢٢) وقد تعود ذاكرة الشاعر إلى زمن الحكومة الأمويَّة حينما يرى حكومته المعاصرة لا تلبي طموحات الشعب، يقول الشيخ مهدي مطر(١٢٣): (من الكامل)

شكت الإمارة حظها واستوحشت — أعوادها من عابثين تأمروا
وتنكَّرت للمسلمين خلافة — فيها يصول على الصلاح المنكرُ
فشكت إليك وما شكت إلاّ إلى — بطل يغار على الصلاح ويثأرُ

فقد أشار الشاعر إلى ما وصلت إليه الحكومة الإسلامية في عهد يزيد من مجانبة لمبادئ الإسلام، الأمر الذي اقتضى أن يجهر الحسين بدعوته لتصحيح ما اعوجَّ من أمرها، ودلالة الأبيات واضحة في بعدها السياسي الذي يتمثَّل في نقد السلطة الحاكمة، وتنبيهها على أخطائها.

وحينما يرى الشاعر البلدان الأوربية، وما وصلت إليه من رقي وتقدم،

ويقارن ذلك مع حال أمته، يعتصره الهم، فيهرع إلى الإمام الحسين عليه السلام شاكياً واقع الحال، من ذلك قول محمد جعفر النقدي(١٢٤): (من الكامل)

شعَّ التمـدن في البـلاد ولم يزلْ وطنـي يسيـر على بعيد خيالهِ
الغرب أدرك في سنـا أسحـارهِ قصداً وضلَّ الشـرق في آصالـهِ

هـذي شهيـد الحق نفثـة شاعـرٍ يرثـي لحـال بـلاده ولحالـــهِ

فقد شخَّص الشاعر مشكلة تخلف بلده، بالتمسك بالأوهام والأباطيل، وترك الطريق العلمي الصحيح الذي انتهجته دول الغرب، فوصلت إلى ما وصلت إليه من رقي وتقدم، في حين ظلَّت أمم الشرق تتخبط بمسالك التخلف، مما جعلها فريسة سهلة للاحتلال، لذا فإنَّ الشاعر نفسه يقول في بيت آخر من المرثيَّة(١٢٥):

والغرب جرَّد سيفـه وبموطنـي غمد اليـراعَ صيانـةً لضلالـهِ

فقد رسم الشاعر هذه الصورة العدائية المعبرة عن علاقة الغرب بالعرب، التي ما كانت لتتحقق لولا ضعف العرب، وتهاونهم في الدفاع عن أرضهم.

وأخذت قضيَّة فلسطين حيزاً كبيراً من اهتمام شعراء المراثي الحسينيَّة التي خاضت في القضايا السياسية، ولاسيما أنَّ الشعراء العراقيين، وجدوا في تلك القضيَّة قضيَّة للعرب والمسلمين، فكان دافعهم لذكرها في المراثي دافعاً قومياً ودينياً، إذ لم ير هؤلاء الشعراء فاصلاً بين قضايا العروبة وقضايا الإسلام «ولم تكن الأفكار القومية التي عرضها الشعراء منفصلة عن القيم والأفكار الدينيَّة الإسلاميَّة، إذ لم تكن ثمَّة حواجز تجعلهم يفصلون بين هذه الأفكار، فتاريخ

العرب وماضيهم الحضاري هو ذاته تاريخ المسلمين وماضيهم»[١٢٦] لذلك كانت فلسطين بالنسبة للشاعر العراقي تمثل عاملاً مشتركاً بين العروبة والإسلام، فهي قضية ذات وجهين؛ عربي وإسلامي، ولعلنا لا نجد شاعراً عراقياً لم يتطرَّق إلى تلك القضيَّة، يقول السيد محمود الحبوبي[١٢٧]: (من الطويل)

أعيذكم أن يهتف القدسُ صارخا بكم فتلبيه هتافاتكم تترى
يؤمِّل منكم منقذين فما يرى لإنقاذه إلاّ الخطابة والشعرا

وإذا كان السيد الحبوبي يرى أن العرب لا يملكون حيال فلسطين -وهي تنتهب- سوى الضجة الفارغة بالخطب والقصائد الرنانة، فإنَّ الشيخ عبدالغني الخضري يرى أنَّ ضياع فلسطين من أيدي العرب كان نتيجة إهمالهم القيم العربية والإسلامية، التي ضحّى من أجلها سيد الشهداء بكل ما يملك، يقول[١٢٨]: (من الوافر)

فلوإنّا بإخلاص بذلنا كبذل السبط أصحاباً وآلا
لعاد الكافر الباغي طريداً ولم يسلب لنا حتى العقالا
ولم تذهب فلسطين جباراً ولا ملك لغير العُرْب طالا

ويستنهض الشيخ محمد النقدي العرب، إذ يرى أنها ذهبت ضحيَّة العدو الذي رمى بحباله في الأرض العربيَّة، يقول[١٢٩]: (من الكامل)

يا قوم قد جار الغريب بأرضكمْ فحذار من أشراكه وحبالهِ
ما القدس تأسوه الجراح أليمة إلاّ ضحيَّة رشقة لنبالهِ

فهؤلاء الشعراء كانوا أمثلة للأدب الجديد في العراق، الذي حدد الدكتور يوسف عز الدين قضاياه بمناهضته الاستعمار، ومساندة العمل الاشتراكي، والدعوة إلى الوحدة العربية[١٣٠].

وقد وصل الأمر بالشعراء أحياناً أن يطلبوا الصفح من الله لقومهم العرب، لتهاونهم في الدفاع عن مقدساتهم، ولاسيما القدس الشريف، يقول صالح الجعفري(١٣١): (من الكامل)

والمسجد الأقصى الشريف مصدَّع الـ فقرات لا أسساً ولا أسوارا
ما عاد يمنع نفسه منهم فهل يحمي قريباً أويكرم جارا

يا رب صفحك قد تراخت ريحنا حتى نسينا صرها إعصارا
لسنا بحيث أردتنا وتريدنا فاثأر لنفسك إن أردت الثارا
الأكثرون حصى ولكن لم يعد يكفي لأن تعتد منه جمارا

هذه الشكوى نقد لاذع يشير بوضوح إلى الإحساس بالمرارة التي تعتصر قلوب الشعراء العراقيين، وفي أذهانهم الموازنة بين وقعة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وحال الحكومات العربية آنذاك، التي وقفت متفرجة أمام مأساة فلسطين، والشاعر إذ يضمن مرثيته مثل هذه الأبيات فإنما يدل ذلك على أنَّ «شعر الحسين زاخراً بالثورة على الاستبداد»(١٣٢) بكل اشكاله.

ويقول السيد محمد جمال الهاشمي(١٣٣): (من الطويل)

على مهلكم يا تائهين فإنَّما طريقكم وعر وصحراؤكم قفرُ
. . . .
افيقوا فإنَّ العلم أبدى نواحياً من الحق أخفاها التعصّب والغدرُ
وخلّوا فلسطيناً وإسعافها فقد أقامت لحل العقد -عقادها- مصرُ

فقد وصف الشاعر قومه بأنَّهم ضلّوا الطريق (يا تائهين) حينما لم يقفوا وقفة قوية يسترجعون بها ما سلب من أراضيهم، والشاعر ليس بعيداً عن معاناة

الشعب في فلسطين، فالأبيات تشير إلى إحساسه بمأساة العربي الذي يعيش تحت وطأة الاحتلال وعذاب القمع والسجون والمعتقلات، وكان موضوع الحرية من أهم المطالب التي ألحَّ عليها الشعراء العراقيون في مراثيهم الحسينيَّة، والملاحظ أنَّ هؤلاء الشعراء طالما ربطوا الحريَّة بالتخلص من الاستعمار، لذلك وجدوا بأنَّ الحريَّة لا يمكن أن تتحقق إلاّ بالنضال المستمر، يقول عبدالقادر رشيد الناصري(١٣٤): (من الكامل)

أأبا العقيــدة والنضــال الدامـي ... قدست ذكرك يابن خير إمـامِ

وجعلت يومـك رمز كل بطولـةٍ ... غـرّاء تسطـع في فم الأيــامِ

حريَّة الأمـم الضعيفـة دوحــةٌ ... تسقـى ولكن بالنجيــع الدامي

فقد عقد الناصري الصلة بين نضال الإمام الحسين عليه السلام ومسألة الحرية في إشارة إلى توظيف ذلك في المطالبة بحرية شعبه المستلبة، وكان دأب الشعراء العراقيين عامة في النصف الأول من القرن العشرين، المطالبة بالحرية، لأن ذلك يعني استقلال بلدهم بشكل حقيقي، فقد «كانت دعوة الشعراء إلى الحرية سبيلاً إلى التخلص من قبضة الاستعمار»(١٣٥)، فالحرية مطلب جماهيري، يدرك الشاعر أهميته قبل غيره بوصفه فناناً ذا إحساس مرهف.

وقد وجد الشعراء بأنَّ خير درس في التحرر الثورة الحسينيَّة، التي يمكن أن تكون نبراساً في التحرر لكل الأمم، لذا فإنَّ محمد صالح بحر العلوم ينصح أبناء جيله بأن يعتبروا بتلك الثورة، وهم ينشدون الحرية، فيقول(١٣٦): (من الطويل)

خذوا من ضحايا الطف درس تحررٍ ... فتلك الضحايا للتحرر معهدُ

ولا تـذكـروهـا بـالـبـكـاء مجـرَّداً   فلم يجدِها هـذا الـبـكـاء المـجـرَّدُ

فقد عبَّر الشاعر عن مطمح جماهيري، لكنه ما كان ليعبر عنه لولم يكن يشعر بأهميته، وشدة ارتباطه بقضيَّة الإمام الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ، وبذلك جسَّد الشاعر الدافعين المهمين في كل عمل أدبي، وهما: «رغبة الفنان (الشاعر) في أن ينفس عن عاطفته، ورغبته في أن يضع هذا التنفيس في صورة تثير في كل من يتلقاها نظير عاطفته»[١٣٧]، وإذا كان الشاعر يستمد مقومات الحرية من وقفة الإمام الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ في كربلاء، فإنَّ ذلك يشير بوضوح إلى حضور قيم التراث في ضمير الفرد العربي، «وبهذا تتاح الفرصة لما هوحي من قيم الماضي أن يظل حياً ليستمر في المستقبل»[١٣٨].

ووجد عدد من الشعراء العراقيين في الحكم الملكي امتداداً للحكومة الإسلامية، مما يشير إلى حاجة هؤلاء الشعراء بالتشبث بآمال الحكومة المثالية التي رسموا صورة خيالية لها في أذهانهم، يقول حسين علي الأعظمي[١٣٩]: (من الطويل)

وأصبح تاج الهاشميين زاهـراً   ببغـداد أوعمّانيكلؤه النصـرُ
وإنـك حي في بنيـك مخلَّـدٌ   وباقٍ مـع الأحياء ما بقي الدهـرُ

ويؤكد المعنى ذاته في مرثية حسينيَّة أخرى، فيقول[١٤٠]: (من الكامل)

واليوم نحيا في سيادة دولةٍ   وبظلِّ مملكة نُعزّ ونكـرمُ
أبناء هاشـم شيَّدوا استقلالها   وبنوا سيادتها التي لا تهـدمُ
والتاج يسطع فوق مفرقِ فيصلٍ   وله وصيٌّ هاشميٌّ معلـمُ
أحسين قمْ وانظرْ فذكرُك عاطـرٌ   ويزيدُ في الدنيا يُذمّ ويُشتـمُ

فقد عبَّر الشاعر في الأبيات المتقدمة عن قناعته السياسية، وولائه للعائلة المالكة في العراق والأردن، لكنه وظَّف ذلك المديح لزرع الأمل في نفوس الناس من خلال

تأكيده الطابع الشرعي للحكم الملكي آنذاك، حينما أشار إلى الامتداد النَسَبي للعائلة المالكة الذي يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، ولاسيما في قوله: (وإنك حي في بنيك مخلَّد).

وهكذا فقد أثبت الشعراء العراقيون في مراثيهم الحسينيَّة أنَّ الأدب ينبع من ذات الإنسان، ولكنه لا يستطيع أن ينفصم عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه الأديب، فقد سجَّل الشاعر العراقي، وفي حضرة الإمام الحسين عليه السلام كل همومه ومتاعبه التي أثارتها عوامل السياسة، محرضاً، ومستنهضاً، وناصحاً، وشاكياً إلى سيد الشهداء، وبذلك «لم يترك هؤلاء الشعراء هذه الأحداث تمر دون أن يكون لهم فيها رأي أواجتهاد أوتفسير»[١٤١]، فالشاعر العراقي كان يعي دور الكلمة في تغيير الواقع السياسي، فضلًا على وعيه بأنّ الأدب ليس ببعيد عن الأحداث السياسية، وهذا يعني أنَّ الشاعر كان يمارس دوره في نقد ذلك الواقع، حتى في حالات حزنه.

الهوامش

(١) ينظر: الالتزام في الشعر العربي: ١٢، الهامش ١، والأدب وقيم الحياة المعاصرة: ١٦٥.
(٢) الأدب للشعب: ٤.
(٣) ينظر: الأدب السياسي الملتزم في الإسلام: ٤١.
(٤) في نقد الشعر: ٤٠.
(٥) ينظر، تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي الحديث: ٧٧-٨١.
(٦) مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي: ١٠٣.
(٧) م. ن: ١٠٣.
(٨) سيكولوجية التذوق الفني: ٦٧.
(٩) أدب الطف: ١٠/ ٩٦.
(١٠) الذخائر: ٤٠.
(١١) تراجيديا كربلاء: ٣٠٨.
(١٢) روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: "من قال فينا بيت شعر بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة". عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٥.
(١٣) الحسين في الشعر الحلي: ٤٥١.
(١٤) م. ن: ٣٧٢.
(١٥) التفسير النفسي للأدب: ٣٧.
(١٦) ديوان الفرطوسي: ١/ ١٠٣.
(١٧) لا يخفى أن الشفاعة بنص القرآن لله وحده: ﴿قُلْ لله الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ (الزمر/ ٤٠)، وقال سبحانه: ﴿ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس/ ٣)، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (طه/ ١٠٩).

(١٨) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلي: ٤٠.
(١٩) ديوان أبي الحب: ١٤٣.
(٢٠) ديوان الناصري: ٢/ ١٤٦.
(٢١) طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي (بحث/ مجلة جامعة كربلاء): ١٩٣.
(٢٢) ديوان الفرطوسي: ١/ ٧٦.
(٢٣) رسالة الأديب: ٢١٨.
(٢٤) ديوان الفرطوسي: ١/ ١٨.
(٢٥) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: ١٨٣.
(٢٦) الشعر والمجتمع: ٦٩.
(٢٧) ديوان الجواهري: ٣/ ٢٣٥.
(٢٨) م. ن: ٣/ ٢٣٦.
(٢٩) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ٦٣، والمعجم الفلسفي: ١/ ٧٠٥.
(٣٠) ديوان الجواهري: ٣/ ٢٣٧
(٣١) وردت الكاف في (إليك) مكسورة في الديوان، والأصوب فتحها.
(٣٢) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب: ٦٤.
(٣٣) الأسس النفسية للإبداع الفني: ٣٣٩.
(٣٤) رسالة الأديب: ٢٤٨.
(٣٥) ديوان الحاج عبدالحسين الأزري: ٣٣٩.
(٣٦) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلي: ٦٦.
(٣٧) ديوان أبي الحب: ١٤١.
(٣٨) رسالة الأديب: ٢٤٨.
(٣٩) ديوان الشيخ كاظم آل نوح: ١/ ٥.
(٤٠) علم النفس والأدب: ١٤٤.
(٤١) موسوعة علم النفس: ١٤٤-١٤٥.
(٤٢) مع النبي وآله: ١/ ١٩٤.
(٤٣) الإبداع في الفن: ٦٦.

(٤٤) علم النفس الفني: ٢١٢.
(٤٥) يوم الحسين: ٤٨.
(٤٦) مجلة البيان (ع ١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ٣٩.
(٤٧) وظيفة الأدب: ٨٨.
(٤٨) ينظر: التحليل الاجتماعي للأدب: ١١٧.
(٤٩) أبو الشهداء الحسين بن علي: ٥٠.
(٥٠) م. ن: ٥٠.
(٥١) ديوان بحر العلوم: ٢/ ١٢٢.
(٥٢) مع النبي وآله: ١/ ١٨٨.
(٥٣) ديوان السماوي: ٣٧٨.
(٥٤) ديوان بحر العلوم: ٢/ ٨٦.
(٥٥) القيم الإسلامية في الشعر العراقي الحديث (رسالة ماجستير): ٢١.
(٥٦) الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري: ٣٥٥.
(٥٧) الإبداع والشخصيَّة، دراسة سيكولوجية: ٣١٦.
(٥٨) مشكلة الإبداع الفني رؤية جديدة: ٢٧٩.
(٥٩) هو السيد جعفر القزويني، ينظر: ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٤٢٣.
(٦٠) م. ن: ٤٢٤.
(٦١) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات: ١٧٦.
(٦٢) التحليل الاجتماعي للأدب: ١٤٤.
(٦٣) الديوان: ٢/ ١٦٦.
(٦٤) نقد الشعر في المنظور النفسي: ٩١.
(٦٥) ديوان أبي المحاسن الكربلائي: ١٤٧.
(٦٦) مجلة الغري ع٦ لسنة ١٩٤٥: ٨١.
(٦٧) الأدب السياسي الملتزم في الإسلام: ٥٣.
(٦٨) مجلة الغري ع٦ لسنة ١٩٤٥: ٨٢.
(٦٩) مفهوم الشعر: ٢٧٤.

(٧٠) جمهرة وصايا العرب: ١/ ١٢٠.

(٧١) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلي: ١٤٢.

(٧٢) م. ن: ١٣٣.

(٧٣) ديوان أبي المحاسن الكربلائي: ١٤٨.

(٧٤) في الطبعة الثانية من الديوان وردت (والمزق)، ينظر: ديوان محمد حسن أبي المحاسن: ١٣٦.

(٧٥) مجلة الغري: ع ٦ لسنة ١٩٤٥: ٨٢.

(٧٦) ديوان الوائلي: ١/ ١٧٠.

(٧٧) القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية في وصايا عصر قبل الإسلام الشعرية والنثرية (رسالة ماجستير): ٢٤.

(٧٨) مجلة الغري (ع ٩-١٠) لسنة ١٩٤٨: ٢٣.

(٧٩) ديوان السيد مهدي الطالقاني: ٧٩.

(٨٠) العقد الفريد: ١/ ١٠٠.

(٨١) القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية في وصايا عصر قبل الإسلام الشعرية والنثرية (رسالة ماجستير): ٨.

(٨٢) ديوان الوائلي: ١/ ١٧١.

(٨٣) ديوان الفرطوسي: ١/ ٩٦.

(٨٤) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات: ١٧٥.

(٨٥) أصداء الحياة: ٧٤-٧٦.

(٨٦) مجلة الغري، ع (٩-١٠) لسنة ١٩٤٨: ٢٣.

(٨٧) ديوان السماوي: ٣٦١.

(٨٨) لغة الشعر الحديث في العراق: ١١١.

(٨٩) أصداء الحياة: ٩٠.

(٩٠) ألوان شتى (ديوان شعر): ١٠٩-١١٠.

(٩١) ذكريات، أحلام وتأملات: ٣٣٠، وردت في النص (وبالتالي)، والأصوب أن يقال: (ومن ثمَّ).

(٩٢) ديوان الجواهري: ٢/ ٢٧١.

(٩٣) ديوان الجواهري: ٢/ ٢٧٤.
(٩٤) في النقد الإسلامي المعاصر: ٢٦.
(٩٥) ينظر: الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور: ٥٣-٥٦.
(٩٦) ينظر: الأدب العربي في كربلاء: ٦٥.
(٩٧) الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: ٤٣.
(٩٨) ينظر: الشعر العراقي الحديث: ٤٩.
(٩٩) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ١١١-١١٢، وأثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ١٨١.
(١٠٠) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ١١٤.
(١٠١) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ١١٥.
(١٠٢) مجلة البيان ع (٥٧-٥٨) لسنة ١٩٤٨: ٢١٥.
(١٠٣) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: ١٨.
(١٠٤) مجلة البيان ع (١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ٣٩.
(١٠٥) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ١٧٩.
(١٠٦) ديوان بحر العلوم: ٢/ ١٢٢.
(١٠٧) يقصد الحقبة بين الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧ وعام هذه المرثية ١٩٤٧م.
(١٠٨) في ألأدب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية: ٧.
(١٠٩) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري: ١٧٩.
(١١٠) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري: ١٨٢.
(١١١) ويكون التجاوز: ٢٠-٢١.
(١١٢) من وحي الحسين: ٣٩.
(١١٣) من وحي الزمن: ١٩٧.
(١١٤) وظيفة الأدب: ٢٧-٢٨.
(١١٥) ديوان الشعر الواله في النبي وآله: ٩٩.
(١١٦) وظيفة الأدب: ٢٦.
(١١٧) الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره: ٨١.

(١١٨) ديوان عبدالقادر رشيد الناصري: ١/ ٢.
(١١٩) من وحي الحسين: ٢٧.
(١٢٠) الادب المعاصر في العراق، ١٩٣٨-٩٤: ١٩٦٠.
(١٢١) لغة الشعر الحديث في العراق: ١١١.
(١٢٢) الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري: ٣٥٠.
(١٢٣) أدب الطف: ١٠/ ٢٩٨.
(١٢٤) يوم الحسين: ٩٨.
(١٢٥) م. ن: ٩٩.
(١٢٦) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ١٨٤.
(١٢٧) مجلة البيان ع (٥٧-٥٨) لسنة ١٩٤٨: ٢١٥.
(١٢٨) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري: ١٨٢.
(١٢٩) يوم الحسين: ٩٩.
(١٣٠) ينظر: الأدب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية: ١٠.
(١٣١) ديوان الجعفري: ١٥١.
(١٣٢) الأدب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية: ١٦.
(١٣٣) مع النبي وآله: ١٩١.
(١٣٤) ديوان عبدالقادر رشيد الناصري: ١/ ١.
(١٣٥) في الشعر العربي الحديث: ٤٧.
(١٣٦) ديوان بحر العلوم: ٢/ ١٢٢.
(١٣٧) وظيفة الأدب: ٢٧.
(١٣٨) الأدب وقيم الحياة المعاصرة: ١٩٥.
(١٣٩) مجلة البيان ع (١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ١٤.
(١٤٠) مجلة البيان ع (١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ٥٢.
(١٤١) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٨.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب المطبوعة:

١. الإبداع في الفن، قاسم حسين صالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، دار الطباعة للنشر، بيروت ١٩٨١.

٢. الإبداع والشخصية، دراسة سيكولوجية، عبدالحليم محمود السيد، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

٣. أبوالشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، دار نشر الشريف الرضي، إيران، ط٢، د. ت.

٤. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦.

٥. الأدب السياسي الملتزم في الإسلام، د. صادق آئينة وند، ود. حسن عباس نصر الله، دار التعارف للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

٦. الأدب للشعب، سلامة موسى، مكتبة الإنجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٧. أدب الطف، اوشعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط١، ٢٠٠١.

٨. الأدب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمداني ود. فائق مصطفى أحمد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٧.

٩. الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز ١٩٥٨، اتجاهاته وخصائصه الفنية، د. عبود جودي الحلي، منشورات مكتبة أهل البيت، كربلاء، ط١، ٢٠٠٥.

١٠. الادب المعاصر في العراق، ١٩٣٨-١٩٦٠، د.داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢.
١١. الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، ط٦، ١٩٧٦.
١٢. الأدب وقيم الحياة المعاصرة، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
١٣. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف، مصر ط٣، ١٩٦٩.
١٤. أصداء الحياة، نفح الخلود (ديوان شعر)، مظهر اطميش، مطبعة الراعي، النجف، ١٩٥٤.
١٥. الالتزام في الشعر العربي، د. أحمد أبو حاقة، دار العلم للملايين، بيروت. ط١، ١٩٧٩.
١٦. ألوان شتى (مجموعة شعر)، طالب الحيدري، مطبعة دار المعارف، بغداد، ط١، ١٩٤٩.
١٧. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩.
١٨. التحليل الاجتماعي للأدب، السيد يسين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢.
١٩. تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٢٠. تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج، د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٥.
٢١. تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين، د.داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩.
٢٢. التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، مكتب غريب، مصر، ط٤، د. ت.
٢٣. جمهرة وصايا العرب، دراسة وتحقيق: محمد نايف الدليمي، منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٤. الحسين في الشعر الحلي، تراجم وقصائد، سعد الحداد، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، ٢٠٠٧.
٢٥. ديوان أبي الحب (الصغير)، تحقيق سلمان هادي الطعمة، مطبعة الآداب، النجف،

١٩٦٦.

٢٦. ديوان أبي المحاسن الكربلائي، تحقيق، محمد علي اليعقوبي، مطبعة الباقر، النجف الأشرف ط١، ١٣٨٣ هـ. وط٢، ٢٠٠٠ ضمن كتاب (ديـوان أبي المحاسن دراسة عن حياته والاتجاهات السياسية في شعره، نوري كامل محمد حسن، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٧. ديوان بحر العلوم، محمد صالح بحر العلوم، مطبعة دار التضامن، ط١، ١٩٦٩.

٢٨. ديـوان الجعفري، صالح بن عبدالكريم بن جعفر كاشف الغطاء، تحقيق وجمع وإشراف علي جواد الطاهر، وثائر حسن جاسم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٥.

٢٩. ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي. ود. علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٣.

٣٠. ديوان السماوي، الشيخ عبدالحميد السماوي، تحقيق أحمد عبدالرسول السماوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧١.

٣١. ديوان الشعر الواله في النبي وآله، د. الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٣٢. ديـوان الحاج عبدالحسين الأزري، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، تقديم علي الشرقي وترجم للشاعر جعفر الخليلي، مؤسسة النعمان، بيروت.

٣٣. ديوان الشيخ عبدالغني الخضري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٢.

٣٤. ديوان عبدالقادر رشيد الناصري، ج١، جمعه وضبطه كامل خميس، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٥، وحقق الجزء الثاني الذي عنون بـ(ديوان الناصري)، هلال ناجي وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٦م.

٣٥. ديـوان الفرطوسي، عبدالمنعم الفرطوسي، مطبعة الغري الحديثة النجف، ط٢، ١٩٦٦.

٣٦. ديوان الشيخ كاظم آل نوح، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩.

٣٧. ديـوان السيد محمد سعيد الحبوبي، جمعه محمود الحبوبي، تصحيح وشرح وترجمة الإعلام وترتيب عبدالغفار الحبوبي، مديرية المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٣.

٣٨. ديوان السيد مهدي الطالقاني، جمع وتحقيق السيد محمد حسن الطالقاني، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

٣٩. ديوان الوائلي، إبراهيم الوائلي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

٤٠. ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي الحلي، عني بجمعه والتعليق عليه ولده محمد علي اليعقوبي، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٦٢.

٤١. ذكريات، أحلام، تأملات، كارل غوستاف يونغ، ترجمة ناصر السعدون مراجعة د. سلمان الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١.

٤٢. رسالة الأديب، د. زكي مبارك، إعداد وتقديم كريمة زكي مبارك، إشراف رباب عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩.

٤٣. سيكولوجية التذوق الفني، د. مصري عبدالحميد حنورة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥.

٤٤. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، د. إبراهيم الوائلي، مطبعة المعارف، بغداد، ط٢، ١٩٧٨.

٤٥. الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور، د.جلال الخياط، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٤٦. الشعر والمجتمع، مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث، ١٩٧٤، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٤.

٤٧. العقد الفريد، ابن عبدربه(أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ)، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٤٠.

٤٨. علم النفس الفني، د. أبوطالب محمد سعيد، مطابع التعليم العالي، الموصل ١٩٩٠.

٤٩. علم النفس والأدب، د. سامي الدروبي، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

٥٠. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق (أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٥١. في الأدب العربي الحديث، بحوث ومقالات نقدية، د. يوسف عز الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

٥٢. في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، د. فائق مصطفى ود. عبدالرضا علي،

دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط٢، منقحة ومزيدة ٢٠٠٠.

٥٣. في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٧٢.

٥٤. في نقد الشعر، د. محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧٧.

٥٥. لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥.

٥٦. مشكلة الإبداع الفني، رؤية جديدة، د. علي عبدالمعطي محمد، دار الجامعات المصرية، د. ت.

٥٧. مع النبي وآله، (ديوان شعر)، السيد محمد جمال الهاشمي مطبعة بهرز، إيران، ط١، ١٩٨٥.

٥٨. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، نشر مؤسسة ذوي القربى، إيران، ط١، ١٣٨٥هـ.

٥٩. مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

٦٠. من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، د. محمد خلف الله أحمد المطبعة العالمية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠.

٦١. من وحي الحسين (ديوان شعر)، طالب الحيدري، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٥٢.

٦٢. من وحي الزمن (ديوان شعر)، عباس الملا علي، دار الحرية للطباعة بغداد، ط٢، ١٩٨٦.

٦٣. مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، د. شكري فيصل، دار العلم للملايين بيروت، ط٥، ١٩٨٢.

٦٤. موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة عبدالله عبدالدايم، مطابع الشروق، بيروت، ط١، ١٩٧٧.

٦٥. نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

ط١، ١٩٨٩.

٦٦. وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي، د. محمد النويهي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٦، ١٩٦٧.

٦٧. ويكون التجاوز، دراسات نقدية معاصرة في الشعر العراقي الحديث، محمد الجزائري، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤.

٦٨. يوم الحسين، مجموعة القصائد والخطب التي ألقيت بمناسبة ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، للسنوات ١٩٤٧-١٩٥٠، مؤسسة دار السلام، لندن، ط٢، ١٩٩٩.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

٦٩. القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية في وصايا عصر ما قبل الإسلام الشعرية والنثرية، سهام حسين جواد السامرائي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ٢٠٠٢.

٧٠. القيم الإسلامية في الشعر العراقي الحديث ١٩٤٥ ١٩٨٠، رائد فؤاد طالب الرديني، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

رابعا: المجلات:

٧١. مجلة البيان، مجلة أسبوعية، أدبية، اجتماعية، جامعة، تصدر مرتين في الشهر مؤقتا، رئيس تحريرها ومديرها المسؤول علي الخاقاني، النجف، العدد (١١، ١٢، ١٣، ١٤) السنة الأولى، ١٤ ك٢، ١٩٤٧ عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام والعدد ٥٧، ٥٨ السنة الثالثة في ٢٢، ك١، ١٩٤٨، عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام.

٧٢. مجلة جامعة كربلاء، المجلد الخامس، العدد الرابع، إنساني، ك١، ٢٠٠٧م الموضوع (طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي دراسة موضوعية تحليلية)، د. علي كاظم المصلاوي.

٧٣. مجلة الغري، مجلة علمية، أدبية، فلسفية، فنية، اقتصادية، اجتماعية، عامة، صاحبها ورئيس تحريرها شيخ العرافين آل كاشف الغطاء، تصدر في النجف، العدد ٦ في ٣٠ ك١ ١٩٤٥، السنة السادسة عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام والعدد (٩، ١٠) السنة العاشرة في ٢١ ك١ ١٩٤٨، عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام.

أثر استراتيجية (TWA) في اكتساب المفاهيم البلاغية عند طلاب الصف الخامس الادبي في كربلاء المقدسة

The Effect of (TWA) Strategy in Acquiring Rhetorical Concepts for Fifth Year Literary Students in Holy Karbala

أ. م. د. أوراس هاشم الجبوري

م. د. عدي عبيدان الجراح

قسم العلوم التربوية والنفسية

كلية التربية للعلوم الانسانية

جامعة كربلاء

Asst. prof. Dr. Oras Hashim AL-Juboori

Lecturer. Dr. Odai Obidian AL-Jarah

Karbala University

College of Education for Human Sciences

Dept. of Psychology and Educational Sciences

الملخص

يرمى البحث الحالي إلى التعرّف على أثر استعمال استراتيجية (TWA) في اكتساب المفاهيم البلاغية عند طلاب الصف الخامس الأدبي، ولتحقيق هذا الهدف صاغ (الباحثان) الفرضية الصفرية الآتية:

(ليس هناك فرق ذودلالـة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة البلاغة والتطبيق باستراتيجية (TWA)، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة) المعتمدة (في اكتساب المفاهيم البلاغية).

اعتمد (الباحثان) التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي وهومن التصاميم التجريبية، تصميم المجموعتين والاختبار البعدي) واختارا عشوائياً (اعدادية الهندية للبنين التي تضم شعبتين للصف الخامس الأدبي بعدد أفراد العينة (٦٠) طالبة بعد الاستبعاد وبواقع (٣٠) طالبة لكل مجموعة.

كافأ (الباحثان) بين طلاب مجموعتي البحث بـ (العمر الزمني محسوباً بالشهور، والتحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية للصف الرابع الأدبي، ودرجات اختبار الذكاء (لرافن)، والتحصيل الدراسي للآباء والأمهات).

وباستعمال الوسائل الإحصائية الآتية: (معامل ارتباط بيرسون، معادلة سبيرمان براون التصحيحية، ومعادلة معامل التمييز، ومعادلة معامل الصعوبة،

والاختبار التائي لعينتين مستقلتين، فعالية البدائل الخاطئة، ومربع كاي).

ولقياس اكتساب المفاهيم عند طلاب مجموعتي البحث في الموضوعات استعان (الباحثان) بأحد مدرسي اللغة العربية في اعدادية الهندية للبنين لتطبيق التجربة، واعتمدا اختباراً لاكتساب المفاهيم البلاغية يتألف من (٢٥) فقرة من نوع الاختيار من متعدد، و(٥) فقرات للمزاوجة، عُرِضَ على مجموعة من الخبراء والمحكمين للتثبت من صدقه ولتحليل فقراته وحساب ثباته.

ولتحليل فقرات الاختبار احصائيا ولحساب ثباته تم تطبيق الاختبار على عينة مكونة من (١٠٠) طالب من طلاب الصف الخامس الأدبي في ثانويتي العباس والمباهلة للبنين التابعتين للمديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة، وبواقع (٥٠) طالباً لكل منهما، وبعد تحليل نتائج إجابات طلاب العينة ومعالجتها احصائياً باستعمال الوسائل الإحصائية المناسبة، وِجدَ أن فقرات الاختبار جميعها صالحة، وبلغ معامل ثبات الاختبار (٠,٨٨) وهو معامل جيد جداً.

وبعد انتهاء التجربة التي استمرت ستة أسابيع طبق اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية على طلاب مجموعتي البحث، وبعد تحليل نتائج إجابات الطلاب ومعالجتها احصائياً باستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، اتضح وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب مجموعتي البحث في (اكتساب المفاهيم البلاغية) ولمصلحة طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون البلاغة والتطبيق باستراتيجية (TWA)، وفي ضوء النتائج اثبت أن للاستراتيجية المذكورة في اعلاه آثاراً فعّالة في اكتساب المفاهيم البلاغية، موازنة بالطريقة (المعتمدة).

وأوصى (الباحثان) بالتنويع في طرائق التدريس المستعملة في مادة اللغة العربية بشكل عام لاسيما مادة البلاغة والتطبيق مع الاهتمام باستعمال الاستراتيجيات التي تساعد على التفكير الابتكاري كاستراتيجية (TWA) للصفوف الأخر وفي فروع اللغة العربية الاخرى.

Abstract

This study aims at knowing the effect of using (TWA) strategy in acquiring rhetorical concepts for the fifth year literary students. To achieve this aim the following hypothesis is postulated: (there is no statistically significant difference on the level 0.05, between the mean scores of the experimental group subjects who studied rhetoric using (TWA) strategy and that of the control group who studied the same material using the traditional way).

The researchers utilized the partial control experimental design, post-test two groups design. They randomly selected (Abdullah Bin Abbass secondary school for boys) which have two sections of (60) students. Each group has (30) students.

The researchers matched the two groups in terms of (Age counted by months, their achievement in Arabic language in the previous year, their scores in Raven IQ test and their parents achievement).

Using the following statistical means (Pearson Correlation

Coefficient, Sperman-Brown correction formula, distinction coefficient, difficulty coefficient formula, T-Test for two independent samples, and X2). To measure the students acquisition, the researchers utilized a test of acquiring rhetorical concepts which consisted of (25) multiple choice items and (5) matching items. The test was submitted to a Jury of experts to achieve its validity and to analyze its items and reliability.

The test was conducted on a sample of (100) fifth year literary students at al-Abbas and al-Mubahala secondary schools for boys belonging to Education General Directorate of Holy Karbala (50 students in each school).

After analyzing the results of students statistically, it is found that all items were valid with a correlation coefficient of (0.88) which is very good.

After the end of the experiment (which lasted for six weeks), the test was conducted on the two groups. using T-test for two independent samples the statistical analyses have revealed that there is a statistical significant diffrerence between the mean scores of the two groups (in acquiring rhetorical concepts) on the benefit of the experimental group

who were taught rhetorics using (TWA) strategy.

In the light of the results, it is concluded that the above mentioned strategy has great effects in acquiring rhetorical concepts.

The researchers recommended to use a variety of teaching methods in Arabic Language material especially the rhetorics and application as well as using strategies that may help creative thinking such as (TWA) for other grades who were taught other Arabic language fields or areas.

الفصل الاول
(التعريف بالبحث)

مشكلة البحث: (Problem of the Research):

إن ضعف الطلبة في اللغة العربية يكاد يكون شاملاً وعاماً، لاسيما في مادة البلاغة والتطبيق فهولا يقتصر على مرحلة دراسية دون أخرى. (سليمان، ٢٠٠٨م، ص ٢).

والبلاغة قد تأثرت كثيراً بالأبحاث الفلسفية التي نشأت في العلوم العربية وكانت الجهود المبذولة في دراستها غير مجدية. (العبودي، ٢٠١٢م، ص ٢).

واذا ما تنوعت الاسباب المؤدية الى ضعف الطلاب في مادة البلاغة والتطبيق، فإن الطريقة المعتمدة من قبل المدرسين في تدريس المادة وايصالها الى اذهان الطلاب، قد يكونُ لها قصبُ السبق في ذلك وهذا ما أكدته عدة دراسات ومنها على سبيل المثال لا الحصر، دراسة (المحياوي، ٢٠١١م) ودراسة (العبودي، ٢٠١٢م).

وحتى وقت ليس بالبعيد، لم يكن المدرسون على مقدرة من التمييز بين تعلم المفهوم وغير ذلك من انواع التعلم الاخرى، وان الكثير من استراتيجيات وطرائق التدريس المعروفة قد لا تصلح لتعلم المفهوم بشكل فعال، فاختيار

الاستراتيجية اوالطريقة المناسبة لتدريس المفاهيم يتم تصنيفها طبقاً لطبيعة تلك المفاهيم، فربما تناسب استراتيجية اوطريقة ما تدريس مفاهيم معينة، بينما تجدها لا تناسب تدريس مفاهيم اخرى، وهذا ادى الى ظهور محاولات عدة لوضع استراتيجيات حديثة لتدريس المفاهيم وتعلمها، تبنى على اسس وافتراضات قابلة للاختبار والتجريب والتطبيق داخل الصف. (عبدالصاحب وأشواق، ٢٠١٢م، ص ٦٨).

ولم تعد الطريقة التقليدية قادرة على تأدية دورها في توصيل المعلومات والمعارف وتنمية الميول والقدرات والمهارات الى الطلبة، وعلى الرغم من تأكيد الاتجاهات الحديثة في التربية على دور الطالب الايجابي، وعدهِ محور العملية التدريسية، الا انه لا يزال كما كان، معتمداً على المنهاج الضيق) التقليدي (والذي يعد الطالب متلقياً سلبياً فقط، اما المدرس فدوره المُلَقِنُ للطلبة والمستظهر من المعارف والمعلومات قد لا تنفعهم في حياتهم اليومية، لذلك لابد من وجود فرص امام الطلبة لاكتساب المعلومات والمفاهيم والخبرات، بواسطة استراتيجيات وطرائق حديثة، لذلك اصبح من الواجب تغيير طرائق التدريس التقليدية، واستبدالها باستراتيجيات وطرائق حديثة لجعل الطالب عنصراً فعالاً.

ولهذا يرى (**الباحثان**) ضرورة اعتماد طرائق تدريس واستراتيجيات حديثة تهدف الى ايصال مادة البلاغة والتطبيق لطلاب المرحلة الثانوية -الخامس الأدبي- ومن هذه الاستراتيجيات استراتيجية (TWA).

أهمية البحث: (Importance of the Research):

في يوم ما، وفي مكان ما، من فجر التأريخ أتى اليوم الذي فيه تتحدث الكائنات البشرية إلى بعضها البعض في أشياء مختلفة ومنذ ذلك الحين، وبسبب ظهور اللغة بدأ التاريخ الإنساني وبدأت الثقافة الإنسانية، فالقدرة على استعمال اللغة هوأساس النجاح الإنساني، ولقد عُدَ هذا -منذ زمن ليس بالقصير- السمة التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية الأخرى. (مدكور، ١٩٩١م، ص ٢٧).

واللغة هي أهم ما وصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم كما أنها وسيلة المجتمع الأولى التي تصبغ اعضاءه الصبغة الاجتماعية، واللغة بمفهومها الحضاري تشمل كل ما يستجيب له الإنسان من ألفاظ أورموز أوإشارات أودلالات معينة، إلا أن اللغة المنطوقة أوالمكتوبة بأبجديات أوحروف متعارف عليها تمتاز، باليسر والوضوح ودقة الدلالة. (اسماعيل، ٢٠١١م، ص ٧).

وتمتاز اللغة بميزات عدة منها:

١. **اللغة سمة إنسانية**: أي أنها خاصة بالإنسان وحده.
٢. **انها صوتية**: وهذه الصفة تعني أن الطبيعة الصوتية للغة هي الأساس والشكل المكتوب لها يأتي في المرتبة الثانية.
٣. **تحمل معنى**: وتعني هذه الخاصية أن اللغة تتكون من رموز لها معنى، يعرفها كل من المتكلم والسامع، والقارئ والكاتب.
٤. **اللغة سلوك مكتسب**: بمعنى أن العادات اللغوية المختلفة يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه.
٥. **اللغة نامية**: أي هي في حالة تغير وتطور دائم، ويمكن ملاحظتها في تغير

أنظمة الأصوات، والقواعد، والمفردات من جيل لآخر.

٦. **اللغة اجتماعية**: أي إنها لا تولد في فراغ، بل إنها تنمووتترعرع داخل الجماعة. (الجعافرة، ٢٠١١م، ص ١٥٢، ١٥٣).

ويرى (الباحثان) أن كل ما ذكر من صفات اللغة فيما تقدم من النصوص والفقرات، ينطبق بالطبع على لغتنا العربية، إلا أن ما يميزها عن بقية اللغات الأخرى كونها تتمتع بصفات الديمومة والمحافظة والبقاء وهذا نابع من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إنا نحنُ نَزلنا الذِكرَ وإنا لهُ لحافظونْ**﴾ صدق الله العلي العظيم. (الحجر/ ٩).

وفي نفس الوقت حافظت لغة القرآن الكريم على أهم خصائصها التي ما زالت تتمتع بها من ألفاظ وتراكيب وصرف وبلاغة وفصاحة وبيان وبديع، لان العربية وعاء كبير بألفاظها وتراكيبها ومفرداتها وعلى الرغم من تميز اللغة العربية بهذه الصفات، الا أننا نلاحظ انحسارها في زاوية ضيقة من استعمالات المجتمع فلا نجدها الا في القرآن الكريم، فالحديث في البيت والسوق والشارع ودوائر العمل الحكومية، وغيرها باللهجة الدارجة (العامية) ووصل الامر الى المؤتمرات والندوات والاقسام الاختصاص (اقسام اللغة العربية) وما أكثرها الاخطاء الاملائية واللغوية التي يقع فيها حتى المختصون.

إن هذه الخصائص والمزايا الفريدة التي امتازت بها اللغة العربية دون غيرها من اللغات جعل الكثير من علمائها من القدامى والمحدثين ينعتونها بصفات قل نظيرها في لغات أُخر، فهذا (**الثعالبي**)[1] المتوفّى سنة (٤٢٩ هـ) وصفها بأنها: (خير اللغات، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه بالدين، وسبب إصلاح المعاش

والمعاد). (الثعالبي، ١٩٣٦م، ص٢).

أما (**القلقشندي**)(٢) المتوفّى سنة (٨٢١ هـ) يصف العربية بأنها: (امتن اللغات وأوضحها بياناً واذلقها لساناً، وأمدها رواقاً، وأعذبها مذاقاً). (القلقشندي، ١٩١٣م، ص١٤٨).

ومن قبل هؤلاء كلهم سُئل النبي الأعظم محمدﷺ عن سبب حبه للعربية فقال اشرف الخلق أجمعين: (أحب العربية لثلاث: لاني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربية) صدق رسول اللهﷺ. (الاصبهاني، ١٤٠٦هـ، ص ١١).

ويرى (**مصطفى جواد**)(٣) أنها: (لغة جسيمة عظيمة لأمة كريمة عظيمة، وقد حافظت على قوامها، ونظامها وكلامها وتراثها الأدبي البارع طوال العصور...وهي لاتزال قوية الكيان، علية المكان، ومستمرة بالازدهار). (جواد، ١٩٧٠م، ص٨٩).

وخير دليل على غنى اللغة العربية بالبلاغة والفصاحة بالاضافة الى ما ذكر هوما نُقِل عن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال: (ان للعرب كلاماً هوأرق من الهواء، اعذب من الماء، مرقَ من افواههم مروق السهام من قسيها، بكلمات مؤتلفات، ان فسرت بغيرها عُطلتْ، وان بدلت بسواها من الكلام استصعبت، فسهولة ألفاظها، توهمك انها ممكنة سُمعتْ وصعوبتها تُعلمكَ انها مفقودة اذا طُلبتْ). (الغرناطي، ب. ت، ص ٩٦).

وبناءً على ما تقدم يرى (**الباحثان**) ان هناك عوامل تؤثر بشكل اوبآخر في طريقة التدريس منها عمر الطالب، ودرجة ذكائه، واعداد الطلاب في الصف الواحد، والهدف من التعليم، وكذلك تباين المدرسين في فلسفاتهم وفي نظرتهم الى الحياة وما يرتبط بها، وما يترتب عليها من فلسفات تربوية ينبغي أن تفسر

بعض الفروق التي تظهر بينهم في نشاطاتهم المهنية والطرائق والاساليب التي يتبعونها في التدريس.

وتاسيساً على ما اتقدم تتجلى أهمية البحث الحالي في التعرف على استراتيجيات حديثة تركز على خلق نوع من التداعي الحر عند الطلاب، والتحقق من فاعلية إستراتيجية (TWA)، في رفع مستوى طلاب الصف الخامس الأدبي في اكتساب مفردات مادة البلاغة والتطبيق.

وفي السنوات الأخيرة تزايدت البحوث التي عنيت بالتفاعل بين الطريقة التدريسية والمتعلم. (عبدالهادي، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٨).

وهذا ما دفع (**الباحثين**) إلى إجراء تجربتها في فرع البلاغة والتطبيق من فروع اللغة العربية، فجاء هذا البحث ليبين اثر إستراتيجية (TWA) في اكتساب المفاهيم البلاغية عند طلاب الصف الخامس الادبي.

وعليه فالبحث الحالي يعد الاول في استعمال هذه الاستراتيجية في البلاغة والتطبيق في العراق وعلى حد علم (**الباحثين**) واطلاعهما، فالدراسات السابقة، والتي اعتمدت على هذه الاستراتيجية كانت في تخصصات أُخر مثل (التاريخ، والاحياء، والتربية الاسلامية).

هدف البحث (Objectives of the Research):

يهدف البحث الحالي الى تعرّف: (أثر إستراتيجية (TWA) في اكتساب المفاهيم البلاغية عند طلاب الصف الخامس الأدبي) ولتحقيق هدف البحث صاغ (**الباحثان**) الفرضية الصفرية الآتية:

ليس هناك فرق ذودلالـة إحصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة البلاغة والتطبيق بواسطة إستراتيجية (TWA)، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة ذاتها بالطريقة المعتمدة في اكتساب المفاهيم البلاغية.

حدود البحث (Limitation of the Research):

يتحدد البحث الحالي في:

١. المدارس الثانوية والاعدادية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة.

٢. عينة من طلاب المدارس الثانوية والاعدادية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة

٣. ستة موضوعات من مادة البلاغة والتطبيق للصف الخامس الادبي.

٤. العام الدراسي: ٢٠١٣-٢٠١٤م، (الفصل الدراسي الاول).

تحديد المصطلحات (Definition of Terms):

يحدد (**الباحثان**) المصطلحات الـواردة في عنوان البحث والتي تحتاج الى تعريف باتباع الخطوات الآتية:

١. التعريف اللغوي.

٢. التعريف الاصطلاحي.

٣. التعريف النظري.

٤. التعريف الإجرائي.

أولاً: الأثر:

أ. لغةً:

جاء في اللسان: (الأَثَر: بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: ابقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: تركَ فيه أثراً، وأثار: الأعلام. والأثر: الخبر، والجمع آثار)، وقوله عز وجل: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارَهم﴾ أي نكتب ما أسلفوا من اعمالهم، ونكتب آثارهم أي مَن سنَّ سُنَة حسنة كُتِبَ له ثوابها، ومن سَنَ سُنة سيئة كُتِبَ عليه عقابها. (ابن منظور، ١٤٠٥هـ).

ب. اصطلاحاً:

١. عرفه (**شحاته والنجار**) بانه: (محصلة تغيير مرغوب اوغير مرغوب فيه يحدث في المتعلم نتيجة لعملية التعليم المقصود). (شحاته والنجار، ٢٠٠٣م، ص ٢٢).

٢. ويعرفه (**الساعدي**) قائلاً بانه: (انطباع معرفي اونفس حركيّ، يتولد نتيجة التفاعل الانساني والمتأثر بنحوقصدي). (الساعدي، ٢٠١٢م، ص ٣١).

ت. التعريف النظري:

يعرف (**الباحثان**) الاثر تعريفاً نظرياً على انه: ما تتركه المعرفة اوالقدرة اوالمعلومة اوالمهارة، من تغييرات سواء كانت معرفيةً اونفسيةً اوحركيةً، نتيجةً للتفاعل الانساني بين الفرد والمجتمع اوبين الفرد وبيئته وتحدث بنحومقصود.

ث. التعريف الاجرائي:

يعرف (الباحثين) الاثر تعريفاً اجرائياً بانه: التغيير المعرفي اوالنفسي اوالحركي المقصود الذي يحدث عند طالبات المجموعتين التجريبية التي تدرس

النقد الادبي بواسطة استراتيجية السينتكتك (Syntactic) والمجموعة الضابطة، وسيتم التعرف على ذلك عن طريق الاختبار البعدي.

ثانياً: الاستراتيجية:

أ. لغةً:

من خلال مراجعة (**الباحثان**) لقواميس اللغة المعروفة، لم يجدا أصلاً لغوياً عربياً لهذا المصطلح الا انهما وجدا ان مصطلح الاستراتيجية (Strategy) مشتق اصلاً من الكلمة اليونانية (Strato) وتعني الجيش، وفي التعلم تعني جيش الطلبة، وتعامل المدرسين معهم في غرفة الدراسة، ومن مشتقات هذه الكلمة (Straego) وهي تعني فن القيادة أي في المجال التربوي تعني فن قيادة الصف وأدارته. (قطامي، ٢٠١٣م، ص ٣٢).

ب. اصطلاحاً:

١. عرفها **(Webster)** بأنها: (فن استخدام الخطط المنظمة في حل مشكلة معينة) (Webster, 1971, p. 249).
٢. ويعرفها (علي) قائلاً بانها: (مجموعة القواعد العامة والخطوط العريضة التي تهتم بوسائل تحقيق الاهداف المنشودة، وهي القرارات التي يتخذها المدرس بشأن التحركات المتتالية، التي يؤديها في اثناء تنفيذ مهامه التدريسية بغية تحقيق الاهداف التعليمية المحددة سلفاً). (علي، ٢٠١١م، ص ٨٤).

ت. التعريف النظري للاستراتيجية:

هي مجموعة القواعد والاسس والطرائق والاساليب والوسائل المختلفة

التي يسير بموجبها المدرس من اجل تحقيق الاهداف المحددة مسبقاً، وتتضمن الإجراءات التي يتم تخطيطها بدقة لتوظيف الإمكانات البشرية والمادية في المدرسة لمساعدة الطلبة على بلوغ اهداف التعلم، وهي اوسع واعم وأشمل من الطريقة.

ث. التعريف الاجرائي للاستراتيجية:

يعرف (**الباحثان**) الاستراتيجية في ضوء متطلبات الدراسة الحالية بأنها:

مجموعة الاجـراءات والفعاليات والاساليب والقواعد التي يمارسها (**الباحثان**) داخل قاعة الدرس بغية مساعدة طالبات الصف السادس الادبي على تحقيق مخرجات تعليمية جيدة في تدريس مادة النقد الادبي.

ثالثاً: استراتيجية (TWA)

أ. اصطلاحاً:

١. عرفها **(Duit)** بانها: (الطريقة التي يتعلم بها الطلبة من خلال اجراء مقارنات تصريحية وضمنية بين بنيتي المجالين الاساسي والمستهدف للمماثلة، وتلقي ضـوءً قوياً على اوجـه الاختلاف الرئيسة من اجل عصف (حفز) العقل على البحث عن اوجه الشبه بينهما). (Duit، 1991، p. p. 649-672).

٢. وعرفها (**عطية**) بأنها: (استراتيجية تقوم على اساس استثمار المعلومات القديمة في البنى المعرفية لدى المتعلمين في التعلم الجديد من خلال اكتشاف علاقات بين المعرفة السابقة والخبرة الجديدة التي لا توجد بينها وبين الخبرة السابقة علاقة ظاهرة انها تكتشف باعمال الفكر في البحث عن علاقة بين المشبه والمشبه به). (عطية، ٢٠٠٩، ص٢١١).

ت. التعريف النظري لاستراتيجية (TWA):

وهنا يعرف (**الباحثان**) استراتيجية التعلم التماثلي نظرياً بأنها: استراتيجة فعالة منبثقة عن الفلسفة البنائية، تعتمد على اساس الخبرات السابقة في البنية المعرفية للطلبة، من خلال مقارنتها مع المفاهيم الادبية الـواردة في المحتوى الدراسي بمفاهيم اخرى من بيئة الطلبة الهدف منها تسهيل عملية التعلم.

ث. التعريف الإجرائي لاستراتيجية (TWA):

ويعرفها (**الباحثان**) في ضوء متطلبات البحث الحـالي بانها استراتيجية تدريسية قائمة على بناء المعرفة عن طريق ربط المفاهيم الادبية غير المألوفة عند طلبة الصف الخامس الادبي في كتاب الادب والنصوص بمفاهيم اخرى موجودة في بنيتهم المعرفية السابقة، ويتم ذلك حين تدرس المجموعة التجريبية الاولى بواسطة هذه الاستراتيجية.

رابعاً: الاكتساب:

أ. لغةً:

ورد في شرح شافية ابن الحاجب كسب: اصاب، ومعنى اكتسب اجتهد في تحصيل الاصابة بأن زاوَلَ اسبابها، فلهذا قال الله تعالى: ﴿**لها ما كسبت**﴾ أي: اجتهدت في الخير اولا فانه لا يضيع ﴿**وعليها ما اكتسبت**﴾ أي: لا تؤاخذ الا بما اجتهدت في تحصيله وبالغت فيه من المعاصي وغير سيبويه لم يفرق بين كسب واكتسب (الاستربادي، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١١٠).

ب. اصطلاحاً:

١. عرفه (**عاقل**) بأنه: (اضافة استجابة جديدة حاصلة عن عملية التعلم. ((عاقل، ١٩٨٨م، ص١٤).

٢. ونجد ان (**ابا جادو**) قد عرفه بأنه: (اولى مراحل التعلم يتم خلاله مثول الكائن الحي للسلوك الجديد، ليصبح جزءاً من حصيلته المعرفية اوالسلوكية). (ابوجادو، ٢٠٠٠م، ص ٤٦٨).

ت. التعريف النظري للاكتساب:

يعرّف (**الباحثان**) الاكتساب بانه: زيادة معلومات الفرد وأفكاره وتعلمه انماطاً سلوكية جديدة نتيجةً لحصوله على مثيرات جديدة.

ث. التعريف الاجرائي للاكتساب:

على وفق متطلبات البحث الحالي يعرف (**الباحثان**) الاكتساب اجرائياً بأنه: ما يتكون عند طلاب الصف الخامس الادبي من معنى وفهم يرتبط بالمفاهيم البلاغية الواردة في كتاب البلاغة والتطبيق، وإضافتها الى ذاكرتهم واسترجاعها للاستفادة منها ويقاس ذلك بالدرجات التي سيحصُلُ عليها الطلاب في اختبار اكتساب المفاهيم النقدية الذي اعتمده (**الباحثان**) لهذا الغرض.

خامساً: المفهوم:

أ. لغةً:

المفهوم عند ابن منظور جاء معنى الفهم: الفهم معرفتك الشيء بالقلب ... وفهمت الشيء عَقِلْتُهُ ورفتُهُ. (ابن منظور، ١٤٠٥هـ، ص٤٥٩).

ب. اصطلاحاً:

١. عرفه (**ديك وريـزر**) بأنه: (كلمة اوعبارة تستعمل لتصف مجموعة من الاشياء اوالافكار المترابطة ذات العلاقة من بعضها البعض). (ديك ، ريزر، ١٩٩٢م، ص٢٢).

٢. اما (**الطيطي**) فقد عرفه بأنه: (صورة ذهنية لمجموعة حقائق يعبر عنها بكلمة اومصطلح اورمز. (الطيطي، ٢٠١٠م، ص٤٧).

ت. التعريف النظري للمفهوم:

بعد ان عرض (**الباحثان**) تعريفين اصطلاحيين للمفهوم، يرى ان اقربهما هوتعريف (ديك وروبرت، ٢٠١٠م) لذلك سيتفقان معه.

ث. التعريف الاجرائي للمفهوم:

يعرف (**الباحثان**) المفهوم اجرائياً وفقاً لمتطلبات البحث الحالي بانه: مجموعة من الاشياء اوالحوادث اوالرموز اوالعناصر التي تجمعها صفات مشتركة، والتي سيطلع عليها طلاب الصف الخامس الادبي من خلال دراستهم لبعض مفردات مادة البلاغة والتطبيق خلال مدة التجربة.

سادساً: البلاغة:

أ. لغةً:

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): (بلغ الشيء بلوغاً وبلاغاً، وصل وانتهى وتبلغ بالشيء وصل الى مراده والبلاغ ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب). (ابن منظور، ١٤٠٥ هـ، ص ٤١٩).

ب. اصطلاحاً:

١. عرفه **(الآمدي ت ٣٧٠هـ)** بأنها: (اصابة المعنى وادراك الغرض بألفاظ سهلة وعذبة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاً يقف دون الغاية). (الآمدي، ب. ت، ص ٣٨٠).

٢. عرفها **(مجاور)** بأنها: (علم يحدد القوانين العامة التي لابد أن يسير فيها النمط الادبي التي بها يمكن للاديب أن ينظم كلماته ويرتب أفكاره في تناسق وتسلسل وأنسجام). (مجاور، ٢٠٠٠م، ص ٤٧٦).

ت. التعريف النظري:

يتفق **(الباحثان)** مع تعريف **(الآمدي)** في تعريفه للبلاغة.

ث. التعريف الاجرائي للبلاغة:

يعرف الباحثان البلاغة في ضوء متطلبات البحث الحالي على انها: الموضوعات البلاغية التي يتضمنها كتاب (البلاغة والتطبيق) المقرر تدريسه لطلاب الصف الخامس الادبي في المدارس الثانوية والاعدادية، للعام الدراسي (٢٠١٣-٢٠١٤م).

سابعاً: المفاهيم البلاغية:

لم يجد **(الباحثان)** تعريفا اصطلاحياً للمفاهيم البلاغية، فعرفاه اجرائياً في ضوء متطلبات البحث الحالي فالمفاهيم البلاغية: هي مصطلحات اوالفاظ تدل على معانٍ معينة اويرمز لها برمز خاص يتعلق بموضوعات كتاب البلاغة والتطبيق المقرر تدريسه لطلاب الصف الخامس الادبي التي يتوصل اليها

الطلاب (عينة البحث) والى فهمها من خلال الربط بين المعلومات المتوفرة في مخزونهم العقلي مع المعلومات التي يجدونها في مفردات الكتاب المقرر تدريسه.

بأنها:

الفصل الثاني

(جوانب نظرية ودراسات سابقة)

يتضمن هذا الفصل محورين يتعلق المحور الاول بالجوانب النظرية التي يخضع لها البحث الحالي، والمحور الثاني بعض الدراسات السابقة ذوات الصلة بالبحث الحالي.

اولاً: جوانب نظرية:

استراتيجيات التدريس:

يشهد القرن الحالي حركة علمية نشطة في تحديث المناهج للمراحل الدراسية المختلفة، وقد كان هذا التطور ضرورة ملحة نتيجةً للانفجار المعرفي في المعارف المختلفة، وفي الطرائق الموصلة لها، التطورات المتلاحقة في نواحي الحياة المختلفة الناتجة عن التقدم التكنلوجي، كل ذلك وغيره أدى الى تحقيق معظم الاهداف المنشودة في اقل جهد وأقصر وقت، لذلك ظهرت استراتيجيات التدريس ليكون لها الدور الفعال في مواكبة التطور.

ومن بين المصطلحات التي لاقت اهتماماً واسعاً في الادب النفسي مصطلح (الاستراتيجية) ولعل هذا نابع الى كثرة استعمالها وتداولها في العديد من مجالات الحياة، فمصطلح الاستراتيجية مستخدم في العلوم الانسانية، كذلك توصف

بعض الموارد والسلع الاقتصادية بأنها استراتيجية كالنفط مثلاً، كما يوصف نمط التفكير اوادارة الذهن والتعلم ومعالجاته الذهنية واستثاراته اوالدراسات الخاصة بعقل المتعلم وإدارة موارده واستعداداته بأنه تفكير استراتيجي. (قطامي، ٢٠١٣م، ص٣٢).

والاستراتيجية في التدريس تقسم على انواع عدة وهي:

١. **استراتيجية ما قبل التدريس:** ومنها الاختبارات القبلية وتهيئة الاهداف السلوكية والملخصات العامة وأسئلة التحضير القبلية.
٢. **استراتيجية في اثناء التدريس:** ومنها التعلم التعاوني والاسئلة الصفية والعصف الذهني وغيرها.
٣. **استراتيجية ادارة الصف:** ومنها الانضباط الذاتي من قبل الطلبة وحفظ النظام والكف عن السلوك غير المقبول الى غير ذلك. (طوالبة، ٢٠١٠م، ص ٣٢).

وهناك معايير عدة ذكرت لاختيار استراتيجية التدريس المناسبة وذكر **(Van Hoover)** نقلاً عن **(القواسمة ومحمد)** ان الاستراتيجية المناسبة للتدريس يجب ان تتمتع بالمعايير الآتية:

١. ان تكون مناسبة للاهداف ونتاجات الدرس.
٢. انسجامها وفلسفة المدرس وقدراته وامكانياته وخبرته في العملية التعليمية.
٣. ملاءمتها للامكانيات المادية والبشرية في المدرسة اوالمرحلة الدراسية ومستوى الطلبة.
٤. ان تجعل المتعلم محوراً للعملية التعليمية.
٥. ان تساعد على اثراء خبرة الطالب والمدرس على حد سواء من المعارف

والقدرات والمهارات وغيرها. (القواسمة ومحمد، ٢٠١٣م، ص١٦٢).

ويرى **(الباحثان)** من الضروري اعتماد المدرس على استراتيجية معينة في اثناء التدريس لتحديد ملامح الدرس والقدرة على الاجادة في توصيل المعلومات الى الطلبة بيسر وسهولة، من خلال اتباع المدرس لاستراتيجية تدريس معينة تتلاءم مع المادة وتتماشى مع المستوى المعرفي للطلبة، مع الحفاظ على الاسلوب الخاص بالمدرس والشخصية التي يتمتع بها، الا ان الاستراتيجية في التدريس تعمل على تعضيد عمل المدرس وتعزيز الاسلوب المتبع والوضوح في التدريس.

النظرية البنائية:

النظرية البنائية احدى نظريات المعرفة، التي حيرت وشغلت المفكرين والفلاسفة منذ اقدم العصور في محاولة اعطاء تعريف لها اوتحديد معناها اوخصائصها اومن اين تنبع والى اين تنتهي، ولقد شهد البحث التربوي خلال العقدين الماضيين تحولاً رئيساً للتعليم والتعلم وفحوى ذلك هوالتحول من التركيز على العوامل الخارجية التي تؤثر في تعلم المتعلم مثل متغيرات المدرس – شخصيته، حماسه، تعزيزه وبيئة التعلم والمنهج، ومخرجات التعلم وغير ذلك من العوامل، الى التركيز على العوامل الداخلية التي تؤثر في المتعلم وخاصة ما يجري داخل عقله مثل معرفته السابقة، سعته العقلية، نمط معالجة المعلومات، دافعيته للتعلم، انماط تفكيره، اسلوب تعلمه، اسلوبه المعرفي، أي انه تم الانتقال من التعلم الكاذب اوالسطحي الى ما يعرف بـ**(التعلم ذي المعنى)** او **(التوجه الحقيقي للتعلم)**، وقد واكب ذلك التحول ظهور ما يسمى بالنظرية البنائية وإحلالها

محل النظرية السلوكية والنظرية المعرفية. (زيتون وكمال، ٢٠٠٣م، ص٣).

وتعتمد النظرية في فلسفتها على نظرية (بياجيه، **Gean Piaget**)(٤) التي ترى ان التعلم المعرفي يتم من خلال التكيف العقلي للفرد، بمعنى حدوث توازن في فهم الواقع والتأقلم مع الظروف المحيطة به، ولذا فإن التعلم البنائي يقوم على تنظيم التراكيب الذاتية للفرد بقصد مساعدته في احداث التكيف المطلوب، ولهذا فان البنائيين يؤكدون على التعلم القائم على المعنى والفهم. (الاغا، ٢٠٠٧م، ص١٢).

خصائص النظرية البنائية: للنظرية البنائية خصائص عدة منها:

١. التدريس ليس نقلاً للمعرفة، لكنه يتطلب تنظيم المواقف التعليمية داخل الصف، وتحديد وتقسيم المهام بطريقة من شانها ان تنمي التعلم.
٢. لا ينظر الى المتعلم على انه سلبي، بل ينظر اليه على انه المسؤول بشكل مباشر ومطلق عن تعليمه.
٣. ان المعرفة ليست خارج المتعلم، لكنها تبنى فردياً وجماعياً فهي متغيرة دائماً.
٤. تستوجب عملية التعلم عمليات نشطة، ويكون للمتعلم دور فيها اذا تطلّب بناء المعنى.
٥. يأتي المدرس الى المواقف التعليمية ومعه مفاهيمه، ليس فقط المعرفة الخاصة بموضوع معين، لكن آراءهُ الخاصة بالتدريس والتعليم ايضاً داخل الصف). محمد، ٢٠٠٤م، ص١٠٠، ١٠١).

مآخذ النظرية البنائية:

مما لا شك فيه ان أي عمل لا يخلومن السلبيات اوالمآخذ اوالانتقادات لانه ليس بقرآن كريم اوكتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لذلك لخّص (**فخري**) هذه المآخذ والانتقادات بما يأتي:

١. ان المعرفة تبنى بواسطة الفرد في حين يرى (**فيجوتسكي**)[٥] أنها تبنى بواسطة وسائل اجتماعية وعلى ذلك فان البنائية – هل تستطيع البنائية ان تجيب عن الاسئلة الآتية: من يصنع المعرفة؟ وكيف يحدث ذلك؟ وعلى أي أساس تُعد المعرفة الفردية أوالاجتماعية صحيحة؟
٢. لم تضع البنائية حداً فاصلاً بين صناعة المعنى الشخصي للعالم والفهم المبني نتيجة التفاعل الاجتماعي.
٣. الاختلافات السابقة في كيفية بناء المعرفة تؤدي الى تطبيقات تدريسية مختلفة في الصف الدراسي.
٤. لا تقدم البنائية دوراً محدداً للمدرس في اثناء التدريس ولكنها تجذب الانتباه. (فخري، ٢٠١٢م، ص٢٥، ٢٦).

استراتيجية (TWA):

ان قدرة الانسان على التعامل مع المجتمع من طريق اجراء المقارنات بين الاشياء والخبرات والمواقف التي يمر بها وبحثه المستمر عن اوجه الاختلاف اوالتماثل بينها، فمنهم من يحاول ان يعيد الاختلافات التي وجدها اويصف التشابهات التي حددها في صورة أصناف جديدة في قوائم مفاهيمية، تكون

اكثر بساطةً وفهماً ووضوحاً ويسهل استعمالها في مواقف اخرى، كما ان هدف كل مدرس هوان يصل مع طلابه الى درجة من الفهم والاستيعاب تمكنهم من حل المشكلات التي تواجههم، لذلك يلجا معظم المدرسين الى ابتكار استراتيجيات وطرائق جديدة تتناسب مع التركيبة العقلية التي يحملها طلبتهم وصولاً الى تحقيق الاهداف المنشودة من عملية التعلم، ومن الملاحظ ان الكثير من المدرسين في مدارسنا قد يستعملون استراتيجية (TWA) دون أن يعلموا ان لهذه الاستراتيجية اوالطريقة اوالاسلوب، اوأي تسمية يطلقونها عليها اسساً ومقومات تقوم عليها.

وتعد استراتيجية (TWA) من الموضوعات المهمة التي شغلت الباحثين القدامى منهم والمحدثين، لما لها من اهمية بالغة في ايجاد وجوه التقارب في المعاني والصفات بين عنصرين (شيئين) اواكثر، والتماثل في الادب العربي موجود قبيل الاسلام وبعده ، لذلك نجد أن القرآن الكريم يحفل بالكثير من آيات الذكر الحكيم التي خاطب فيها الباري عز وجل الناس من المؤمنين والكافرين بهذا الاسلوب بالترغيب تارةً وبالترهيب تارةً اخرى والامثلة على ذلك كثيرة ولكن لضيق المكان والتزاماً من الباحثين بتعليمات المؤتمر والتي تحدد عدداً ثابتاً لاوراق البحث نذكر هنا ثلاثة أمثلة فقط من الآيات القرآنية الكريمة تؤكد صحة ما ذهبنا اليه:

- قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿مثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَما أضاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨)﴾ (البقرة/ ١٧، ١٨).
- ﴿إن اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَها فَأما الذِينَ آمَنُوا

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنهُ الْحَقُ مِنْ رَبهِمْ وَأما الذينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بهذَا مَثَلاً يُضِلُ بِهِ كَثِيراً ويهدي به كثيراً وَمَا يُضَلُ بِهِ إلا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة/ ٢٦).

- ﴿مَثَلُ الذِينَ يُنفِقُونَ أموالهم في سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبةٍ أَنبَتَت سَبعَ سَنَابِلَ في كُلِ سنبُلَةٍ مائَةُ حَبةٍ والله يضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ واللهُ واسعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٦١)، صدق الله العلي العظيم.

وكما استعمل التماثل وهومن الظواهر التي تضرب في التأريخ قِدَماً فقد وجدت في الشعر العربي قبل الاسلام، مما يدل على ما نذكره ان ما وصل الينا من أقدم النصوص الشعرية، فمثلاً هذا (**النابغة الذبياني**)[٦] الذي قال في قصيدةٍ له:

كأنكَ شَمسٌ والملوكُ كواكبُ اذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَ كَوْكَبُ. (النابغة الذبياني، ٢٠٠٥م، ص٢٠).

اما الشاعر (**المتنبي**)[٧] المشهور بالحكم والامثال في شعره فهويستعمل التماثل عندما يمتدح علي بن منصور الحاجب[٨] في اجمل واروع وابهى صورة في قصيدةٍ له عنوانها (**أَسدٌ فرائسه الاسود**) قال فيها:

كالبَدْرِ من حَيثُ التفتَّ رَأيْتَهُ ... يُهْدي الى عَيْنَيكَ نُوراً ثاقِباً

كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهراً ... جُوداً وَيَبْعَثُ للبَعيدِ سحائبا

كالشمسِ في كَبِدِ السماءِ وضوؤها ... يغشى البِلادَ مَشارِقاً وَمَغارِبا

(المتنبي، ١٩٨٦م، ص٢٥٧)

أساليب التدريس باستراتيجية (TWA):

لقد حدد (**عبدالسلام**) ثلاثة أساليب للتدريس باستعمال استراتيجية

(TWA) وهي على النحو الاتي:

١. **(التدريس العرضي التفسيري)** وهو: أسلوب يعتمد اعتماداً كلياً على المدرس اذ يقدم التماثل ويشرح العلاقات ويحدد اوجه التماثل والاختلاف بين المفهوم الادبي ومماثله، أما الطالب فيكون دوره سلبياً اذ لا يمارس أي نشاط عقلي الا مشاركة قليلة في نهاية الدرس.

٢. **(التدريس الموجه)** هو: أسلوب يعتمد على المدرس والطلبة اذ يُعرض المفهوم المراد شرحه وينتقي المماثل المناسب للمفهوم، وتعطى الفرصة للطلبة لاستنتاج نقاط التماثل والاختلاف بينهما ثم المقارنة والتفسير ويتم ذلك بإشراف المدرس وتوجيهه.

٣. **(التدريس بتقديم الطلبة للمماثلة)**: وهوأسلوب يعتمد على الطلبة يتم فيه تقديم المتماثل به من طريق الطلبة انفسهم وهذا الاسلوب فعال في التدريس وخاصةً عند الطلبة الذين لديهم قدرة على التخيل. (عبدالسلام، ٢٠٠١م، ص١٣٨، ١٣٩).

ويرى **(الباحثان)** أن التدريس على وفق استراتيجية **(TWA)** يساعد على إضفاء التشويق والحيوية للدرس، ويجعل الطالب منشداً الى الدرس ومنجذباً اليه، لما لهذه الاستراتيجية من خطوات محددة ومتبعة ومتسلسلة تسلسلاً منطقياً، على أن لا نغفل دور المدرس واسلوبه الخاص في تفعيل هذه الخطوات، مما قد يزيد من ايصال الموضوع اوالمادة المراد افهامها للمتعلمين بيسر وسهولة.

المفاهيم:

تلعب مفاهيم الفرد دوراً رئيساً في كيفية ادراكه وتنظيمه للأشياء من حوله، وهي بمثابة قوانين تحدد الكيفية في الادراك والتنظيم اذ تصبح جزءً من خبرته، ويعد اكتساب المفاهيم من خلال العملية التعليمية/ التعلمية أمراً ضرورياً فكل طالب يجب أن يحصل على عدة مفاهيم وصور ذهنية عما يدور في الحياة حتى تصبح العملية التعليمية ذات معنى، والمفهوم هوفكرة مجردة ناتجة عن الاستدلالات الذهنية المنظمة التي يكونها الفرد من جراء تفاعله مع الاشياء والحوادث، وتعد الحقائق والمفاهيم اساس المعرفة الإنسانية بالنسبة للطلبة في جميع مستوياتهم، فالطلبة يتعلمون الحقائق المادية الحسية، والحقائق اللفظية، كما يتعلمون المفاهيم الحسية والمفاهيم المعرفية (المجردة) وهم يقومون بذلك في مراحل النماء المختلفة بقصد تنظيم خبرتهم وتصنيفها وإيجاد العلاقات بين عناصرها، وتشكل المفاهيم اللبنات الاساس لبناء المبادئ والنظريات وعمليات التفكير العليا، ولهذا كان كل جهد يبذل لتدريسها بالطرائق السليمة والمستوى اللائق من الاتقان استثماراً جيداً مرغوباً فيه ومفتاحاً لتعلم مهارات التفكير العليا. (الطيطي، ٢٠١٠م، ص ١١).

تدريس المفاهيم:

ان عملية تدريس المفاهيم تتطلب استعمال عدة استراتيجيات وطرائق واساليب وحتى وسائل تدريسية مختلفة كي يستعملها المدرسون لتدريس تلك المفاهيم، وذلك لأمرين أولهما ان المدرس نفسه يختلف في طريقة تدريسه لمفهومين

مختلفين، أما ثانيهما فهواختلاف الطريقة المناسبة في التدريس باختلاف طبيعة تلك المفاهيم، فقد تصلح استراتيجية اوطريقة اوأسلوب في تدريس مفهوم معين وقد لا تصلح ذات الطريقة في تدريس مفاهيم أخرى وذلك أمر وارد لاختلاف طبيعة تلك المفاهيم من حيث درجة صعوبتها وتركيبها واسسها المنطقية، لذلك فقد ظهرت عدة محاولات من قبل العلماء والتربويين لوضع نظرية ما لتطبيقها داخل حجرة الدراسة ومن هذه المحاولات أنموذج (برونر) الاستكشافي، و(هيلداتابا) الاستقرائي، وأنموذج (جانيه) الاستقرائي للمفاهيم المادية والاستنتاجي للمفاهيم المجردة، وأنموذج (كلوزماير) الاستنتاجي، وأنموذج (ميرل – وتينسون) الاستنتاجي أيضاً، وأنموذج (بياجيه) الذي يعرف بأنموذج الارتقاء المعرفي، وانموذج (اوزبل) الذي يعرف بأنموذج التعلم ذي المعنى. (التميمي، ٢٠٠٥م، ص ١٠٦، ١٠٧)

ويرى **(الباحثان)** ان المفاهيم لا تعد صوراً حقيقية مئة بالمئة للواقع بل انها تمثل رؤيتنا لهذا الواقع اوبمعنى ثانٍ انها تمثل صورنا نحن عنه، مع الاخذ بالحسبان ان مدلولات المفاهيم لا توجد جميعها بالطبيعة، أي ان ما ينقله الشاعر مثلاً عن صورة ذلك العصر لا تمثل عصر الشاعر بالكامل بل تمثل جزءً منه ونحن ننظر اليه بحسب رؤيتنا وتصورنا له، وعليه فان للمفاهيم اهمية بالغة في عملية التعلم اذ ان عملية التعليم تعتمد على الحقائق والمفاهيم والمبادئ التي يراد لها أن تصل الى المتعلم، وتفصيل المادة الدراسية الى مفاهيم قد يسهل من قراءتها عند الطلبة وقد يساعد على ايصال المادة الى المتعلمين بصورة افضل مما لوتركت غير مرتبة وغير مفصلة.

المحور الثاني: دراسات سابقة:

هناك عدة دراسات عراقية وعربية تناولت استراتيجية (TWA) واكتساب المفاهيم البلاغية تتجاوز خمس عشرة دراسة، الا ان التزام **(الباحثين)** بعدد صفحات البحث حسب تعليمات اللجنة المنظمة للمؤتمر حال دون ايرادها جميعاً، وعليه اقتصرت الدراسات السابقة على دراستين فقط تناولتا الاستراتيجية المذكورة في اعلاه، ودراستين آخرتين تتعلقان باكتساب المفاهيم البلاغية، لذلك اقتضى التنويه.

١. دراسة (القطراوي، ٢٠١٠م):

اجريت هذه الدراسة في فلسطين/ الجامعة الاسلامية، كلية التربية، ورامَت التعرف الى: (أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الاساسي).

وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة قصدية، والتي تكونت من شعبتين دراسيتين عدد كل منهما (٣٢) طالباً لتكون العدد الاجمالي للعينة هو (٦٤) طالباً، احداهما المجموعة التجريبية والاخرى الضابطة.

وقد تأكد **(الباحثان)** من تكافؤ المجموعتين من حيث: (العمر الزمني محسوباً بالشهور، والتحصيل الدراسي السابق في العلوم، تحصيل الاب، تحصيل الام، والاختبار القبلي).

وأعد **(الباحثان)** أدوات الدراسة وهي كالآتي:

أ. أداة تحليل محتوى وحدة المجهر والخلية من كتاب العلوم للصف الثامن الاساسي.

ب. اختبار عمليات العلم المكون من (٣٠) فقرة يقيس مهارات التعريف الاجرائي والتصنيف والتنبؤ.

ت. اختبار مهارات التفكير التأملي والذي يتكون من (٣٠) فقرة لقياس مهارات الرؤية البصرية والكشف عن المغالطات واعطاء التفسيرات المقنعة.

واعتمد (**الباحثان**) على الوسائل الاحصائية لمعالجة بيانات دراسته باستعمال: (معادلة كودر – ريتشاردسون ٢١): (Kuder and Richardson 21 Method)، واختبار (T-test) لعينتين مستقلتين، ومعامل مربع ايتا لبيان حجم التأثير والتأكد من حجم الفروق الناتجة هل هي فروق حقيقية أم تعود للصدفة.

وقد توصلت الدراسة الى النتائج الاتية:

١. توجد فروق ذوات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلاب في المجموعة التجريبية والمجوعة الضابطة في اختبار عمليات العلم تعود الى استعمال استراتيجية المتشابهات.

٢. توجد فروق ذوات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلاب في المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار التفكير التأملي تعزى لاستخدام استراتيجية المتشابهات.(القطراوي، ٢٠١٠م، ص ٢–١٣٥).

٣. دراسة (المحياوي، ٢٠١١م): أُجريت هذه الدراسة في العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، وهدفت الى تعرف: (أثر استراتيجية التدريس التبادلي والطريقة القياسية في اكتساب المفاهيم البلاغية لدى طلاب الصف الخامس الادبي).

اذ بلغ عدد أفراد العينة (٧٢) طالباً بواقع (٣٦) طالباً لكل مجموعة، تدرس

المجموعة التجريبية الاولى باستعمال استراتيجية التدريس التبادلي، في حين تدرس المجموعة التجريبية الثانية الطريقة القياسية.

كافأ الباحثان بين مجموعتي الدراسة في متغيرات: (العمر الزمني محسوباً بالشهور، واختبار القدرة اللغوية، والاختبار القبلي، وتحصيل الوالدين).

اعد الباحثان اختباراً بعدياً لمعرفة مدى اكتساب المفاهيم البلاغية مكوناً من (٣٠) فقرة، بواقع (٢٥) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ذي البدائل الاربعة (٥) فقرات من نوع المزاوجة.

استعمل الباحثان الوسائل الاحصائية التالية لمعالجة بيانات دراسته: (الاختبار التائي لعينتين مترابطتين، الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، معامل ارتباط بيرسون، معادلة سبيرمان براون التصحيحية، مربع كاي).

أسفرت نتائج الدراسة عن عدة نتائج منها:

أ. يوجد فرق ذودلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية الاولى التي تدرس بواسطة استراتيجية (التدريس التبادلي) في اختباري اكتساب المفاهيم القبلي والبعدي ولمصلحة البعدي.

ب. يوجد فرق ذودلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية الاولى التي تدرس بواسطة استراتيجية (الطريقة القياسية) في اختباري اكتساب المفاهيم القبلي والبعدي ولمصلحة البعدي. (المحياوي، ٢٠١١م، ص ١٠-١٣٨).

٤. **دراسة (الخزاعي، ٢٠١٢م)**: اجريت هذه الدراسة في العراق، جامعة القادسية/ كلية التربية، ورمت الى معرفة: (أثر التدريس باستراتيجية

المتشابهات على مهارات التفكير البصري والتحصيل في مبادئ الاحياء لدى طلاب الصف الاول المتوسط).

تكونت عينة الدراسة من (٢٥) طالباً للمجموعة التجريبية و(٢٦) طالباً للمجموعة الضابطة ليكون مجموع عينة الدراسة (٥١).

كوفئت المجموعتان في متغيرات: (العمر الزمني محسوباً بالشهور، والذكاء، والتحصيل السابق (امتحان نصف السنة لمبادئ الاحياء)، واختبار مهارات التفكير البصري).

أعد (الباحثان) أداتين: الاولى اختبار مهارات التفكير البصري وتألف من (٥٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ذي البدائل الاربعة، أما الاداة الثانية فهي اختبار تحصيلي تألف من (٣٠) فقرة البدائل الاربعة.

وقد اعتمد (الباحثان) في معالجة بيانات دراسته الوسائل الاحصائية الآتية: (معامل ارتباط بيرسون، ومعامل ارتباط (بوينت بايسيريال)، ومعادلة (كيودررتشاردسون) - ٢٠، ومعادلة (الفا كرونباخ)، وطريقة التجزئة النصفية، والاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين).

وأظهرت نتائج الدراسة تفوق اداء طلاب المجموعة التجريبيةعلى الضابطة في كل من مهارات التفكير البصري واختبار التحصيل. (الخزاعي، ٢٠١٢م، ص ٢-٧٦).

٥. **دراسة (العبودي، ٢٠١٢م)**: أُجريت هذه الدراسة في العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية التربية، وهدفت الى معرفة: (أثر استراتيجية لعب الادوار في اكتساب المفاهيم البلاغية واستبقائها لدى طالبات الصف الخامس الادبي).

تألفت عينة الدراسة من (٦٠) طالبة وزعن على مجموعتين، تكونت المجموعة التجريبية من (٣٠) طالبة تدرس المفاهيم البلاغية باستخدام استراتيجية لعب الادوار، اما الثانية فكانت الضابطة وعدد طالباتها مساوٍ للمجموعة التجريبية وتدرس المفاهيم البلاغية بالطريقة المتبعة.

كافأت الباحثة بين المجموعتين في المتغيرات الآتية: (اختبار (رافن) للذكاء، العمر الزمني محسوباً بالشهور، درجات الطالبات في مادة اللغة العربية للعام السابق، التحصيل الدراسي للوالدين).

ولغرض اختبار المفاهيم البلاغية واستبقائها عند طالبات عينة الدراسة في الموضوعات التي درستها الباحثة نفسها، اعدت اختباراً لقياس اكتساب المفاهيم البلاغية، تكون من (٣٠) فقرة وكان نوع الاختبار الاختيار من متعدد، والمزاوجة.

واستعملت الباحثة عدة وسائل احصائية لمعالجة بيانات دراستها: (الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين، مربع (كاي)، معامل ارتباط (بيرسون)، معادلة (سبيرمان براون) التصحيحية، الاختبار (التائي) لعينتين مترابطتين، معامل ارتباط (بونتبايسيريال)).

أسفرت نتائج الدراسة الى الآتي:

أ. وجود فروق ذوات دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية لعب الادوار والمجموعة الضابطة التي درست بالطريقة المتبعة في اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية ولمصلحة المجموعة التجريبية.

ب. لا يوجد فرق ذودلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة

التي درست باستعمال الطريقة المتبعة في الاختبارين البعدي والمؤجل في استبقاء المفاهيم البلاغية. (العبودي، ٢٠١٢م، ص ١٣-٨٨).

مؤشرات ودلالات من الدراسات السابقة:

١. مكان اجراء الدراسة:

اجريت الدراسات السابقة في العراق بواقع ثلاث دراسات، وفي فلسطين دراسة واحدة، أما البحث الحالي فقد اجري في جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الانسانية.

٢. الاهداف:

اتفقت الدراسات السابقة بأن تكون اهدافها هي معرفة أثر استراتيجيات مختلفة مثل: (المتشابهات، والتدريس التبادلي والطريقة القياسية، ولعب الادوار)، في مهارات التفكير البصري والتحصيل، اوتنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي، اواكتساب المفاهيم البلاغية)، اما البحث الحالي فقد رمى الى معرفة: (أثر استراتيجية (TWA) في اكتساب المفاهيم البلاغية عند طلاب الصف الخامس الادبي).

٣. حجم العينة:

انحصرت احجام العينات التي اخضعتها الدراسات السابقة للتجربة، بين (٥١-٧٢)، والبحث الحالي فان حجم عينته هو (٦٠) طالباً.

٤. المرحلة الدراسية:

تشابهت الدراسات السابقة في المراحل الدراسية التي طُبِقَتْ فيها التجربة، فطبقت جميعاً في المرحلة الثانوية ولكن في صفوف مختلفة فكانت دراستين في (الخامس الادبي) ودراسة واحدة في الصف (الاول متوسط) ودراسة واحدة في (الثامن الاساسي)، أما البحث الحالي فقد تشابه، مع دراستين، كونه سيطبق على المرحلة الاعدادية (الصف الخامس الادبي).

٥. الجنس:

اعتمدت الدراسات السابقة على جنسي الذكور والاناث في تطبيق تجاربها، فكانت ثلاث دراسات على جنس الذكور ودراسة واحدة شملت الاناث، والبحث الحالي شمل جنس الذكور.

٦. المادة العلمية:

اعتمدت الدراسات السابقة على مواد مختلفة مثل (الاحياء، العلوم، اللغة العربية) في تطبيق دراستها، وبالنسبة للبحث الحالي فانه سيطبق في اللغة العربية وتحديداً في البلاغة والتطبيق.

٧. أداة البحث:

اتفقت الدراسات السابقة على استعمال الاختبارات والمقاييس، لتحقيق اهدافها، والبحث الحالي اعتمد على اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية المعد من قبل. (العبودي، ٢٠١٢م).

٨. الوسائل الاحصائية:

اجمعت الدراسات السابقة على استعمال الوسائل الاحصائية الآتية: (الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين، معامل ارتباط (بيرسون)، معادلة (سبيرمان براون) التصحيحية، ومعامل الصعوبة، والقوة التمييزية، وفعالية البدائل الخاطئة)، والبعض من هذه الدراسات بالإضافة الى ما ذكر من الوسائل الاحصائية فاستعملت ما يأتي: والبحث الحالي يتفق معها.

٩. النتائج:

توصلت الدراسات السابقة الى تفوق المجموعات التجريبية جميعها على المجموعات الضابطة، أما البحث الحالي، فسيتم عرض وتفسير نتائجه، وذلك في الفصل المخصص لها وهوالفصل الخامس.

الفصل الثالث

(منهجية البحث وإجراءاته)

أولاً: التصميم التجريبي (experimental design):

ان اول عمل يواجه (الباحثين) هواختيار التصميم التجريبي المناسب لبحثهما، وبحسب البحث الحالي فان افضل تصميم يناسب البحث الحالي هوالتصميم التجريبي العشوائي الثابت وكما موضح في جدول (١).

جدول (١)

التصميم التجريبي للبحث

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	الأداة
التجريبية	استراتيجية (TWA)	اكتساب المفاهيم البلاغية	اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية
الضابطة	الطريقة المعتمدة		

ثانياً: مجتمع البحث (Research Society):

يشمل البحث الحالي المدارس الثانوية والاعدادية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة، وللتعرف على مجتمع البحث، حصل (الباحثان) على كتاب تسهيل مهمة معنون الى المديرية المذكورة من جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية (٩)، وبناءً على هذا الكتاب زار أحد (الباحثين) المديرية

المذكورة في أعلاه وحصل على اعداد المدارس الثانوية والاعدادية التابعة لها موزعة بحسب الاقضية والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

أعداد المدارس الثانوية والاعدادية التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة موزعة بحسب الاقضية

ت	اسم القضاء	اعداد المدارس الثانوية التابعة له			اعداد المدارس الاعدادية التابعة له			المجموع
		بنين	بنات	مختلط	بنين	بنات	مختلط	
١	كربلاء/ المركز	٩	١٨	١	٢٢	١٨	٠	٦٨
٢	الهندية	٥	١٢	٢	٦	٣	٠	٢٨
٣	عين التمر	٢	١	١	٠	٠	٠	٤
٤	المجموع	١٦	٣١	٤	٢٨	٢١	٠	١٠٠

ثالثاً: عينة البحث (Research sample):

لما كان البحث الحالي يتطلب اختيار مدرسة واحدة من بين المدارس الإعدادية أوالثانوية في محافظة كربلاء المقدسة من بين مدارس الطلاب حصراً، على أن لا يقل عدد شعب الصف الخامس الأدبي فيها عن شعبتين، فقد اختيرت اعدادية الهندية للبنين في قضاء الهندية التابع للمديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة، وتتكون من شعبتين للصف الخامس الادبي، اختيرت شعبة (ب) لتمثل المجموعة التجريبية، وشعبة (أ) للمجموعة الضابطة، وبعد استبعاد الطلاب الراسبين بلغ العدد النهائي لطلاب المجموعتين (٣٠) لكل مجموعة، وكما هومبين في الجدول (٣).

جدول (٣)

عدد طالبات مجموعتي البحث التجريبية والضابطة قبل الاستبعاد وبعده

المجموعة	الشعبة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الطلاب المستبعدين	عدد الطلاب بعد الاستبعاد
التجريبية	ب	٣٥	٥	٣٠
الضابطة	أ	٣٩	٩	٣٠
المجموع		٧٤	١٤	٦٠

رابعاً: تكافؤ مجموعتي البحث (research group equivalence):

حرص (الباحثان) قبل البدء بالتجربة على تكافؤ مجموعتي البحث احصائياً في عدد من المتغيرات نذكرها هنا بمجرد الاشارة اليها فقط:

١. العمر الزمني للطلاب محسوباً بالشهور.

٢. التحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية للصف الرابع الأدبي.

٣. درجات اختبار (رافن) للذكاء.

٤. التحصيل الدراسي للآباء.

٥. التحصيل الدراسي للأمهات.

خامساً: ضبط المتغيرات الدخيلة (control the inner variables):

المتغيرات الدخيلة هي تلك المتغيرات التي يتوقع منها ان تؤثر في التجربة وفي نتائجها وبالتالي سيكون التغيير المتوقع الذي سيطرأ على المتغير التابع بسبب وجود هذه المتغيرات لا بسبب المتغير المستقل، وهي بالتالي بحاجة الى ضبط

وعلى النحو الآتي:

١. ظروف التجربة والحوادث المصاحبة.

٢. الاندثار التجريبي.

٣. الفروق في اختيار أفراد العينة.

٤. العمليات المتعلقة بالنضج.

٥. أداة القياس.

٦. الانحدار الإحصائي.

٧. أثر الإجراءات التجريبية: وشملت على ما يأتي:

أ. سرية البحث.

ب. المادة الدراسية.

ت. المدرس.

ث. توزيع الدروس.

ج. الوسائل التعليمية.

ح. بناية المدرسة.

خ. مدة التجربة.

سادساً: متطلبات البحث (research requirements):

يتطلب البحث الحالي إجراء ما يأتي:

١. تحديد المادة العلمية:

حُدِدَت المادة العلمية التي ستدرس في أثناء التجربة، وهي الموضوعات البلاغية والبالغة ستة موضوعات التي يتضمنها كتاب البلاغة والتطبيق المقرر تدريسه للصف الخامس الأدبي.

٢. اعداد الخطط التدريسية:

اعد (الباحثان) الخطط التدريسية المناسبة لتدريس موضوعات البحث خلال مدة التجربة، وتم عرض أنموذجين منها على مجموعة من الخبراء والمختصين في اللغة العربية وطرائق تدريسها، وبعد ان استأنس (الباحثان) بآراء الخبراء والمحكمين وأخذوا بالكثير من ملاحظاتهم وتعديلاتهم، كتبت الخطتان بصورتهما النهائية.

٣. صياغة الأهداف السلوكية:

بعد الرجوع الى موضوعات المادة التي اخضعت للتجربة، وقراءة الاهداف العامة التي وضعتها وزارة التربية لتدريس مادة البلاغة والتطبيق للصف الخامس الادبي(١٠)، وبما أن مادة البلاغة والتطبيق تدرس لأول مرة لذلك سيعتمد (الباحثان) في صياغتهما للأهداف السلوكية على تصنيف بلوم في مستوياته الاربعة وهي: (المعرفة، والفهم، والتطبيق، والتحليل)، فليس هناك تركيب اوتقويم، وعليه صاغ (الباحثان) اهدافاً سلوكيةً ملائمة لموضوعات التجربة.

٤ . اعداد اداة البحث:

من متطلبات البحث الحالي اعداد اوتبني اختبارٍ لاكتساب المفاهيم البلاغية، لذلك وبعد اطلاع (الباحثين) على بعض الدراسات السابقة ذوات الصلة بالدراسة الحالية تم الاعتماد على الاختبار الذي اعدته (العبودي، ٢٠١٢م) لاكتساب المفاهيم النقدية، وهواختبار يتكون من (٢٥) فقرة اختبارية من نوع الاختيار من متعدد ذي البدائل الاربعة، و(٥) فقرات للمزاوجة، ولان الاختبارات الموضوعية تتصف بعدة مواصفات منها، الموضوعية والدقة في التصحيح، وعدم التشبع بالذاتية وعاملي الصدفة والتخمين، والذي تتصف به بقية الاختبارات الاخرى، لذلك وبناءً عليه وقع الاختيار على هذا الاختبار، وعلى الرغم من أن الباحثة قد عَرَضَتْ الاختبار، لعوامل الصدق والثبات الا ان (الباحثين) عَرَضاه لهذه العوامل ايضاً، وقد اتصف الاختبار بالصدق والثبات، أما بالنسبة لمعرفة وضوح فقرات الاختبار والزمن المستغرق له فقد اعتمد (الباحثان) على عينة مكونة من (٥٠) طالباً في ثانوية (الفرات) للبنين، وقد اتضح ان فقرات الاختبار واضحة والوقت المستغرق للاختبار انحصر بين (٣١- ٣٨) وهوزمن اختبار مناسب لوقت الحصة الدراسية، وبالنسبة لعينة التحليل الاحصائي، والتي تهدف الى معرفة معامل صعوبة الفقرات وسهولتها، والقوة التمييزية بين الفقرات، وفعالية البدائل المخطوءة، فقد اعتمد (الباحثان) على عينة مكونة من (١٠٠) طالب من طلاب ثانويتي (العباس والمباهلة) للبنين، لحساب ذلك، واتصفت الفقرات بكونها ذوات معاملات صعوبة جيدة جداً، ومميزة بين فقراتها، وذوات فعالية عالية في بدائلها المخطوءة.

٥. تطبيق التجربة:

تمت المباشرة بتطبيق التجربة في يوم الاربعاء الموافق: ٩/ ١٠/ ٢٠١٣م، تم تكليف أحد مدرسي مادة اللغة العربية في تطبيق التجربة بعد إخباره بكيفية تطبيقها، وعند البدء بتطبيق التجربة، واستمرت التجربة (سبعة) أسابيع لتنتهي في يوم الاربعاء الموافق: ٢٧/ ١١/ ٢٠١٣م، وفي نهاية التجربة أخبر (المدرس المكلف) الطلاب بموعد الامتحان وهوالاسبوع القادم بعد نهاية التجربة، وكان الاختبار في يوم الاربعاء: ٤/ ١٢/ ٢٠١٣م، الدرس الثاني، وتشابهت الشعبتان في نفس الظروف الفيزيقية من تهوية وإنارة ومساحة الصف الواحد وعدد مقاعد الدراسة، والوقت المحدد للامتحان، وأشرف (الباحثان) بنفسهما على سير الاختبار، وبمساعدة مدرسي اللغة العربية في اعدادية (الهندية) للبنين، ولم يشُب الاختبار اي منغصات تعكر صفوه.

سابعاً: الوسائل الإحصائية (statistical means):

استعمل (**الباحثان**) عدة وسائل احصائية لمعالجة بيانات بحثهما وهي كما يأتي:

١. الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين، واستعمل لحساب التكافؤ بين مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في: (العمر الزمني محسوباً بالشهور، درجات اللغة العربية، واختبار الذكاء)، وفي حساب نتائج اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية.

٢. مربع كاي (كـا[٢])، واستعمل في حساب التكافؤ بين المجموعتين، في التحصيل الدراسي للآباء والامهات.

٣. معامل ارتباط (بيرسون)، لحساب ثبات الاختبار بطريقة التجزئة النصفية

٤. معادلة (سبيرمان براون) التصحيحية، لحساب معامل الثبات المستخرج بطريقة التجزئة النصفية.

٥. معامل الصعوبة، لحساب معاملات صعوبة فقرات الاختبار.

٦. معامل السهولة، لحساب معاملات سهولة فقرات الاختبار.

٧. معامل تمييز الفقرة، لحساب معاملات القوة التمييزية لفقرات الاختبار.

٨. فعالية البدائل المخطوءة، لحساب فعالية البدائل المخطوءة لفقرات الاختبار.

الفصل الرابع

(عرض النتائج وتفسيرها والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات)

يتضمن هذا الفصل عرضاً لنتيجة البحث وتفسيراً لهذه النتيجة والاستنتاجات التي توصّل لها (الباحثان) وتوصياتهما، ومقترحاتهما في نهاية البحث.

اولاً: عرض النتيجة: (Result Presentation)

لغرض التثبت من الفرضية الصفرية الأولى التي تنص على انـه: ليس هناك فرق ذا دلالـة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة البلاغة والتطبيق استراتيجية (TWA):، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة (المعتمدة) في اكتساب المفاهيم البلاغية، وباستعمال الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين (T-test)، قارن (**الباحثان**) بين متوسط درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية ، وباستخراج المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية البالغ (٢٨)، والانحراف المعياري بلغ (١,١٧٤)، أما للمجموعة الضابطة فبلغ المتوسط الحسابي (١٧,٢٠٠)، وانحرافها المعياري (٢,٨٦٩)، وبلغت القيمة (التائية) المحسوبة (١٩,٠٧٨) وهي أكبر من الجدولية التي بلغت بدورها (٢)، عند مستوى دلالة

(٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٨)، والجدول (٤) يوضح ذلك.

الجدول (٤)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة (التائية) المحسوبة والجدولية بين درجات الاختبار والدلالة الإحصائية للمجموعتين (التجريبية والضابطة) في اختبار اكتساب المفاهيم البلاغية

المجموعة	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة عند المستوى (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٢٨	١,١٧٤	٥٨	١٩,٠٧٨	٢	دالة احصائياً
الضابطة	٣٠	١٧,٢٠٠	٢,٨٦٩				

وعند مراجعة الجدول في اعلاه نلاحظ أن الفرق بين متوسطي المجموعتين ذو دلالة إحصائية لمصلحة المجموعة التجريبية التي دُرست استراتيجية **(TWA)** في اكتساب المفاهيم البلاغية وبالتالي ترفض الفرضية الصفرية.

ثانياً: تفسير النتيجة: (Result Interpretation):

يرى (**الباحثان**) أن تفوق المجموعة التجريبية التي دُرِسَتْ باستعمال استراتيجية **(TWA)** نابع من الميزات التي تتصف بها هذه الاستراتيجية وهي:

١. تحث الطلاب على النظر الى المشكلة وعناصرها، وكأنها غريبة جداً عنهم، وليست مألوفة لديهم وان ينظروا اليها من وجهات نظر عدة.
٢. تساعد على تشجيع الطلاب المشاركين في التدريس على جعل جميع العناصر الغريبة في المشكلة عناصر مألوفة.
٣. تعمل على تدريب الطلاب المشاركين في تفسير المشكلة على استعمال أدوات

تساعد في الوصول الى تفسير المشكلة وحلها.

٤. تشجع الطلاب على استعمال المجازات والاستعارات القياسية بين ظاهرتين مختلفتين.

وجاءت هذه النتيجة متفقة مع بقية الدراسات السابقة التي أكدت تفوق المجموعات التجريبية التي استعملت استراتيجية (TWA)، على المجموعات الضابطة كدراسة (القطراوي، ٢٠١٠م) ودراسة (الخزاعي، ٢٠١٢م)، أما بالنسبة لاكتساب المفاهيم البلاغية فقد أثبتت هذه الاستراتيجية فعاليتها في اكتساب طلاب المجموعة التجريبية، للمفاهيم البلاغية وهذا ما يتفق مع دراسة (المحياوي، ٢٠١١م)، ودراسة (العبودي، ٢٠١٢م) واللتان أكدتا هذا الاكتساب باستعمال استراتيجيات مختلفة.

ثالثاً: الاستنتاجات (Conclusions):

في ضوء نتائج البحث الحالي يستنتج (الباحثان) الآتي:

١. الأثر الايجابي الذي تركته، استراتيجية (TWA)، ضمن الحدود التي اجري فيها البحث الحالي، بوصفها استراتيجية للتدريس في زيادة اكتساب الطلاب للمفاهيم البلاغية مقارنة بالطريقة (المعتمدة).

٢. تشجيع التدريس بهذه الاستراتيجية للطلاب ساعد على حرية طرح التساؤلات وإثارتها، ومشاركتهم الايجابية خلال الدرس، ويعد ذلك مؤشراً لحصولهم على الدافع الداخلي للتعليم، وبالتالي تفوقهم على المجموعة الضابطة.

٣. تحول الدرس باستعمال هذه الاستراتيجية من التعقيد إلى البساطة والسهولة

والحيوية، ويبقى المدرس المسؤول عن التوجيه والارشاد فقط.

رابعاً: التوصيات (Recommendation):

في ضوء النتائج التي توصل إليها هذا البحث يوصي (**الباحثان**) بما يأتي:

١. اعتماد استراتيجية **(TWA)** كاستراتيجية فعالة في اكتساب المفاهيم البلاغية.
٢. الإفادة من مزايا استراتيجية **(TWA)** في تدريس فروع اللغة العربية الأخر مثل (النحو، والادب، والتعبير... الخ).
٣. حث مدرسي ومدرسات اللغة العربية على ايلاء المفاهيم البلاغية اهتماماً اكبر عند الطلاب بدلا من التلقين والاستظهار الاصمين.
٤. اعداد دورات تطويرية لمدرسي اللغة العربية ومدرساتها، بإشراف اساتذة اكفاء متخصصين بطرائق تدريس اللغة العربية ومناهجها، لتزويدهم بآخر المستجدات والتطورات في الاستراتيجيات وطرائق التدريس الحديثة ومنها الاستراتيجيات القائمة على النظرية البنائية ومنها استراتيجية **(TWA)**.
٥. على واضعي المناهج الدراسية، وتحديداً منهج البلاغة والتطبيق في الصف الخامس الادبي الانتفاع من هذه الاستراتيجية في بناء منهج المادة المذكورة في اعلاه.

خامساً: المقترحات (Propositions):

استكمالاً للبحث الحالي يقترح (الباحثان) ما يلي:

١. دراسة مماثلة للبحث الحالي تطبق على الجامعة.
٢. دراسة مماثلة للبحث الحالي تطبق على الطالبات.

٣. دراسة مماثلة للبحث الحالي لمعرفة أثر استراتيجية **(TWA)** على متغيرات أخر كالتفكير الابداعي والناقد والاستدلالي والمهارات ما بعد المعرفية، وتنمية اتجاهات الطلبة، وانتقال أثر التعلم... الى غير ذلك، واستعمالها في فروع اللغة العربية.

٤. دراسة موازنة لمعرفة اثر تدريس المفاهيم البلاغية باستعمال استراتيجية **(TWA)** ومقارنتها باستراتيجيات تدريسية أخرى منبثقة عن النظرية البنائية.

الهوامش

(١) ابومنصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري، وجاء لقبه بالثعالبي لان والده كان فراء بجلد الثعالب، ولد في نيسابور سنة (٣٥٠ هـ، وتوفي سنة ٤٢٩ هـ) ولاخلاف في سنة وفاته الا عند القليلين، ارسله ابوه الى الكتاتيب منذ صغر سنّه، ومن اساتذته (ابوبكر الخوارزمي، واحمد الخطابي)، لقب بجاحظ نيسابور، له عدة مؤلفات مطبوعة منها: (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، فقه اللغة وسر العربية، الاعجاز والايجاز، لطائف الظرفاء، الاشباه والنظائر... الخ) أما مؤلفاته المفقودة فهي عديدة منها: (الاصول في الفضول، بهجة المشتاق، جواهر الكلم، ديوان شعر الثعالبي، سيرة الملوك... الخ). (الثعالبي، ١٩٩٩م، ص ١٣-٢٦).

(٢) ابوالعباس شهاب الدين احمد بن علي بن احمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، المؤرخ الاديب، ولد في قرية قلشندة بمحافظة القيلوبية في مصر عام (٧٥٦هـ-١٣٥٥م) سماها (ياقوت قرقشندة)، درس في القاهرة والاسكندرية وبرع في الادب والفقة وذاع صيته في البلاغة والانشاء، اشتهر في موسوعة (صبح الاعشى في صناعة الانشا)، له عدة مؤلفات منها: (مأثر الأناقة في معرفة الخلافة، نهاية الارب في معرفة قبائل العرب، قلائد الجمان في معرفة عرب الزمان «وهذان المؤلفان في الانساب»، مختصر صبح الاعشى، جلية الفضل وزينة الكرم «في المفاخرة بين السيف والقلم، وضوء الصبح المسفر... الخ) توفي عام (٨٢١هـ-١٤١٨م). (الزركلي، ١٩٨٠م ص ١٧٧).

(٣) علامة واستاذ لغة عربية عراقي، يعد احد عمالقة اللغة العربية المعروفين الذين خدموها وارسوا قواعدها، كان معلماً ومربياً ورائداً وأديباً وفناناً وفيلسوفاً، وبرغم كونه تركمانياً الا انه خدم اللغة العربية أكثر من لغتهِ الام (التركية)، ولد في محلة شعبية تسمى القشلة في الجانب الشرقي من بغداد عام (١٩٠٤م)، تعلم الابتدائية في الكتاتيب، أكمل دراستة ما بين (١٩٢١-١٩٢٤م) في دار المعلمين العالية حصل على بعثة لاكمال دراستة في

باريس، عرفة العراقيون من خلال برنامج (قل ولا تقل عام ١٩٦٩م)، من أهم مؤلفاته (المباحث اللغوية ١٩٦٠م، دراسات في فلسفة النحووالصرف واللغة والرسم ١٩٦٨م، قل ولا تقل، رسائل في النحوواللغة ١٩٦٩م، قصة خلف «مترجم عن الفرنسية» الشعور المنسجم «ديوان شعر»... الخ). (وكيبيديا، الموسوعة الحرة، مصطفى جواد، www. ar.wikipedia.org\wiki).

(٤) عالم نفس وفيلسوف سويسري، ولد عام ١٨٥٦م عن أب سويسري هوآرثر بياجيه وام فرنسية هي ربيكيا جاكسون، طور نظرية التطور المعرفي عند الاطفال فيما يعرف بعلم المعرفة الوراثية، أنشأ بياجيه مركز المعرفة الوراثية في جنيف وترأسه حتى وفاته عام ١٩٨٠م، كتب مقالته الاولى وهوفي سن الثالثة عشر من عمره، من مؤلفاته (اللغة والفكر عند الاطفال ١٩٢٣م، والحكم والاستدلال عند الطفل ١٩٢٤م.

(٥) ولد أفرام نعوم فيجوتسكي في السابع من ديسمبر عام ١٩٢٨م، في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكية، وكان والده وليام ١٨٩٧م، عالماً معروفاً في اللغويات تتلمذ فيجوتسكي وتلقى تعليمه في احدى مدارس ديوايت ثم جامعة بنسلفانيا على يد ريليج هاريس استاذ اللغويات المعروف، بعدها تزوج من اللغوية كارل ستاتز عام ١٩٤٩م، كانت رسالته في الماجستير تحمل عنوان (دراسة التركيب الصوتي للوحدات الصرفية في اللغة العبرية الحديثة) وهي المحاولة الاولى لبناء قواعد النحوالتوليدي، حصل على شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغويات والفلسفة عام ١٩٥٥م، ثم تعين استاذاً جامعياً بقسم اللغويات الحديثة بمعهد ماستشوس للتكنلوجيا عام ١٩٦١م، هوصاحب النظرية التوليدية التحويلية في اللغة بين عامي ١٩٨٠م و١٩٩٢م، يعتقد انه لا يزال حياً ويبلغ من العمر ٨٥ سنة. (العصلي، ١٩٩٩م، ص ٤٩).

(٦) ابوامامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، ولُقِبَ بالنابغة لانه نبغ في قول الشعر، بعد ان اسن واحتنك، ولقب النابغة لشعراء عدة منهم (الجعدي، والشيباني، والذبياني وغيرهم) طبع ديوانه أكثر من مرة وعلى يد أكثر من مستشرق (النابغة الذبياني، ٢٠٠٥م، ص٥).

(٧) ابوالطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن مرة بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة في محلة تسمى كندة فنسب اليها عُرِفَ في فنون الادب جميعها الا انه اشتهر وكان كثير الحفاوة بالحكم والامثال. (المتنبي، ١٩٨٦م، ص ٣).

(٨) ابوالقاسم بن أبي الحسن، أصله من حماه، ولد ونشأ وتوفي بمصر، من الشعراء المتصوفين، توفي في القاهرة سنة ٦٣٢هـ.

(٩) التزاماً من (**الباحِثَيْنْ**) بتعليمات اللجنة المنظمة للمؤتمر، التي تحدد رقم معين لصفحات البحث، لم يضع (الباحثان) الملاحق في نهاية البحث بل اكتفيا بالإشارة اليها فقط وهي موجودة لمن يرغب بالاطلاع عليها.

(١٠) تدرس هذه المادة في الصف الخامس الادبي فقط ولا تدرس في اي صف آخر قبله، لذلك فإن الاهداف العامة التي توضع لتدريسها، توضع لصف واحد لا لمرحلة كاملة كبقية المواد الاخرى مثل (القواعد، والادب، والتعبير... الخ).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابن منظور (ت ٧١١هـ): لسان العرب، نشرة آداب الحوزة، قم، ايران، ١٤٠٥هـ.

٢. ابوجادو، صالح محمد، ومحمد بكر نوفل: تعليم التفكير النظرية والتطبيق، ط١، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠٠٠م.

٣. الاستربادي، رضي الدين (ت ٦٨٦هـ): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن وآخرَيْن، ب. ط، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.

٤. اسماعيل، زكريا: طرق تدريس اللغة العربية، ط١، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ٢٠١١م.

٥. الاصبهاني، ابونعيم (ت ٤٣٠هـ) صفة الجنة، تحقيق: علي رضا، ب. ط، دار المأمون للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.

٦. الاغا، ايمان إسحاق: اثر استخدام استراتيجية المتشابهات في اكتساب المفاهيم العلمية والاحتفاظ بها لدى طالبات الصف التاسع الاساسي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، غزة، فلسطين، ٢٠٠٧م.

٧. الآمدي، الحسن بن بشر: الموازنة بين ابي تمام والبحتري، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، ب. ط، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ب. ت.

٨. التميمي، ميسون علي جواد: اثر دورة التعلم وخرائط المفاهيم في اكتساب المفاهيم النحوية وتنمية الاتجاه نحو المادة لدى طالبات معاهد اعداد المعلمات، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، ٢٠٠٥م.

٩. الثعالبي، ابومنصور عبدالملك بن بكر (ت ٤٢٩هـ)، فقة اللغة وسر العربية، ب. ط، مطبعة محمد للتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٣٦م.

١٠. الجعافرة، عبدالسلام يوسف: مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها بين النظرية

والتطبيق، ط١، مكتبة المجتمع العربي للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠١١م.
١١. جواد، مصطفى: قل ولا تقل، ط١، مطبعة اسعد للتوزيع والنشر، بغداد، العراق، ١٩٧٠م.
١٢. الخزاعي، قاسم طالب شمران: أثر التدريس باستراتيجية المتشابهات على التفكير البصري والتحصيل في مبادئ الاحياء لدى طلاب الصف الاول متوسط، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة القادسية، العراق، ٢٠١٢م.
١٣. ديك، ولتر؛ وروبرت، ريزر: التخطيط للتعليم الفعال، ترجمة محمد ذيبان عزاوي، ط١، عمان، ١٩٩٢.
١٤. زيتون، حسن حسين، وكمال عبدالحميد زيتون: التعلم والتدريس من منظور البنائية، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.
١٥. الساعدي، عمار جبار عيسى: أثر توظيف برنامج الكورت في اكتساب المفاهيم البلاغية وتنمية المهارات النقدية عند طالبات معاهد اعداد المعلمات، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، العراق، ٢٠١٢م.
١٦. سليمان، ساجدة داوود: اثر الاستقصاء التعاوني في تحصيل مادة النقد الادبي والاحتفاظ به لدى طلبة المرحلة الثالثة في قسم اللغة العربية، (اطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٨م.
١٧. شحاته، حسن، وزينب النجار: معجم المصطلحات النفسية عربي–انكليزي، انكليزي – عربي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.
١٨. طوالبة، هادي وآخرون: طرائق التدريس، ط١، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الاردن ٢٠١٠م.
١٩. الطيطي، محمد حمد: البنية المعرفية لاكتساب المفاهيم تعلمها وتعليمها، ب. ط، دار الامل للطباعة والنشر، اربد، الاردن ٢٠١٠م.
٢٠. عاقل، فاخر: معجم العلوم النفسية، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
٢١. عبدالسلام، عبدالسلام مصطفى: الاتجاهات الحديثة في تدريس العلوم، ط١، دار الفكر العربي، المنصورة، مصر، ٢٠٠١م.

٢٢. عبدالصاحب، اقبال مطشر، واشواق نصيف جاسم: ماهية المفاهيم واساليب تصحيح المفاهيم المخطوءة، ط١، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠١٢م.
٢٣. عبدالهادي، حسين: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
٢٤. العبودي، رغد ريسان صخي: أثر استراتيجية لعب الادوار في أكتساب المفاهيم البلاغية واستبقائها لدى طالبات الصف الخامس الادبي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠١٢م.
٢٥. عطية، محسن علي: الكافي في اساليب تدريس اللغة العربية، ط٢، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠٠٩م.
٢٦. علي، محمد السيد: موسوعة المصطلحات التربوية، ط١، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠١١م.
٢٧. فخري، أثير رعد (٢٠١٢): أثر أنموذج ويتلي في اكتساب المفاهيم النحوية عند طالبات الصف الاول المتوسط، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، العراق.
٢٨. قطامي، يوسف محمود: استراتيجيات التعلم والتعليم المعرفية، ط١، دار الميسرة للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠١٣م.
٢٩. القطراوي، عبدالعزيز جميل عبدالوهاب: أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الاساسي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، الجامعة الاسلامية – غزة، فلسطين، ٢٠١٠م.
٣٠. القلقشندي، ابوالعباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ): صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج١، المطبعة الاميرية، القاهرة، مصر، ١٩١٣م.
٣١. القواسمة، احمد حسن، ومحمد احمد ابوغزلة: تنمية مهارات التعلم والتفكير والبحث، ط١، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠١٣م.
٣٢. المتنبي، ابوالطيب احمد بن الحسين بن الحسن الكوفي: ديوانه، ت: عبدالرحمن البرقوقي، ج١، ط١، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
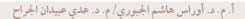
٣٣. محمد، السيد علي: مصطلحات في مناهج وطرق التدريس، ط١، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ٢٠٠٤م.
٣٤. مجاور، محمد صلاح الدين: تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية اسسه وتطبيقاته التربوية، ط٦، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
٣٥. المحياوي، حيدر عبدالحسين خضير: أثر استراتيجية التدريس التبادلي والطريقة القياسية في اكتساب المفاهيم البلاغية لدى طلاب الصف الخامس الادبي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠١١م.
٣٦. مدكور، علي احمد: تدريس فنون اللغة العربية، ط١، دار الشواف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩١م.
٣٧. النابغة، امامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني: ديوانه، ت: حمدوطماس، ط٢، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.
38.Duit, R, on the Role of Analogis and metaphors in learning science Education. 75 (6) 1991.
39.Webstser, Third New Lntemationary Of English Language, 1971.

باب التراث الفني والجمالي

Art Heritage Aesthetic Section

الوحدات الهندسية المنفذة على العناصر العمارية للعتبة الحسينية المقدسة

The Geometrical Units Applied on the Architectic Element of Imam Husain' s Holy Shrine

أ. م. د. محمد علي علوان
م. م. مها فؤاد محمد الطائي

جامعة بابل

كلية الفنون الجميلة

قسم الفنون التشكيلية

Asst. Prof. Dr. Muhammad Ali Alwan
Asst. lecturer Maha Fuad Al-Taiy

Babylon University

College of Fine Arts

Department of Plastic Arts

الملخص:

تناولت هذه الدراسة الوحدات الهندسية المنفذة على العناصر العمارية للعتبة الحسينية المقدسة. فقد هيمنت النزعة الهندسية على نتاجات الفن الإسلامي بكافة أجناسه (في الزخرفة، التصوير، الخزف، الخط العربي، والعمارة، وغيرها من الفنون الحرفية والصناعية الأخرى)، وكان فن العمارة الإسلامية ومنها (البناء المعماري للعتبة الحسينية المقدسة) يلامس جوهر النظم الهندسية، في الأشكال والصياغات والمعالجات البنائية التي تعتري طبيعة التشكيل المعماري لمفردات العمارة الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة، كالقباب والمآذن، والأعمدة والتيجان والمقرنصات والأبواب والشبابيك، والمحاريب، والعقود، والتي مثلت علامات فارقة في أنظمة العمارة بكافة أنواعها في العالم.

حيث احتوت الدراسة على اربعة فصول، اهتم الفصل الاول بالاطار المنهجي للبحث والمتمثل بمشكلة البحث التي اهتمت بالكشف عن المفردات العمارية ذات النزعة الهندسية في العتبة الحسينية المقدسة في كربلاء. وايضا تضمن البحث الاهمية والحاجة اليه والهدف الموسوم: (كشف الوحدات الهندسية المنفذة على العناصر العمارية للعتبة الحسينية المقدسة) فضلا عن تعريف لبعض المصطلحات الخاصة بالبحث.

في حين تضمن الفصل الثاني الاطار النظري الذي تمثل بمبحثين، الاول

جاء بعنوان: (معطيات النظام الهندسي والزخرفة الاسلامية). وما يتضمنه من مناقشة فكرة التوحيد والفن الاسلامي وعرض العناصر الزخرفية (الكتابية، النباتية، الادمية والحيوانية - الهندسية) فضلا عن النظام الهندسي ودلالة الاشكال الهندسية في الفن الاسلامي.

والمبحث الثاني تضمن العناصر العمارية ومفرداتُها وخصائصها الجمالية في العتبة الحسينية المقدسة أنموذجاً، والذي انقسم على اربعة محاور الاول حول مفهوم العمارة العربية الاسلامية وخصائصها والثاني حول العناصر التكوينية للفنون العمارية الاسلامية والثالث حول البناء العماري للأضرحة والرابع البناء العماري للعتبة الحسينية المقدسة.

فيما تضمن الفصل الثالث اجراءات البحث وصولا الى الفصل الرابع الذي احتوى على النتائج والاستنتاجات والمقترحات والتوصيات وثبت المصادر.

Abstract

The present study dealt with the geometrical units applied on the architectic components of Imam Husain's holy shrine. The geometric touch marked all the outputs of the Islamic art of all its types (decoration, picturing, pottery, Arabic handwriting, architecture, and the other handicraft and manufacturing arts). The Islamic architecture art such as (the architectic building of Imam Husain's holy shrine) reflects and touches the essence of the geometric systems, in the shapes in the formations and in the structural treatments which strike or happen to the nature the architectic formation of the items of the Islamic architecture in Imam Husain's holy shrine such as the domes, the minarets, the pillars, the crowns, the shaped bricks, the doors, the windows, places of prayer and the contracts which were considered identifying marks in the architectic systems of all its types in the world.

The study consisted of four sections. Section one dealt with the method logical framework of the research

represented by the problem of the research which focused on detecting the architectic items which have been of a geometrical trend in Imam Husain's holy shrine in Karbala.

The research also included the importance and the need for it and also the aim (Detecting the geometrical units performed on the architectic components of Imam Husain's holy shrine) in addition to defining some of the terms used in the research.

Section two, on the other hand, dealt with the theoretical framework which consisted of two subsections; the first has been entitled (Facts of the geometrical system and the Islamic decoration) together with discussing the idea of mono theism and the Islamic art and showing the decorative elements (documentary, botanical, human and animal, geometrical) together with the geometrical systems and the significance of the geometrical forms in the Islamic art.

The second subsection dealt with architectic components and their items and the aesthetic features in Imam Husain's holy shrine as an example. This, in turn, was subdivided into four other subsections: the first was about the concept of the Islamic Arabic architecture and its characteristics; the

second was about the constructional elements of the Islamic architectic arts; the third was about the architectic building of the shrines while the fourth was about the architectic building or structuring of Imam Husain's holy shrine.

Section three dealt with the procedures used whereas section four included the results and conclusions together with the recommendations and the bibliography.

الفصل الاول

أولاً: مشكلة البحث

ترتبط الوحدات الهندسية مع المستوى العميق للفهم الجمالي، في نتاجات الفن عبر التاريخ، ومنها ما يتصل بتجارب الفن الإسلامي وتحديداً (فن الزخرفة الإسلامية) الذي شكّل هاجساً معرفياً متنامياً لدى الباحثين والمهتمين والمتذوقين لسبر أغوار الفكر المجرّد (اللامرئي)، الذي نتج عن المنظومة العقائدية للدين الإسلامي الحنيف، وكانت التأويلات والتحليلات بشأن هذا الموضوع، تبدو على وجهات نظر عديدة، فمنها ما يؤكد أن الفنان المسلم اتجه إلى التجريد الزخرفي، خشية الوقوع في حرمة تصوير الكائنات الحيّة (ذوات الأرواح)، وحتى لا يقع الشرك ومضاهاة الخالق (سبحانه وتعالى) في خلقه، ومنهم من خالف هذا الرأي، ووجد أن اعتناء الفنان المسلم بالوحدات المجردّة وبالتشكيلات البنائية الهندسية، نابع من فلسفة العقيدة الإسلامية ومؤثرات الأيمان بالله (سبحانه وتعالى) وبضرورة التقرّب منه وبوسائل مجرّدة وسامية وبعيدة عن ملذات الحياة، وهنالك وجهة نظر أخرى تتبنى الرأي القائل بأن الفنان المسلم اتجه إلى التجريد والبناء الهندسي، بسبب ميله الشديد إلى أن يملأ الفراغات والمساحات الكبيرة بعناصر زخرفية هندسية متكررة.

بيد أن حتمية الخطاب التجريدي الهندسي لدى الفنان المسلم، كانت تجد في صلاته مع الفكر العقائدي للدين الإسلامي، ما يجعلها أكثر مقبولية ومعقولية في مواقف الآراء المتعددة، ولذلك كانت اطر المعرفة اليقينية والعلمية تغذّي أطروحات الجمال لدى الفلاسفة المسلمين، الذين تعززت آراؤهم على وفق معطيات القرآن الكريم والتعاليم الدينية التي نزلت على المجتمعات الإنسانية، فضلاً عن تأثرهم بأطروحات الفلاسفة الإغريق، نتيجة التلاقح الفكري والثقافي بينهما.

من هنا كانت الابتكارات العمارية في العتبة الحسينية المقدسة، تمثل خلاصات إبداعية غير مألوفة، تقترن بتواصل القيم الروحية السامية، التي لا يمكن فصلها عن المناخ العقائدي والوجداني للإسلام، وحدث أن شهدت المفردات العمارية الإسلامية تكاملاً في طبيعة التشكيل البنائي كما يحدث بين القبة والمئذنة والأبواب والأعمدة وغيرها، وعزّز ذلك التكامل توظيف الوحدات الهندسية على تلك المفردات، توظيفاً متنوعاً من حيث المكونات والمتغيرات التقنية والأفكار والوعي بضرورة تنافذ الصيغ البنائية للوحدات الهندسية مع قيم الوحدة والتناسب والتماثل والتوازن والتكرار وإيجاد بعد تواصلي بينها، لتأكيد فاعلية العلاقات الجمالية الرابطة بين العناصر والأسس التنظيمية، والوقوف على اشتراطات الأثر الجمالي وخصوصية التعبير الهندسي.ومن هنا نشأت مشكلة هذا البحث من خلال الإجابة عن التساؤل الآتي: كيف تعامل الفنان المسلم مع الوحدات الهندسية المنفذة على المفردات العمارية للعتبة الحسينية المقدسة ؟

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه

تكمن أهمية هذا البحث بالآتي:

يهتم هذا البحث بقراءة المفردات العمارية الإسلامية للعتبة الحسينية المقدسة، قراءة تحليلية من منظور رؤيوي تشكيلي يكشف القيم الجمالية في بنياتها التصميمية المتنوعة.

١. يمثل محاولة لرصد جماليات العمارة العربية في إطارها الإسلامي والعقائدي والديني، وتقصّي معطياتها التصميمية، انطلاقاً من الصيغ البنائية والتعبيرية للعناصر والأسس التنظيمية الخاصة بالتشكيل الهندسي للعتبة الحسينية المقدسة.

٢. يُفصح هذا البحث عن تكاملية الصورة البصرية العمارية الإسلامية للعتبة الحسينية المقدسة عبر جانبين مهمين: جمالي ووظيفي، وهو تسويغ لبواعث الأثر الوجداني والروحي الذي تعززه جماليات العمارة الإسلامية.

٣. يفيد هذا البحث المهتمين بالعمارة الإسلامية وطلبة الفن والباحثين المتذوقين من خلال الإطلاع على نتائج البحث والاستنتاجات.

٤. يرفد المكتبات المحلية والعربية العامة والمتخصصة بجهد علمي متواضع يتم من خلاله التعريف بجماليات الوحدات الهندسية المنفذة على مفردات العمارة العربية الإسلامية.

ثالثاً: هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى: الكشف عن الوحدات الهندسية المنفذة على العناصر

العمارية للعتبة الحسينية المقدسة.

رابعاً: حدود البحث

يتحدد هذا البحث بالآتي:

١. **الحدود الموضوعية**: دراسة الوحدات الهندسية المنفذة على المفردات العمارية للعتبة الحسينية المقدسة (القبة، المئذنة، الأبواب، الشبابيك، المقرنصات، الأعمدة، التيجان، المحاريب، والعقود).

٢. **الحدود المكانية**: العراق-كربلاء المقدسة

٣. **الحدود الزمانية**: ٢٠١٤م.

خامسا: تحديد المصطلحات

الوحدة (Unit)

أ. في القرآن الكريم:

قوله تعالى (قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ.) (الإخلاص الآية ١) ولقد ورد في تفسير (الصافي) لهذه الآية المباركة

(**الأحد**: الفرد المتفرّد، والأحد والواحد بمعنى واحد، وهو المتفرّد الذي لا نظير له، والتوحيد:الإقرار بالوحدة وهو الانفراد، والواحد: المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتّحد بشيء، ومن ثّم قالوا: إنّ بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد لأنّ العدد لا يقع في الواحد بل يقع على الاثنين (الاعلمي، الشيخ حسين، ٢٠٠٨، ص٥٩٠).

ب. لغةً:

- فالوَاحدُ (حسب ما جاء في لسان العرب) من صفات الله تعالى، معناه انه لا ثانٍ له، ويجوز ان ينعت الشيء بأنه واحِدٌ، واما أحَدُ فلا ينعت به غير الله، وفي الحديث:انَّ الله تعالى لم يرضَ بالوَحْدانيِّة لأحَد غيره، شرُّ أُمتي الوْحَداني المعجب بدينه المرائي بعمله، ويريد بالوحْدانيَّ المفارق للجماعة المنفرد بنفسه، وهو المنسوب الى الوَحدَةِ والانفراد (ابن منظور، ج٦، ب ت، ص٤٧٨٢).
- كما وردت كلمة (وحدة) في (الرائد، معجم القباني في اللغة والإعلام)، حاله ما اتحد من الناس او الاشياء كالوحدة السياسية، الوحدة الاقتصادية. و (الوحدة العددية) كل جزء من الأجزاء المتساوية التي تؤلف عددا من الأعداد، ففي العشرة مثلا وحدتان عدديتان كل منهما خمسة (جبران مسعود، ٢٠٠٣، ص٩٤٨).

ت. إصطلاحاً:

- الوحدة حسب تعريف (شيرين إحسان) هي الالتحام والاتساق والتكامل والوحدة هي التكوين، فلا تكوين بدون وحدة، وهذا هو الحال في جميع أنواع الفنون المرئية والسمعية، (شيرين إحسان، مبادئ في الفن والعمارة، ب ت، ص٥٣).
- وعرفها (سكوت) هي الكيان العضوي للشكل المصمم الذي يجب ان يكون كلاً متكاملاً في ذاته وذلك لاحتوائه على نظام خاص من العلاقات المغلقة، كما عدَّ سكوت علاقتي الشد الفراغي والتشابه من أهم العلاقات التي تساعد في تكوين الوحدة (سكوت، ١٩٨٠، ص٣٨).

التعريف الإجرائي الوحدة الهندسية: هي الإطار الرؤيوي والبنائي للتشكيل الهندسي المنفذ على المفردات العمارية للعتبة الحسينية المقدسة والذي يتألف من مجموعة من الأجزاء التي تتصل فيما بينها ضمن علاقتي الجزء بالجزء والجزء بالكل.

المفردة Vocabulary

أ. لغة

- وردت كلمة (الفرد) في موسوعة (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي: بمعنى واحد ووحده، وجمعه أفراد، وفرد بمعنى وتر مقابل الشفع، ويأتي بمعنى آخر هو فريد لا شبيه له ولا مثيل، كما يقولون:الله تعالى فرد، يعني ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات احد ولا صفاته، والفرد المنتشر عند أهل العربية هو الماهية مع وحدة لا بعينها كما في الأطوال في بيان فائدة تعريف المسند إليه، أي هو الفرد غير المعين كما يجيء في بيان الفكرة، (التهانوي، ١٩٩٦، ص١٢٦٧).
- كما وردت كلمة (الفرد) في (المعجم الفلسفي لصليبيا) مقابل الزوج، وهو ما يتناول شيئا واحدا دون غيره، والزوج عدد يزيد على الفرد بواحد، والفرد أيضا هو المنفرد المتوحد، قال تعالى (رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين) سورة الأنبياء الآية (٨٩)، والفرد في اصطلاح الفلاسفة كل موضوع فكري معين مقيد بقيد التشخيص تؤلف أجزاؤه كلا واحدا، ولكنها لا تسمى باسم الكل كالرجل، فان قطعة من بدنه لا تسمى رجلاً، والفرد بهذا المعنى

جزئي، بخلاف الجنس او النوع، الذي هو كلي يقال على عدد غير محدود من الأفراد، وفرّد الشيء جعلَه أفراداً، او فصله في الفكر، وفرّد الأشياء باعد بين بعضها وبعض، ومنه التفريد وهو في اصطلاح تفصيل الشيء العام على أبعاد الأفراد حتى يصبح ملائما لشروط كل واحد منهم، تقول تفريد العقوبات، أي تفصيلها، وتخصيصها لتكون مناسبة مع مسؤولية كل فرد. (صليبيا، ج٢، ١٩٨٢، ص ١٣٨-١٣٩).

التعريف الإجرائي

المفردة: هي البنية العمارية التي تمثل مظهرا من مظاهر العمارة العربية الإسلامية وهي على أنواع عدة مثل القبة، المئذنة، الأعمدة، التيجان، المنابر، المدخل، الشبابيك، الأبـواب، المحاريب، المقرنصات، والعقود والأقواس، الأواوين الموجودة في العتبة الحسينية المقدسة.

الفصل الاول
الإطار النظري

المبحث الأول
معطيات النظام الهندسي والزخرفة الإسلامية

١. التوحيد كحقيقة فكرية وانعكاسها جماليا في الفن الإسلامي

ان العقيدة بالله هي أضخم الحقائق في حياة الإنسان، كما هي أضخم الحقائق في كيان الوجود، فالعقيدة هي التي تكشف للإنسان حقيقة صلته بالله، وصلته بالكون والحياة، فهي تربط كيان النفس، لتستقيم على المنهج الواصل، وتوحد بين طاقاته المتفرقة وأوجه نشاطه المتباينة، فتجعلها طريقا ذا غاية واحدة، وتوحد بين الدنيا والآخرة، والعمل والعبادة، والأرض والسماء. (محمد قطب، ١٩٨٣، ص١١٦).

فالإسلام هو دين وعقيدة ومنهج حياة، وبمعناه الشمولي ليس عبادات او شعائر ينقطع لها الناس فترة من الزمن، وإنما هو المنهج الشامل للحياة، حياة المشاعر والأفكار والسلوك والوجدان.والفن من جهة هو التعبير الجميل الموحي لهذه الحياة، ليلتقي الفن والدين التقاء كاملا في الحس الإسلامي حين يكون الفن قائما على التصور الإيمان للوجود والمشاعر والأفكار. (سيد احمد بخيت

على، ٢٠١٢، ص١٩٢-١٩٣).

ومن ثمّ نجد التوحيد قد انعكس في نتاجات الفنان المسلم التي اتسمت بالوحدة والتجريد. فعرف وجه ربه بقلبه، وآمن بطريق الوحي والتجلي والحدس ليخرج صورة الخالق عن حدود ما هو دنيوي معبر عن المطلق اللانهائي كتعبير تأملي جمالي، متبنيا العلوم الرياضية والهندسية اليونانية كسبيل لمعرفة حقيقة الله، فكان لذلك تفاعل الفكر الديني الإسلامي والفكر العلمي الرياضي في إبعاد كل ما هو تشبيهي في الفن الإسلامي. (الخزاعي، عبدالسادة، ١٩٩٧، ص٣٠)

فلقد عبر الفن الإسلامي عن حقيقة العقيدة في ذلك لإطار الواسع، فهو لا يعمل على رفعة البشرية وإطلاقها من أسار الضرورة والقيد والانحسار في نطاق المحدود فحسب، بل انه يكون فنا كونيا واسعا، لأنه يعبر عن حقيقة الوجود. (محمد قطب، مصدر سابق، ص١١٨).

٢. العناصر التكوينية في الفنون الزخرفية:

أ. العناصر الكتابية:

تُعد العناصر الكتابية من المميزات الأساسية للزخرفة العربية الإسلامية، وذلك لصلتها الوثيقة بالدين الإسلامي الحنيف، فالقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الكبرى نزل بلسان عربي مبين، لذا صارت تلاوة القران وكتابته من أعظم المبررات التي يتقرب بها الإنسان الى ربه، كقوله تعالى ﴿ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ﴾ (القلم/ ١)، ﴿اقرَأ وَرَبُّكَ الأكرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ (العلق/ ٣-٥)، فأصبح الخطاط كمن يؤدي فرضا للعبادة.

اكتسب الخط العربي (ارتباطه بالقران الكريم) صفته القدسية، وأصبح الخط فنا في غاية الكمال، ما للحرف والكتابة من مكانة مقدسة عند الفنان المسلم، وأنَّ الخط العربي مهيء أصلا، مدلولا وتركيبا لتأدية هذه المهمة، لما تضمنته تسطيراته والتواؤه من حرية تشكيليه، وحركةٍ إيقاعيةٍ (العلوي، لؤي سليم، ٢٠٠٢، ص١٢٩)، لذا نجد أنَّ في الخط العربي صورا زخرفيه دلت على ثراء الحس الفني لدى الفنان المسلم والذي أدرك ما في الحروف العربية ما يصلح لأنْ يكون أساسا لزخرفة جميلة، فرؤوس الحروف وسيقانها وأقواسها، ومداتها وخطوطها الراسية والأفقية كل هذه أوحت له بعناصر زخرفية شتى، فتارة يجعل الحروف مجتمعة متكافئة وطورا يرسمها متباعدة متناسقة، وتارة أخرى يظهر التنوع بين الحروف القائمة والحروف المستديرة. (محمد عبدالعزيز مرزوق، ١٩٦٥، ص١٧٢).

ب. العناصر النباتية:

استمدت الزخارف النباتية من فروع النباتات الطبيعية وأوراقها وأزهارها موضوعاً لها، فقد استلهم الفنان المسلم هذه الأشكال الطبيعية محورا ايها الى أشكال مجردة.

فقد استخدم الفنان المسلم في تحويراته الزخرفية، عناصر عديدة مختلفة من النبات والثمار، فكانت زخارفه النباتية تارة بشكل أزهار وأوراد بسيطة ومركبة ومتضاعفة ذات أوراق وحلقات وعقد رابطة، وبألوان متعددة، كما استخدم تارة أخرى الزخارف الكاسية، والتي تعتمد على كاس الزهرة البسيط، والأغصان والتوريقات، اما زخارف الأغصان، استخدمت كحشوات داخل

المساحات الزخرفية، مؤديةً دورا وظيفيا وجماليا من خلال حركتها ذات البنية الحلزونية. (الفتلاوي، حازم جساب، ٢٠١١، ص٨٧).

اما زخارف التوريق المتداخلة التي عرفت بالارابسك فهي عبارة عن تفريعات وجذوع منثنية تتابع وتتشابك فيها رسوم محورة ترمز الى الوريقات والزهور نقشت بطريقة تجريدية أبعدتها كثيرا عن أصولها الطبيعية وأصبح من العسير معرفتها. (عاصم محمد رزق، ٢٠٠٠، ص١٣٢)

ت. العناصر الآدمية والحيوانية:

لقد استخدم المسلمون في زخارفهم عناصر حيوانية عديدة لحيوانات مختلفة كالأسد والغزال والأرنب، وطيور صغيرة بأنواعها، لاعتقادهم انها غير داخلة في نطاق الكراهية، كما استخدموا رسوم الحيوانات الخرافية كالفرس، والطيور الصغيرة ذات الوجوه الآدمية، ولم يعتنِ الفنان المسلم في رسم هذه الحيوانات محاكاة للواقع، بل اتخذ منها موضوعاً زخرفياً، وكانت هذه الكائنات الزخرفية توضع في دوائر او أشرطة او في مناطق هندسية مختلفة الأشكال متقابلة او متدابرة (ليلى فؤاد، ٢٠١١، ص١٤٠-١٤١)، لقد زينت هذه الزخارف الحيوانية سطوح التحف الفنية كالأواني والصحون كما زينت جدران القصور والمنازل، وانعدم وجودها في المساجد وأماكن العبادة، ويرجع ذلك الى مسألة التحريم ومضاهاة خلق الله تعالى كما مر ذكره في مسألة التحريم.

ث. العناصر الهندسية:

لقد تفنن المسلمون بهذا النوع من العناصر أكثر من النباتية التي حورت عناصرها للابتعاد عن تقليد الكائنات الحية ومحاكاتها، فقد ابتكروا الكثير من الضروب التي أكدت القول بان براعة المسلمين في زخارفهم الهندسية لم تكن أساسا للشعور بالموهبة فحسب، بل هي نتيجة علم وافر بضروب الهندسة العملية. (زكي محمد حسن، ١٩٨١، ص٢٤٨)

وتتكون هذه الزخارف من وحدات هندسية، وهي تكوينات يمكن تشكيلها من العلاقات الخطية الناتجة من تلاقي بعض أنواع الخطوط المستقيمة والمنحنية، والتي أساسها الأشكال الهندسية مثل المضلعات والأشكال الدائرية، كما تشمل الأشكال الثلاثية التي تضم المثلث المتساوي الأضلاع، او متساوي الساقين وغيرها، والإشكال الرباعية مثل المربع والمستطيل والمعين، والأشكال الخماسية والسداسية (صفا لطفي، ٢٠١٢، ص١٧)، وتتشارك هذه العناصر الهندسية مع غيرها من العناصر الأخرى بتقسيم المواضيع الزخرفية فيها وتحديد وحداتها الفنية تحديداً واضحاً، وقد قسمت العناصر الهندسية الى صنفين، يمثل الاول زخارف هندسية بسيطة تتكون، من المثلثات، ولاسيما المتساوي الضلعين او ثلاثه الأضلاع، والدوائر والمعينات والمربعات والمستطيلات والإشكال الخماسية والسداسية والثمانية الناتجة من تقاطع مربعين بزاوية خمس وأربعين درجة، ويمثل الثاني الزخارف الهندسية المركبة من الأشكال النجمية المتعددة، والضروب الهندسية المعقدة، لاسيما (المضلعات) والأطباق النجمية. (عاصم محمد رزق، ٢٠٠٠، ص ١٣٣-١٣٤)

كما وغطت الزخارف الهندسية السطوح والمواد والخامات المختلفة فقد

عمد الفنان المسلم الى طريقة استخدام الجص المفرغ (في تشكيلات هندسية مخرمة) كما هو الحال في نوافذ المساجد، كما واهتدى الى طريقة التعشيق والتطعيم والخرط، فقد استخدم أسلوب التعشيق في الخشب، مزين السطوح بحشوات من اخشاب صغيرة الحجم، تقطع على أشكال هندسية منتظمة من مثلثات او اومربعات... وتثبت مع بعضها بطريقة التعشيق معا بأشكال زخرفيه هندسية، كما لجأ الى أسلوب خرط الخشب في عمل الصناديق والمنابر والمشربيات. (محمد الحسيني عبدالعزيز، ب ت، ص٩-١٠)

٣. النظام الهندسي في الفن الإسلامي:

يرتبط النظام الهندسي بالتفكير المنطقي ويعبر عنه بالأشكال الهندسية المجردة، مثل الخط والدائرة او الاسطوانة والذي يعتمد على أسس الهندسة الاقليدية وهي أسس تسري على كل فروع الرياضيات والعلوم المنطقية، نعدها مسلمات وبديهيات وحقائق مطلقة، وهي ليست فرضيات في المنطق قابلة للنقاش والتطوير، والنظام الهندسي هو تجسيد للنظام الطبيعي المرتبط بالطبيعة والكون والذي ينعكس من خلال الظواهر والأشكال الطبيعية، ولكن بلغة الشكل والقوانين الرياضية، وان فرض النظام عموما هو جوهر الإبداع لدى الإنسان، وقابلية في فرض الترابط والتجانس في العملية التصميمية سواء كانت مفردات التصميم تشمل أشكالاً او ألواناً أو غيرها من المفردات ومن ضمنها الزخرفية. (العلوي، لؤي، ٢٠٠٢، ص٣٢)

فالنظام الهندسي في الفن الإسلامي يعكس نظاماً جمالياً لما فيه من اتزان

وتناسب، نسب وإيقاع وتكرار، وتماثل وتوافق، ووحدة وتنوع، فتأمل الفنان المسلم للكون من حوله وإستلهام نظمه، وضمنها أعماله الفنية فجاءت تعبيراً جمالياً عن نظم الكون الإلهي. (الرفاعي، انصار، ٢٠٠٢، ص٢٣٥)

من خلال النظام الخفي الذي يربط الأشياء بعضها ببعض فتبدو في وحدة متجانسة متكاملة متوازنة، لما فيها من تناسق وتناسب، وتوازن يكون في شكل كل الشيء وفي مادته وحركته، وفي التقدير والضبط وتحديد النسب بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/ ٤٩)، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقديراً﴾ (الفرقان/ ٢) ﴿وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدَارٍ﴾ (الرعد/ ٨)، ويقول تعالى عن تناسق الكون والأرض ﴿فَالِقُ الإِصباَحِ وَجَعَلَ الليلَ سَكَنًا وَالشَّمسَ والقَمَرَ حُسبَانًا ذَلِكَ تَقدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ (الأنعام/ ٩٦)، وقوله ﴿وَاللهُ يُقَدِّرُ الليلَ والنَّهَارَ﴾ (المزمل/ ٢٠)، ﴿وأَنبَتنَا فِيهَا مِن كُلّ شَيءٍ مَّوزُونٍ﴾ (الحجر/ ١٩)، وقوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الانفطار/ ٧)، ﴿مِنْ أَيِ شَيءٍ خَلَقَهُ، مِن نُّطفَهُ خَلَقهُ فَقَدَّرَهُ﴾ (عبس/ ١٨-١٩) (مصطفى عبده، المدخل الى فلسفة الجمال، ١٩٩٩، ص٢٦١)

﴿أَفَلَم يَنُظُروا إِلَى السَّمَآءِ فَوقَهُم كَيفَ بَنيَنَاهَا وَزَيَّناهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (ق/ ٦) فبهذا الجمال الهندسي تكتنفه الأسرار، ويحرك العقل والخيال وتهتز له الروح فيترك تأثيراً مطلقاً، اما جمال طبيعي، تستجيب له الحواس والعواطف المحدودة. (الخزاعي، مصدر سابق، ص١٠١)

ان وحدة الزخرفة الإسلامية تسعى الى الله والداعية الى الله الذي منه واليه تنتهي الأسباب والمسببات، فهي سرمدية بدون بداية او نهاية، استوحت

قواعدها من القواعد الرياضية الى تكرار الموضوع والرغبة في حل معادلات اللانهائية. (كلود عبيد، مصدر سابق، ص٨٥)

فنلاحظ ان التكرار الموجود في الكون يكشف لنا سر التوازن الكامن فيه، لهذا فان التكرار يعطي معنى أخر او نتيجة أخرى وهي التوازن، لذلك فان هناك ثمة علاقة وثيقة بين التوازن والتكرار، لان التكرار اذا اختل عن المنظومة الإلهية الكامنة قيل اختل واعتل، وكشف لنا عدم الاستقرار والتوازن واذا اعتدل نتج عنه الاتزان، لذلك فالصلة وثيقة بين الاثنين وان لم تكن واضحة). (مصطفى عبدالرحيم، ١٩٩٧، ص٨٨).

وبهذا فقد استطاع الفنان المسلم من إنتاج أعمالٍ فنية تختزن طاقة هندسية كونية محكمة وفق حسابات رياضية متقنة تبوح بالاتزان والعظمة والجلال والهيبة، وقد تجلت هذه الإبداعات الرياضية في اصغر وحدة في التصميم الهندسي كوحدة المربع او الدائرة وما يوجد لها من انتظام محكم يتجلى في تكراراتها من خلال نظام متكامل هندسي، وبهذا النظام قد وصل الفن الإسلامي الى درجة عالية من الأداء المنتظم، وكأنه يحاكي النظام الكوني وما فيه من إتقان للوصول الى المطلق (الرفاعي أنصار، مصدر سابق، ص٢٤٠) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر/ ٤٩-٥٠).

٤. دلالة الاشكال الهندسية في الفن الإسلامي:

ان الفكر الإسلامي قائم على مفهوم الوحدانية، هو التوحيد المطلق المنزه عن الواقع المباشر للوصول الى ما وراءه (الجوهر الحق) وصولا روحيا يتجاوز

العرض الزائل النسبي.

تمثل النقطة من خلال منظور الذهنية الإسلامية، المركز الذي تنطلق منه الأشعة وتجتمع فيه، المركز النبع والملاذ هي مركز الدائرة الذي تكمن فيه القوة الكاملة والكلية للتوليد (صخر فرزات، ١٩٨٢، ص٨٦)، فالنقطة المركزية هي الجوهر الذي يصدر الأشياء كلها واليه ترجع جميع الأشياء ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الروم/ ١١).

وبهذه النظامية الهندسية التي تتراكم من نقطة واحدة لتصير خطا، حيث أشادت الحضارة الإسلامية فنا عرف (بهندسة الروح) فنا يطل على الروح من أفق الهندسة حيث الشكل هو المعنى والمضمون، يقودنا تجريد هذا النظام الى عنصرين أولين هما الخط المستقيم والخط المنحني، أي الخيط والرمي، فمن النقطة الى الخيط الى الرمي، فالرمزية الصوفية في هذه اللغة، تعبر عن ثنائية المستقيم والمنحني، عن ثنائية الغيب والوجود، فهذه الثنائية الهندسية، تقوم على قطبين منفعلين، يفرض وجود الواحد منهما وجود الأخر، ويحدد الواحد منهما صفات الأخر، في الوقت الذي يتبادلان الصفات من دون ان يلغي الواحد الأخر، ومن دون ان ينصهر الواحد منهما بالأخر. (الزيباوي، محمود، مصدر سابق، ص ٢٠٦).

و الدائرة، التي بشكلها تتوحد فيها العلاقة بين النقطة المركز وبين جميع أجزاء الخط المرتسم حولها (والذي يشير هنا الى العدالة في العلاقة محيط بالمركز) فالدائرة شكل ولود، والذي تتمثل فيه الحركة، حركة الحياة، والحركة الكون، وحركة الطبيعة، وحركة تعاقب الليل والنهار، كما هو الشكل الذي يرسمه المسلمون في دورانهم حول الكعبة، وهو أيضا الشكل الذي يرسمه المسلمون

في تراصهم حين توجههم في صلاتهم نحو الكعبة (صخر فرزات، ١٩٨٢، ص٨٧)، فالدائرة هي مرتسم تلك الشعاعات الفكرية والخطوط الوهمية التي تبدأ من كل مسلم منتهية بالكعبة، لان المصلي يتوجه بفكرةً وجسمه فعليا نحو الكعبة، فبصفوفهم المتراصة في الصلاة يشكلون دوائر ضخمة مركزها الكعبة.

والطواف حول الكعبة (المركز) في الحج إنما هو طواف في فلك المعنى المطلق، فالدائرة التي يرسمها الطواف حول الكعبة هي تعبير عن الكمال، والفكر للجمال الإسلامي يقوم على الكمال المادي الظاهري، ولكن ثمة كمال غير قابل للتجسيد والصورة، وهو الكمال المطلق يبقى باطنيا لا مادة له ولا صورة، يمكن ان نرى مثل هذا الكمال المطلق في الرقش العربي لما يحوية من تجريدات هندسية تلخص وحدة الوجود، للتعبير عن الكمال المطلق (البهنسي عفيف، ٢٠٠٣، ص٤٥)

فالقبة تقليد معماري قديم وهي طريقة ناجحة لتغطية المباني، بيد ان القباب في العمارة الإسلامية أصبحت رمزا لملكوت الواحد الأحد، وعبرها يتجه الدعاء والابتهال، ومنها تشع الرعاية والحماية، فأنها تبدو كموئل للابتهال، ماثلة فوق المساجد وفي نهايات المآذن، او تبدو نصف قبة في طاسات المحاريب والأيونات، او بالعقود (مرتسم مقطع القبة)، وبالقبوات والأقواس، او تبدو في القباب التكريمية والأضرحة كمظلة حماية ترمز الى العناية الإلهية، وبصورة عامه فان القبة تستقطب الإيمان والدعاء، وتشيع الرعاية والحماية، اي انها ترمز لتلك العلاقة التي تربط الإنسان على الأرض بخالق الكون في ملكوته. (البهنسي عفيف، ٢٠٠٣، ص ٨١-٨٢)

والمربع توأم الدائرة ومكملها الهندسي. وهو الشكل المسطح الأول بالنسبة

للمسلمين، لأنه يحقق علاقة متوازنة وصحيحة ومتكاملة بالنسبة لنقطة المركز، لذلك اتخذت النقطة في الكثير من الأحيان الشكل المربع في الخط العربي. (العلوي، لؤي، مصدر سابق، ص١٥٠)

وقد اعتبر الفنان المسلم ان المربع هو الشكل المسطح الأساسي للتناسق والتناسب، فهو الشكل المثالي المتوازن، فاعتمد الفنان على النسبة بين طول ضلع المربع وطول وتره وهي١ : ١، ٤١٤ كقاعدة أساسية لعلاقات التناسب بين الأبعاد، فالمربع يحقق علاقة متوازنة متكاملة مستقرة وبسيطة بين أجزائه، مستوحيا ذلك من جوهر الدين الإسلامي الذي يعتمد على البساطة والتوازن والاستقرار. (شيرين احسان، مبادئ في الفن والعمارة، ب ت، ص١٣٦)

ويعد المربع شكلاً قدسياً عند المسلمين، يمثل (مسقط)الكعبة المشرفة بشكل تقريبي، كما نجدةً في الكثير من المساجد ابتدأ من المربع ألتقربي لمسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالمربع عنصر معماري أساسي لا يوجد مسجد يخلو من هذا الشكل الهندسي، (اسعد عرابي، مصدر سابق، ص١٢١) والفن الإسلامي لا يفرق بين البني الكبيرة والبني الصغيرة، لنجد المربع في مساقط العمارة كما نجده في اصغر الوحدات القياسية زخرفية.

أما النجوم في الرقش العربي فترسم على مقياس الدائرة واشتقاقا منها، وهي تحمل معاني الانطلاق من الدائرة القدسية كما ان تصوير النجمة يعتمد على تصوير الدائرة وتأويل ذلك ان الكواكب بمعانيها المختلفة انها انبثقت عن الكون الذي رمز له بشكل دائرة، ولذلك فان الدائرة تبقى أحيانا محيطة بالنجمة او هي تتصدر مركزه. (عفيف بهنسي، الفن الاسلامي، ١٩٩٨، ص١٠١-١٠٣) ففي

عمارة المسجد يتحول الشكل الرباعي في الحرم الى دائرة يحمل قبة (عبر عنق مثمن، ويرمز هذا الانتقال الشكلي الى انتقال كوني توحيدي، فالمربع الذي يمثل الأرض بجهاتها الأربعة، والمثمن يمثل الكون اي الأرض وقد التحمت بعناصر الطبيعة الأربعة، الماء والهواء والتراب والنار، والدائرة والكرة تمثل القوة الإلهية. (البهنسي، عفيف، ٢٠٠٣، ص٨٠)

فبهذا التحول من المربع الى الدائرة من خلال المعنى الرمزي الكامن خلف المثمن، هو تحول من الحياة المادية الى الحياة الخالدة، من الأرضي الى الأبدي السماوي.

فقد حاول الفنان أن يعبرَ عن هذا النور ليس بالألوان فقط كالذهبي والفضي والأبيض، وإنما بتشكيلات معمارية متبلورة متجسدة في المقرنصات، وبالزخارف النجمية الوهاجة بأشعتها الوميضية التي تصدر عن نقطة سرمدية، لتعبر عن الكون والوجود، او من خلال تلك التضادات اللونية الموزعة على النسيج الزخرفي. (صفا لطفي، ٢٠٠٦، ص١٢٨)

وأما الشكل الهندسي للمثلث فلا يعتبر في الفن الإسلامي شكلا أساسيا، لأنه جزء من شكل وعنصر تكاثر كامل في الأشكال الأساسية، فهو موجود في المربع والمضلع والدائرة، ويكتسب رموزه ومدلولاته منهما، لذا لا يأخذ في عالم الأشكال دوراً أساسياً، والاهتمام به دائما يكون عبر مبدأ الاهتمام بالجزء من خلال الكل، وكذلك لا يعتبر المستطيل شكلا أساسيا، لأنهم يرون أنَّ ولادته تتم عبر التحام مربعين او من التحام مربع بجزء من مربع آخر، لذا فهو شكل مركب مولود وليس مولدا، مفعولٌ او مصنوعٌ وليس فاعلاً او صانعا، فهو

يكتسب رموزه ودلالاته ومدلولاته من الأجزاء التي صنعته وكونته والاهتمام به يكون من خلال مبدأ الاهتمام بالكل عبر الجزء. (صخر فرزات، مصدر سابق، ص٨٨) اما الشكل الحلزوني، فكما أشرنا سابقا دخل هذا الشكل في التوريق او العربسة (الارابسك) من رسوم زخرفة، والغصنيات النباتية كعروق ألكرمه، والزخارف الجصية لقصر سامراء، كما نجدة في المنمنمات التشخيصية، والتي عبر فيها الفنان المسلم بحركة الكتل وتوزيع الأشخاص.

فمن خلال هذه الأنماط الزخرفية والتي جسدت جماليات الفن الإسلامي، وهي جماليات مجردة قد تكونت أساسا في ظل الاستقلال عن عالم الطبيعة عبر التشكيل والتركيب وإنشاء لوحات زخرفيه، وفق متخيل او منظور آخر للطبيعة والإنسان والوجود، تتداخل في ضوئه العقيدة بالفكر عبر استلهام المفاهيم الصوفية، التي استعارت مفهوم جوهر الفرد وان الكل يتجزأ الى الجزء الذي لا يتجزأ، ومن ثم رد كل الأجزاء الى الواحد الله، فهي صادرة عنه ودليل عليه في الآن نفسه، وان كل ما في الوجود يشهد بوجود الله الواحد. (الكحلاوي، محمد، ٢٠١٠، ص٢٢١-٢٢٢)

فتكرار هذه الوحدات الزخرفية بخاصية تركيبية، والتي تتحول فيها من وحدة بسيطة في النسق الى وحدات اكبر ذات قيمة جمالية اكبر من المجموع الجبري لهذه الوحدات، وهذه الخاصية نجد نموذجها الأولي في عملية التسبيح والحمد، حيث تكرر عبارات الحمد الله، وسبحان لله، ..فتخلق موسيقى إيمانية خالصة تسبح بحمد الله، فتحول الوحدة الهندسية البسيطة لوحدة مركبة معقدة في عملية عبادية، للوصول الى الجلال، ومن ثم معرفة الخالق سبحانه وتعالى

وهو الهدف الأسمى لكل الأعمال في الفن الإسلامي، لنجد هذا الفن في أكثر الأماكن قدسية وروعة، متجسدا داخل مساجد المسلمين. (الشيخ شبر فقيه، مصدر سابق، ص١٧٠)

وبهذا تكون الرقوش الهندسية التي تنتشر في المسجد سواء كانت بارزة او مسطحة، والتي تتحاشى الارتباط بالمادة، ما هي الا تسبيحات وأذكار، تمارس وظيفة روحانية، متحققة بحوار صامت يمتد بين وجدان المؤمن وبين الصورة (الأنوار الإلهية) التي تسمو على المادة والشكل، بعمقها الرحماني، لتصبح هذه الرقوش أداة اتصال سريعة تفوق الكهرباء بقوة اتصالها، لترتفع بوظيفة المسجد الى المرتبة الروحية. (البهنسي، عفيف، ٢٠٠٣، ص٥٤-٥٥)

المبحث الثاني
العناصر العمارية وخصائصها الجمالية
العتبة العباسية المقدسة أنموذجاً

اولاً: مفهوم العمارة العربية الإسلامية وخصائصها

تعد العمارة العربية الإسلامية، من أهم الطرز العمارية التي اتسمت بخصوصية متفردة، كونها كانت تعبر عن جوهر المعطيات الفكرية والعقائدية للإسلام، فضلا عن أنها كانت تسبر غور المنجز الجمالي للفن الإسلامي، بمزيد من المستويات المعرفية، والتواصل الحضاري، عبر تقديمها نماذج معمارية تتصف بالحضور الفاعل، وبجماليات التصميم المعماري، وخصوصية المفردات العمارية كالمآذن والقباب والأبواب والشبابيك والمقرنصات والأعمدة والتيجان والمحاريب.

فالوحدة ميزة مهيمنة وواضحة في العمارة الإسلامية التي تتأتى فيها من فكرة التوحيد في الفكر الاسلامي، فالنظرة الوحدوية تشمل كل الفنون بضمنها العمارة، ولا تشمل العمارة بكليتها فقط بل حتى الأجزاء التي تكونها، والتنوع مع الوحدة في العمارة الإسلامية يماثل التعامل البارع مع الأصوات لإنتاج التناغم، فخرجت منجزات العمارة الإسلامية تكاد تشبه بعضها بعضها الآخر دون أن تتطابق مع بعضها الى جانب شيء من التباين اليسير الذي تحمله كل بيئة

وتختص به وتمليه مواهب أهلها الموروثة. (المالكي، قبيلة، ١٩٩٨، ص٩٢)

كما ان العمارة الإسلامية انفردت بالاهتمام بتفضيل العمارة الداخلية على الخارجية، ولقد أدت هذه الخاصية بان يصبح المبنى زاخراً من الداخل بروائع الزخارف المنتشرة على الجدران، والسقوف، والأفاريز، والأعمدة، والنوافذ، والأبواب، وان قلة اهتمام الفنان المسلم للعمارة الخارجية نابعا من رغبته بعدم التظاهر، والتفاخر، كما حث عليه الدين الإسلامي. (سيد احمد بخيت، مصدر سابق، ص٢١١-٢١٢)

كما تميزت العمارة الإسلامية بوجود تجانس بين تقنية البناء والتصميم العام، والتكوين الإنشائي والزخرفي، فلقد جاءت متلائمة ومنسجمة مع مفهوم الوظيفة العمارية، والمتطلبات الفراغية (محمد حسين جودي، ١٩٩٨، ص٢٢) كما قامت العمارة الإسلامية على الارتباط العضوي بحاجة الإنسان وظروفه المناخية والاجتماعية، وبعقائده ومثله، فكان المقياس الإنساني في العمارة الإسلامية، متمثلاً بالذراع والكف والإصبع والخيط، كأداة للمعماري، والذي قاس به المسافات وأقطار الدوائر عند إنشاء الأقواس والقباب والقبوات، وبه صنع الشاقول ليحدد استقامة البناء، فكان المقياس الإنساني في العمارة الإسلامية منسجما مع الثوابت المناخية والتقاليد وروح الحضارة الإسلامية. (البهنسي، عفيف، ٢٠٠٣، ص ١٧-١٨)

كما اعتمدت العمارة الإسلامية على الأنماط الهندسية بشكل واضحٍ سواء كان على صعيد النسيج الحضري للأبنية أو التفاصيل الزخرفية مع وجود محورية عالية وتماثلية واضحة على محور واحد أو محورين أو أكثر لخلق أشكال هندسية

منتظمة كالمربع والمستطيل وبنسب مدروسة، فالتناظر هو ترجمة لتفكير عقلاني رياضي بإيقاعية واضحة، للتأكيد على فضاء أو عنصر معين (المالكي، .قبيلة، ١٩٩٨، ص٩٢)، كما امتازت العمارة العربية بالمرونة وقابلية الامتداد الأفقي والتوسع دون الإخلال بوظيفة وجمالية المبنى، كما نجد تناغم محاور العمارة الأفقية والعمودية، حيث ترتفع المآذن كعناصر عمودية موازنة للمحاور الأفقية للعمارة، الى جانب تناغم الواجهات وتناغم مواد البناء كما وتنوعت الأساليب الزخرفية للعمارة الإسلامية من فسيفساء وقاشاني ورخام وآجر وجص وخشب كما تنوعت بين الزخارف النباتية والهندسية والخطية. (المالكي، قبيلة، ٢٠٠٧، ص١٩٦-١٩٧)

ثانياً: العناصر التكوينية للفنون العمارية العربية الإسلامية:

١. العقود او الأقواس:

تعددت أنواع العقود في العمارة الإسلامية منها العقد المدبب وهو على نوعين العقد ذي المراكز الأربعة والذي ظهر لأول مرة في باب بغداد (٧٣٢م)، والعقد المدبب ذي المركزين والذي ظهر في الجامع الأموي بدمشق كما عرف المسلمون عقد حدوة الحصان والذي استخدم في الشام والمغرب والأندلس، والعقد المفصص، وهو العقد الذي يتكون من مجموعة أقواس متتالية والذي شاع في المغرب والأندلس. (صفا لطفي، ٢٠١٢، ص٢٢)

والقوس المدبب في العمارة الإسلامية يدعى بالقوس الموحدي، هو القوس الذي ينتهي بنقطة تلاشي، ويعني هذا تلاشٍ إظهار ما هو أشبه بالصفر او

بالغياب (المدفعي، قحطان، ١٩٩٤، ص١٤-١٥) فيوحي لنا العقد المدبب بالدينامكية والتسارع والصعود والتسامي، اما العقد النصف دائري يعبر عن الهدوء والسكينة والسكون وما لانهاية. (المالكي، قبيلة فارس، ٢٠٠٦، ص١٤)

٢. القباب:

هي أحد العناصر العمارية الإنشائية التي توصف بأنها بناء دائري المسقط مقعر من الداخل، مقبب من الخارج، والتي تتألف من دوران قوس على محور عمودي، لتصبح نصف كرة تقريبا، وتأخذ شكل القوس مقطعها، فقد تقام القبة مباشرة فوق مسطح، او ترتفع على رقبة مضلعة او دائرية او على حنيات (المحاريب) ركنية او مثلثات كروية او مقرنصات، لتسهل الانتقال من المربع الى المثمن الى الدائرة وقد تكون القبة كبيرة او صغيرة بيضوية او نصف كروية او بصلية او مخروطية او مضلعة، فهي معلم معماري تميزت به اغلب الأبنية الدينية عند المسلمين وغيرهم. (عبد الرحيم غالب، ١٩٨٨، ص٣٠٩)

اما في العمارة الإسلامية فكان لاستخدام القباب رؤية خاصة فهي لم تكن حلا بيئيا او إنشائيا او وظيفيا فقط، بل رمزيا وروحيا أيضا، فترمز الى السماء، حيث تعتبر صورة مصغرة لما كان يراه العربي في صحرائه من اتساع الأفق واستدارة السماء من فوقه. (يحيى وزيري، ٢٠٠٤، ص١٤٥)

فأصبحت القبة من ابرز السمات الروحية للمسجد، والقبة هي نصف الكرة، تقوم فوق الحرم، والكرة رمز الكون المؤلف من نصفين، فالعلوي يمثل السماء، والنصف السفلي يمثل الأرض والقبة نصف الكون، وهي السماء الحادبة يكملها

حرم المسجد الذي يمثل النصف الثاني للكرة الكونية، فللقبة مدلول تصاعدي من خلال انتقال المربع في أركان القبة الى المثمن في رقبتها والى الكرة في غطائها. (البهنسي، عفيف ٢٠٠٣، ص ٥٢-٥٣)، فأصبحت رمزا للملكوت الواحد الأحد وعبرها يتجه الابتهال والدعاء ومنها تشع الحماية والرعاية.

وتعتبر قبة الصخرة أول قبة بنيت لمسجد في الإسلام (٧٢ هجرية) مصنوعة من الخشب تغطيها صفائح من الرصاص فوقها ألواح من النحاس المذهب، كما استخدمت القبة في المساجد أمام وأعلى المحاريب تأكيدا على مكانها وأهميتها كما في الجامع الأموي، وجامع الأزهر والحاكم، كما استخدمت أيضا في تغطية أروقه ايونات المساجد، الى جانب استخدامها كنهايات لبعض المآذن. (يحيى حسن الوزيري، ١٩٨٦، ص ٢٢)

اما أقدم القباب في مصر فهي قبة جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي، فقد كانت هذه القبة وقبة الأزهر نصف كروية الشكل، وأصبحت مضلعة في قبة السيدة رقيه (١١٣٣)م وفي عصر المماليك استخدمت القباب النصف كروية والمضلعة والبيضوية، اما في العصر السلجوقي فكانت القباب مخروطية مقرنصة من الداخل وخاصة في عمارة الأضرحة، اما في الهند في العصر المغولي فاستخدمت القباب البيضوية والبصلية ذات العنق الطويل، وكانت قباب الطراز العثماني نصف الكروية تستخدم في الجوامع غالبا قبة كبيرة في الوسط تحيط بها قباب صغيرة، ولقد استخدم في تزين القباب الإسلامية من الداخل والخارج بالمقرنصات والزخارف النباتية والكتابات الكوفية. (بلقيس محسن هادي، ١٩٩٠، ص٤٤)

كما واتصلت القبة بالسماء بواسطة محورها الشاقولي لتوازن الكتل العمارية.

فإن مركزية القبة بمحورها الشاقولى المتطاول نحو الأعلى، والتي غالبا ما تتوسط فضاء الحرم في الجوامع او الأضرحة، تكون مهمة في أداء دورها في توازن الكتلة العمارية فنيا، فهي تضيف قوى شد علوية الى قوى الشد الناجمة عن الكتل الأفقية الأخرى للمبنى، وتختفي كتلية القبة من الداخل ليحل محلها الفضاء المتناهي، بأنواع مختلفة من المعالجات الزخرفية ليتحول باطن القبة الى سطح حسي ذي إيماءات رمزية متنوعة. (عصام علي شكر، ١٩٨٩، ص١٠١)

٣. المقرنصات:

وهي أشكال متدلية، تشبه إلى حد ما خلايا النحل من الناحية الهندسية، فهي في المباني العربية يتدلى بعضها فوق بعض من السقوف أو الزوايا أو في واجهات العمائر أو الأقواس أو أسفل أحواض المآذن، ويُرجَّح ان أصل نشأة المقرنصات في العراق، وقد رافقت المقرنصات العرب المسلمين في كل مكان حلّوا به وأصبحت طابعاً تكوينياً يميز عمائرهم الفنية من الهند حتى بلاد الأندلس. (خالد حسين، ١٩٨٣، ص٤٦) وقد تطور المقرنص من الحنيه الركنية التي كانت توضع في كل ركن من أركان الحجرة المربعة والتي يُراد إنشاء قبة عليها، حيث تستخدم هذه الحنايا (المحاريب) الأربع للتدرج من الجزء المربع إلى سطح دائري أو منحنٍ تقوم عليه القبة ويسمى العنق (عنق القبة) (بلقيس محسن هادي، مصدر سابق، ص٣١)، وهذه الطريقة من أصل فارسي تكون على شكل محاريب او أجزاء من مخروط لتسهل ارتكاز القبة عليه كما في الجامع الأزهر والحاكم، اما المثلثات الركنية فكانت تستخدم في (الكنائس البيزنطية مثل كنيسة ايا صوفيا)، وقد انتشرت

هذه الطريقة بعد الفتح العثماني، والمقرنصات تعتبر من الابتكارات العمارية الإسلامية، فقد بدأت هذه المقرنصات بحطتين في العصر الفاطمي حتى وصلت الى ١٢ حطة في العصر المملوكي. (يحيى حسن الوزيري، ١٩٨٦، ص٢٤).

٤. المآذن:

المآذن هي اسم للمكان الذي كان ينادى منه للصلاة، وقد أطلق على تلك المآذن أيضا المنارات او الصوامع، وذلك لتقارب أشكالها قديما من المنارات التي تهدي السفن وكذلك أبراج الصوامع في المغرب العربي، كما ذكر أنها شكل متطور من أشكال الزقورات العراقية، فقد وجد فيها المصمم المسلم ما يلائم فكرة الانتقال من المادي الى الروحاني، فأعطاها بعدا روحانيا متميزا بالأناقة والخلق والأصالة. (عبد الرحيم غالب، مصدر سابق، ص٢٣٢)

والعمارة الإسلامية على عهد النبي محمدﷺ والخلفاء الراشدين لم تعرف هذا العنصر المعماري. ولكن برزت المئذنة من خلال استخدام صوامع المعابد الرومانية بدمشق للأذان عند بناء جامع دمشق الأموي، وبذلك نشأت فكرة المئذنة في الأبنية المسجديه في سوريا أثناء حكم بني أمية، فاعتمد المسلمون على نظام الأبراج السورية في بناء المآذن. (عبد الرحيم غالب ومصدر سابق، ص ٢٣٣).

٥. المحراب:

يعد ابتكاراً عمارياً إسلامياً استخدم في جدار القبلة لتعيين اتجاهها. عرف المحراب، بصدر البيت وأكرم موضع فيه، والمحاريب صدور المجالس، ومنه

سمى محراب المسجد وقد عُرف أيضا المحراب:قبلة، فمحراب المجلس:صدره واشرف موضع فيه. (حسين مؤنس، المساجد، ١٩٨١، ص٦٦)

ويتكون المحراب من عناصر معمارية وزخرفيه، وهي التجويف، ويتكون من جزأين هما صدر او بدن المحراب وطاقية او خوذة المحراب وثم الدخلات (النواصي)، والعقود، والأعمدة، والصنجات المعشقة، والمقرنصات، ويرتفع بناء البدن (صدر المحراب)، بالمداميك من الحجر الجيري او من الأجر، وذلك طبقا للمسقط الأفقي له سواء كان نصف دائري او مستطيلاً أو حدوياً، اما الطاقية فهي ذات أشكال مختلفة منها المخموس وشكل ربع الكرة، او قد تأخذ شكل محارة مقلوبة وذلك في المحاريب الجصية في العصرين الفاطمي والأيوبي او قد تكون مسطحة خالية من البروزات او بها شرائح رخامية ملونة، وفي هذه الحالة تكون قريبة الشبه من شكل المحارة. (محمد كمال خلاف، ٢٠١٢، ص٥).

٦. المنبر:

يعد المنبر مرقاة الخاطب، كما سمي منبرا لارتفاعه وعلوه، وانتبر الأمير أي ارتفع فوق المنبر، والنبر هو العلو والارتقاء في الصوت. (حسين مؤنس، مصدر سابق، ص٧٢).

وبدا المنبر كعنصر معماري مهم في العمارة الإسلامية عند بناء مسجد قباء، فكان الرسول محمدﷺ يخطب في المسلمين واقفاً على أحد الجذوع متكئاً على عصا، فاقترح المسلمون ان يتخذ شيئا يجلس عليه ويستريح، فوافقهم على ذلك، فصنعوا له منبرا من خشب الأثل يتألف من ثلاث درجات، بحيث تكون

الدرجة الثالثة لجلوسه، ومن أقدم المنابر بعد منبر الرسول محمدﷺ منبر مسجد عمر بن العاص (١٣٢ هجرية)، ثم توالت بعد ذلك إقامة المنابر في المساجد في مختلف ديار المسلمين، وازداد عدد الدرجات بسبب اتساع مساحة المساجد وكثرة عدد المصلين. (اليسير، رنا، مصدر سابق، ص١٤٧).

٧. التيجان والأعمدة:

العمود هو ما يدعم به السقف او الجدار، ولقد اخذ تسميات عدة، فهو عمود في المشرق، وسارية في المغرب، وشمعة في لبنان، واسطوانة على لسان بعض الكتب. (عبدالرحيم غالب، مصدر سابق، ٢٩٣)

اما العمارة الإسلامية ففي عصورها المبكرة استعملت جذوع النخيل كأعمدة، كما في المسجد النبوي، وبعد ذلك لجأً المسلمون الى استعمال الأعمدة اليونانية والرومانية والبيزنطية المجلوبة من المباني السابقة، (بعد معالجتها بما يتلاءم مع وظيفتها الإسلامية)، ثم ما لبث ان اعتمدت العمارة الإسلامية على أعمدة ذات تصميمات وأشكال نابعة من الفن الإسلامي نفسه. (يحيى وزيري، ٢٠٠٥، ص٤٩).

وقد رأى المعماري المسلم في هذه الأعمدة وتكراراتها وكأنها غابة شامخة الى الأعلى بمحاورها العمودية ارتباطاً بالسماء ورمزا للشموخ والسمو والرفعة كرفعة وسمو العقيدة الإسلامية فقد أضافت للمبنى بعدا روحانيا وجماليا إضافة الى بعدها الوظيفي.

٨. الشرفات:

تعد الشرفة بمثابة نهاية الشيء او حافته، تُعد الشرفة من عناصر العمارة الدفاعية في الأسوار والقلاع والأبراج، وهي حجارة تبنى متقاربة في أعلى السور وحوله ليحتمي وراءها المدافعون ويشرفون على المهاجمين ويطلقون عليهم السهام، وكل الزخارف التي تشبهها سواء كانت أعلى المبنى ام أعلى المنبر ام غيرها تسمى شرفة. (عبدالرحيم غالب، مصدر سابق، ص ٢٣٣).

وقد أخذت الشرفات أشكالاً كثيرة من أشهرها المسننة كما في الجامع الأزهر، واستمر استعمالها في العصر الأيوبي والمملوكي، كما ظهرت في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي شرفات يكون الشكل السالب اي الفراغ عكس الشكل الموجب الصلد، كما في مسجد زين الدين يحيى بولاق بمصر، ثم تطورت الشرفات وتلامست وغطي سطحها الخارجي بزخارف نباتية متشابكة كما في مدرسة الغوري في الأزهر. (صالح لمعي، ١٩٧٥، ص٤٠-٤١).

٩. المداخل والأبواب:

المدخل يمثل الفتحة والباب، وهو عنصر عماري وجد منذ ان اهتدى الإنسان للبناء بشكل عام. ظهرت المداخل في العمارة الإسلامية بشكل فريد، بحيث تكون قمة المدخل عادة ربع كروية ومحمولة على نصف قبة او مقرنصات وتوضع الأبواب عادة في المداخل العميقة والعالية جداً، قد تصل إلى أعلى البناء أو تزيد عنه أحياناً، وتصنع الأبواب من الخشب وتنحت أو تحفر فيها زخارف نباتية أو هندسية وتطعم أحياناً بالخشب الثمين او بالعاج او الصدف أو تغطى

برقائق النحاس أو الذهب، كما وزينت واجهات أبواب المساجد والأضرحة بآيات قرآنية للتبرك بها من قبل المسلمين، فأضافت قيماً جمالية عقائدية مكملة لجمالياتها الزخرفية. (محمد حسين جودي، ٢٠٠٧، ص١٢١-١٢٣).

ولقد استعملت في زخرفة المداخل جميع العناصر العمارية الإسلامية وفنونها، كالأقواس الملونة والمتداخلة، والفسيفساء، والرخام، والحليات الحجرية والجصية، وبشكل خاص المقرنصات والمتدليات التي تغطى أحياناً بالكاشي المزجج (يحيى زيري: ٢٠٠٥، ص١١)، كما تنوعت نظم المداخل للعمارة الإسلامية.

١٠. النوافذ:

استخدمت العمارة الإسلامية النوافذ الجصية المثقبة والستائر الجصية المفرغة، ونوافذ الزجاج المعشق بالجص والتي انتشرت في الكثير من بلدان العالم الإسلامي، ومن الأمثلة المبكرة للنوافذ الجصية المفرغة نوافذ قصر حيرة الغربي، والجامع الأموي بدمشق وجامع احمد بن طولون بمصر (سيد بسيوني، ٢٠٠٧، ص١٧٢-١٧٣).

كما عرفت بعض بلدان العالم الإسلامي أنـواع أخرى من النوافذ مثل المدورات الرخامية اليمنية القمريات وهي مناور ضيقة تفتح فوق الأبواب اوالنوافذ في أعالي الجداران والتي امتازت برقتها وجمالها، والشمسيات المغربية، وهي عبارة عن نوافذ نصف دائرية توجد أعلى الأبواب والنوافذ، تغطى بالخشب والزجاج الملون، كما وأصبحت أسلوب النوافذ الزجاجية المعشقة بالجص من

السمات المميزة للعمارة المدنية والدينية في العصر العثماني، ومع دخول العثمانيين الى العديد من البلاد الإسلامية أصبح ذلك هو الأسلوب السائد في العمارة الإسلامية. (سيد بسيوني، مصدر سابق، ص١٧٣)

١١. الصحن:

هو المساحة المكشوفة او المغطاة، وفي العمارة الدينية كالمساجد والمدارس، يتصل الصحن برواق القبلة، كما يشكل الصحن نواة العمارة الدينية والمدنية كالدار والخان والقصر ونحوها، واليه يفضي الباب الخارجي، وعليه تفتح العقود والشبابيك، وحوله تتوزع الحواصل، وسائر المرافق، ولقد ساعد المناخ الحار للدول الإسلامية على ضرورة عمل مساحات مكشوفة، للمحافظة على الاتصال المباشر بالهواء الطلق. (عبدالرحيم، مصدر سابق، ص ٢٤٠)

والصحن هو رمز الحياة، واتصال العربي المسلم الدائم بالسماء، من أجل الدعاء الى الله تعالى، ومن خلال الصحن قد أدخلت فكرة الرمز الكوني بالشكل المعماري، فانه يرمز بجدرانه الأربعة المحيطة بالصحن بأنها أربعة أعمدة حاملة لقبة السماء، فهو مركز جذب لكل العناصر لكي تنتظم وتطل عليه، فالصحن (الفناء) هو قلب المبنى، كالقلب في جسم الإنسان، والإيمان الحقيقي هو إيمان القلب، وبعبارة أخرى فان الصحن هو جوهر المبنى، حيث تطل عليه الحجرات من جميع جهاته بألوانها وزخارفها وحلياتها، وحوله الفتحات والأبواب، ويرجع ذلك الى انَّ الإسلام اهتم بجوهر الأمور وليس بظواهرها. (محمد حسين جودي، ١٩٩٨، ص٦٢-٦٣).

١٢. الإيوان:

الإيـوان وهو عنصر عـماري تواجد في مختلف العمائر الإسلامية الدينية والسكنية.فهو قاعة مسقوفة بقبو لها ثلاثة جدران من ثلاث جهات، اما الضلع الرابع فمفتوح بعقد او قنطرة تطل على صحن أو فناء مكشوف، وقد تتصل بالإيوان قاعات وغرف متعددة حسب وظيفية البناء الموجودة فيه، ولعل اكبر إيوان يرجع الى ما قبل الإسلام بأربعة قرون ولا تزال معالمه باقية حتى اليوم في أطلال المدائن هو إيوان كسرى الذي يبلغ عرضة ٢٥متر وارتفاع ٣٤ متر (كونيل، ارنست، ١٩٦٦، ص٣٥)، ثم انتقل هذا العنصر المعماري إلهام الى العمارة الإسلامية المبكرة، ووجد أقدم أمثلته بقصر المشتى (٧٤٣م) في بادية الشام، وفي قصر الاخيضر (٧٧٨م) في بادية العراق. (فريد شافعي، ١٩٨٢، ص١٦-١٧).

١٣. الأروقة:

يعد الرواق بمثابة الساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة او بين صف من الأعمدة وجدار.وتقام الأروقة عادة بمقدمة الاواوين والحجر في الطابق الأرضي، وأمام الغرف في الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه، وسقفه معقود من الأعلى بمجموعة من العقود، وكانت الأروقة أما ان تحيط بالصحن من جميع جهاته او قد تطل على جانب واحد او جانبين، وقد استخدمت الأروقة لأول مرة في دار الإمارة في الكوفة، كما استخدمت في بيوت العباسيين وقصورهم كما استخدمت أيضا في المساجد، وقد وفرت الأروقة مساحات

مظللة تحيط بالصحن، والحماية من الظروف الجوية، كما سهلت السير والتنقل داخل هذه الفضاءات. (محمد حسين جودي، ١٩٩٨، ص٦٥).

ثالثاً: البناء المعماري للأضرحة:

الضريح هو الحجرة المشتملة على قبر او تربة. وهو عبارة عن بناء تغطيه قبة يقام على رفات إمام أو سلطان او أمير او إنسان له مكانة دينية او دنيوية تدعو الى تخليد ذكراه، والأضرحة اما ان تكون بسيطة منفردة تحوي على غرفة واحدة مربعة مقببة تضم التربة وحدها، وإمآ أن تكون ملحقة بالمسجد او المدرسة او الخانقاة وقد بالغ سلاطين الهند في الإنفاق على الأضرحة وتزيينها بشتى أنواع الزخارف حتى عرفت عندهم بالروضات. (صالح لمعي، ١٩٧٥، ص٢٦ -٢٧).

ويشتمل الضريح على القبر الشريف الذي يغطيه صندوق يكون إما من الخشب الفاخر او الفضة او غيرها من المعادن الثمينة، ويعتبر الضريح قلب الروضة، اما الحضرة، فتشتمل على غرفة الضريح والاواوين المحيطة بها وأروقة الصلاة. (الأنصاري، رؤوف، ٢٠٠٦، ص١٥-١٦)

وقد يكون الضريح اما كتلة واحدة نقية بدون فناء مع التأكيد على الفضاء الوسطي بتشييد قبة متميزة فوقه تؤكد على مركزية المكان، او قد يكون كتلة محاطة بفناء واواوين، وهذا ما يميز الأضرحة الصفوية بشكل خاص مع الاهتمام الكبير بزخرفة الواجهات الداخلية والخارجية للضريح، كما وتنوع شكل الصحن المحيط بكتلة الضريح، فقد يحيطه من أربع جهات اومن ثلاث جهات فقط، ويتحدد الفناء من خلال الاواوين التى تحيط به لتشكل السور الخارجي

للضريح والذي يلج الإنسان من خلاله من عده مداخل، تعرفها بوابات ضخمة ثرية في زخرفتها تصل الى استخدام الذهب والفضة وآلمينا حسب مكانة صاحب الضريح لدى المسلمين. (المالكي، قبيلة، ٢٠٠٧ ص١٨٧)

وتشير بعض المصادر الى ان أقدم ضريح في الإسلام هو ضريح الرسول محمدﷺ، حيث كان قبره الشريف في حجرة موقعها خارج حدود المسجد النبوي في الجانب الشرقي منه، وقد أدخلت هذه الروضة المباركة الى داخل المسجد في عهد الوليد بن عبدالملك، اما القبة التي تعلو الضريح الشريف فترجع الى عصر المماليك، ثم انتشرت بعد ذلك عمارة الأضرحة وخاصة في إيران والعراق والهند ومصر وسوريا وغيرها، ويعتبر ضريح تاج محل بالهند (١٦٣١م) روعة في التصميم والتخطيط المعماري والأسلوب الزخرفي. (الملا، يوسف، ع١٢٧٩٦، ٦ ابريل ٢٠١٣م)

كما واقترن لفظ المشهد بالأضرحة العلوية والفاطمية بشكل خاص، والتي انتشرت في العراق ومصر وغيرها، كما ان بناء هذه المشاهد لم يختلف في الحقيقة عن بناء الأضرحة، فهما تسميتان لبناء واحد، فقد تميز المشهد بمسقط مربع تعلوه قبة، وكانت عمارته عبارة عن بناء يتكون الجزء الشرقي منه من ثلاث حجرات غطيت الوسطى منها والتي تحوي على قبر بقبة بينما غطيت كل من الحجرتين الجانبيتين بقبو او سقف مستوٍ، كما اشتمل المشهد على صحن صغير كما في مشهد الجيوشي (١٠٨٥م) والسيدة رقية عليها السلام (١١٣٣م) في مصر. (عبدالرحيم غالب، مصدر سابق، ص٣٨٤-٣٨٧)

رابعاً:البناء العماري للعتبة الحسينية المقدسة:

تقع الروضة في مدينة كربلاء المقدسة، والتي تضم رفات الإمام الحسين بن علي عليهما السلام (٦٨٠)م وقد امتازت بفخامتها وطرازها المعماري الإسلامي الفريد، ولقد مرت عمارة الروضة الحسينية بمراحل مختلفة كان أولها عمارة المختار بن عبيد الثقفي (٦٨٦ م) حيث بني على القبر الشريف مسقف ومسجد، اما العمارة الثانية فكانت في عهد المأمون (٨١٣)م حيث أقيم بناء شامخ على القبر من الطابوق والجص، وفي عهد المنتصر بالله (٨٦١)م شهد الضريح العمارة الثالثة، حيث أقيم بناء على القبر الشريف تعلوه قبة من الآجر والجص، كما تجددت عمارة المرقد للمرة الرابعة من قبل الحسن بن زيد ملك طبرستان، حيث شيد فوق القبر بناء تعلوه قبة عالية وسقيفتان اتخذتا كمسجد، وأحيط البناء بسور. (الأنصاري، رؤوف، ٢٠٠٦، ص١٢١-١٢٣)

اما العمارة الخامسة فشيدها عضد الدولة البويهي (٩٨٠-٩٨٢)م حيث جدد عمارة المرقد، وزين من الداخل بالصاج الأحمر وأحاطه بصحن واسع وسور عالٍ ذي أربعة أبواب، كما تم بناء المسجد والرواق الملحق بالحضرة، كما شهد الضريح عمارة سادسة في عهد الحسن بن الفضل وزير الدولة البويهية، من بعد اثر حريق كبير أصاب المرقد، اما العمارة السابعة فكانت بأمر السلطان اويس بن الشيخ حسن الجلائري (١٣٦٦)م، حيث شيد قبة عالية تحف بها مئذنتان في مقدمة الحرم، كما شيد البهو الأمامي المعروف بإيوان الذهب (المصدر السابق نفسه، ص١٢٣-١٢٤) ومرت عمارة الروضة الحسينية بمراحل عديدة حتى يومنا هذا، كما واستمرت عمليات الترميم والتوسيع حيث بدأ بإنشاء طابق ثانٍ

للسور الخارجي للصحن الحسيني المبارك، وتسقيف الصحن والحاقه بالحرم.

ويتألف المرقد الشريف من ثلاثة أجزاء وهي السور، والصحن، والضريح، ويحيط بالمرقد سور عالٍ يفصل الروضة عما يحيطها من الخارج وقد زين بالطابوق الأصفر والقاشاني، اما من الداخل تتوزع الايوانات والتي يبلغ عددها ٦٥ إيواناً تطل على الصحن وكل ايوان يحوي على حجرة مزينه جدرانها بالفسيفساء، وللسور عدة أبواب ذات طاق معقود بالفسيفساء، وزين جدران الصحن بالزخارف المتنوعة، وغلفت أرضية الصحن بالمرمر الأبيض، اما الحرم الحسيني فقد أحيط بأربعة أروقة عرض الواحد منها ٥م (الجبوري، زينب، ٢٠١٠، ص١٠٢-١٠٤)

كما وقد كسيت جدران الأروقة الى ارتفاع مترين بالرخام اما بقية الجدران والسقوف فكسيت بزخارف من الكريستال وقطع المرايا، ولهذه الأروقة ثماني أبواب تطل على صحن الروضة، وأهمها الباب الرئيسي الباب القبلي، باب الذهب، ينفتح على بهو واسع يعرف بإيوان الذهب ويرتفع بناء هذا الإيوان أعلى من مستوى بقية أجزاء البناء عدا القبة والمئذنتين، كما زينت الجداران الخارجية للروضة بتشكيلات زخرفيه من الآجر والقاشاني، اما غرفة الضريح فتبلغ مساحتها (١٤×٩,٧٣) متر مربع، تقوم فوقها قبة شكلها نصف كروي مدبب الرأس قطرها ١١,٣٩م، ترتكز على اربع دعامات ضخمة ذات مقطع مستطيل، وتجلس هذه القبة على رقبة اسطوانية تتخللها نوافذ عددها ١٢ ذات عقود مدببة، وقد طليت القبة من الخارج بقشرة من الذهب، كما وقد توجت الرقبة بنطاق من القاشاني يحوي على آيات قرآنية كريمة بلون ابيض على أرضية

زرقاء داكنة. (الأنصاري، رؤوف، مصدر سابق، ص ١٢٩-١٣٠)

كما وتم تسقيف صحن الروضة الحسينية وتحويله الى قاعات مسقفة كبيرة ملحقة بالحضرة، ويعلو هذا السقف أربع عشرة قبة متحركة على عدد الأئمة المعصومين للتهوية وقد زينت بالقاشاني الملون الجميل، (الجبوري، زينب، مصدر سابق، ص ١٠٣)

الفصل الثالث

إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث والعينة:

قام الباحثان باختيار عينة للبحث، تمثل مفردات عمارية اسلامية ضمن البناء المعماري للعتبة الحسينبة المقدسة، وهي تنتمي الى الحدود الزمانية للبحث، وتمت عملية اختيار عينة البحث وفقاً للمبررات الآتية:

١. تغطي الطرز العمارية الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة، وبما يتلاءم مع تمثيلها للنماذج العمارية ضمن حدود البحث.
٢. تم إستبعاد النماذج العمارية التي تكررت صياغتها الشكلية وموضوعاتها واسلوب بنائها.
٣. اتسمت نماذج عينة البحث بالتنوع وبالوحدات الهندسية المتعددة.
٤. أخذ الباحثان عند اختيار عينة بحثهما بآراء بعض ذوي الخبرة والاختصاص*.

ثانياً: أداة البحث

إستند الباحثان في عملية التحليل على المعطيات المعرفية التي وردت في مباحث الفصل الثاني والتي لها علاقة بالموضوع.

ثالثاً: منهج البحث

اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي، في تحليل عينة بحثهما، لكونه ينسجم مع تحقيق هدف البحث

* ذوو الخبرة والاختصاص هم

١. أ. د. عباس جاسم حمود الربيعي، تصميم طباعي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.
٢. أ. د. صفاء حاتم السعدون، فنون التشكيلية-رسم، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.
٣. أ. م. د. حسن عبد علي الكسبي، هندسة معمارية، كلية الهندسة، جامعة بابل.
٤. م. د. صباح محمد عبد مصحب، هندسة معمارية، كلية الهندسة، جامعة بابل.

رابعاً: تحليل العينة

الروضة الحسينية المقدسة في كربلاء المقدسة

اسم الضريح	العتبة الحسينية
تاريخ أول إنشاء	٦٨٦ م
الموقع	العراق – كربلاء
العناصر	القبة الذهبية – قبة متحركة – المئذنة – المدخل – السقف – شباك الضريح – العمود

٢,١. القبة الذهبية:

الموقع	تعلو غرفة الضريح وتتوسط في موقع الحضرة المطهر
الخامة	من الأجر المغلف بالذهب
نوع الزخارف	هندسية وكتابية
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	محوري عمودي - دائري

تستند قبة الضريح بشكلها الكروي المدبب الرأس على رقبة اسطوانية طويلة شكل (١) تتخللها نوافذ متماثلة شامخة برؤوس عقودها المدببة العمودية المتجهة نحو الأعلى عددها ١٢ نافذة، وقد توجت هذه الرقبة من الأعلى بشريط ذي بناء دائري من بلاطات القاشاني نقشت عليها آيات قرآنية باللون الأبيض على أرضية زرقاء داكنة شكل (١ أ)، وقد علا هذا الشريط حلقة من الوحدات الهندسية المكررة قوامها خطوط عمودية قصيرة مثلثة القطاع، تربط مابين أعلى الرقبة وأسفل محيط القبة من الخارج شكل (١ ب)، وقد تمثلت في هذه الوحدات، مسارات عمودية متصاعدة نحو الأعلى، كما وكسيت القبة بقشرة من الذهب، ليكسبها هذا اللون توهجا ونورا وسموا وبعدا روحانيا، كما وعلت القبة سارية من الذهب تعلوها كلمة الله التي تستند على ثلاث كرات صغيرة وتكوين قوسي مدبب وقد اصطفت متموضعة على محور عمودي، مخترقة به عنان السماء. شكل (١ ج) شكل (١)

فكانت القبة المذهبة التي تتلألأ متوهجة بقوسها التوحيدي، وتشكيلها الجمالي، وتكرار نوافذها الشامخة الى الأعلى بعقودها التوحيدية المدببة، وشريطها الازرق ذي الكتابات من الآيات المنزهة، وبساريتها التي تخترق عنان السماء رافعة كلمة الله موحدة، فقد عبرت هذه القبة من خلال حركة العناصر والوحدات الهندسية، باتجاه مساراتها التصاعدية نحو السماء عن الجانب الروحي والمطلق، والسمو العقائدي في تناسق جمالي وانسجام شكلي، وتناغم لوني.

شكل (١ أ) شكل (١ ب) شكل (١ ج)

٢,٢. القبة المتحركة

الموقع	في منتصف الصحن الشمالي تعلو الرواق المؤدي لباب السلام
الخامة	سيراميك
نوع الزخارف	مختلطة
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	دائري

شكل (٢)

تتكون القبة من أجزاء على شكل حلقات ذات بناء دائري تتمحور حول دائرة مركزية ذهبية اللون شكل (٢)، مزينة بعبارة الحجة بن الحسن العسكري، فالحلقة الأولى المنبثقة من القرص الذهبي شكل (٢ أ) تتكون من وحدتين زخرفيتن نباتيتين خضراء اللون وبرتقالية تتبادلان التأثير بالتناوب تحت أرضية زرقاء تحوي على شبكة من البراعم الزهرية والأغصان اللولبية وقد تتكرر على طول هذه الحلقة شكل (٢ ب)، كما وأحيطت هذه الحلقة بإطار يحتوي على زخارف نباتية رتبت متجانسة بمجموعات ثنائية وثلاثية متكررة بالتناوب من اللونين البرتقالي والأزرق، وقد انبثق من هذا الإطار حلقة بيضاء قد زينت بآيات من القرآن الكريم مكتوبة بخطوط زرقاء شكل (٢ ج) قد أضافت للمشهد البصري، جانباً روحياً وجمالياً من خلال انسجامها وتناسقها مع بقية الأجزاء. اما الحلقة الأخيرة بأرضيتها الزرقاء تتناوب فيها الأشكال النباتية بتفاصيلها الدقيقة، وبألوانها البراقة الخضراء والبرتقالية والذهبية والبيضاء والتي تصطف بترتيبات دائرية منبثقة من الداخل الى الخارج شكل (٢ د) قد رسمت بدورها إطاراً خارجياً رفيعاً، يتناغم بلونه مع إطار الحلقة التي زينتها الآيات القرآنية. فلقد أضافت هذه الألوان والتكوينات الشكلية بطاقاتها الكامنة إيقاعا حركيا من خلال مساراتها ألشعاعيه نحو الداخل، لتؤكد على مركزية القبة التي بدت بلونها الذهبي كالشمس التي يشع منها ضوء الهداية ويرتفع منها الدعاء، بتناسق جمالي، وتناظر محوري وإتزان كتلي.

شكل (٢ أ) شكل (٢ ب)

شكل (٢ ج) شكل (٢ د)

٢,٣,١. السقف:

الموقع	في الصحن الشمالي
الخامة	القاشاني
نوع الزخارف	زخارف هندسية ذات حشوات نباتية
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	شبكي

شكل (٣-١)

تترتب الوحدات الهندسية على السقف مربع الشكل من خلال شبكة رباعية، فتولدت منها نوعان من المضلعات ثمانية الرؤوس المتماثلة ذات الحركة الوميضية، تتكون الأولى منها من تراكيب نباتية برتقالية اللون على أرضية سوداء شكل (٣-١ أ)، والأخرى ذات تراكيب نباتية بيضاء على أرضية زرقاء شكل (٣-١ ب)، وتكون ما بين هذين الشكلين في بناء جمالي متراكب وحدات هندسية مربعة قوامها أربع مخمسات شكل (٣-١ ج) تشير برؤوسها الى زوايا المربع، أما قواعدها فتستند على مربع في حالة الانقلاب بزاوية ٤٥ درجة شكل (٣-١ ج)، وقد تكررت هذه الوحدات قي نظام شبكي لتكون بينها مثمنات بشكل متناوب شكل (٣-١ د).

وقد أعطت هذه التكرارات المنتظمة للأشكال الهندسية في بنائها الشبكي، تناسقاً جمالياً، وتناظراً محورياً، واتزاناً بصرياً وانسجاماً شكلياً.
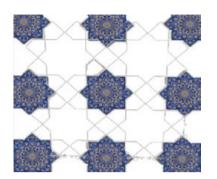
شكل (٣-١ أ) شكل (٣-١ ب)

شكل (٣-١ ج) شكل (٣-١ د)

٢,٣,٢. السقف:

الموقع	في الصحن الشمالي
الخامة	القاشاني
نوع الزخارف	هندسية ذات حشوات نباتية
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	شبكي

شكل (٣-٢)

يتكون السقف (المستطيل الشكل) من وحدات هندسية تنبثق من شبكة رباعية شكل (٣-٢ أ) قوامها أشكال ثمانية متماثلة تحوي على زخارف نباتية برتقالية اللون على أرضية سوداء شكل (٣-٢ ب)، وقد اصطفت هذه المثمنات بتناسق على خط واحد لتحصر بينها أشكالاً رباعية قد زينت دواخلها بزخارف نباتية زرقاء لها أرضية بيضاء، وقد ترتبت بشكل نجمي خماسي وثماني الرؤوس شكل (٣-٢ ج)، فتولد من هذه التراكيبة المنتظمة شكل خماسي يحتوي على زخارف نباتية برتقالية اللون على أرضية زرقاء، وقد اصطفت هذه الأشكال الخماسية بتكرارات متقابلة ومتعاكسة ببناء جمالي، لتملأ الفراغات بشكل متجانس. شكل (٣-٢ د).

فكانت تكرارات هذه الوحدات النجمية بحركتها الوميضية، وبتناسقاتها الشكلية وتناغماتها اللونية وما تحويه تكويناتها الثمانية والخماسية من دلالات رمزية قد عبرت عن فكرة التوحيد وسمو العقيدة في بناء جمالي واتزان بصري وتناظر محوري.

شكل (٣-٢ أ) شكل (٣-٢ ب)

شكل (٣-٢ ج) شكل (٣-٢ د)
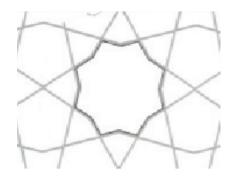
٢,٤. المئذنة:

الموقع	في الواجهة الأمامية للحضرة على جانبي القبة
المادة	الآجر المطلي بالذهب
نوع الزخارف	هندسية وكتابية
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	عمودي وشبكي، وشعاعي

شكل (٤)

تتكون المئذنة من جسم دائري القطاع ترتفع بشكل اسطواني شامخة الى الأعلى في بناء محوري عمودي شكل (٤)، وقد غطيّ سطحها ببلاطات ذهبية مربعة تترتب بشبكة رباعية اتخذت محاورها زاوية ٤٥ درجة شكل (٤ أ)، اما أسفل حوض المئذنة، فقد توج بشريط من الآيات القرآنية على أرضية زرقاء قد أضافت للمشهد البصري تناغماً لونياً وانسجاماً جمالياً.شكل (٤)

كما وزين باطن حوض المئذنة بثلاثة صفوف من المقرنصات المثلثة القطاع بترتيبات إيقاعية متجانسة في بناء هرمي جمالي، قد أعطت مساراتها المتصاعدة، حركة عمودية الى الأعلى شكل (٤ ب)، اما شرفة الأذان المسقفة قد احتوت في قسمها العلوي إثني عشر عقداً مدبباً منفرجاً متماثلاً تشير برؤوسها الى الأعلى،

وقد استندت هذه العقود على أعمدة رفيعة بتكرارات متناسقة، اما القسم السفلي لهذه الشرفة، فقد زين بمربعات كبيرة قد حوت دواخلها خمس دوائر صغيرة في تشكيل جمالي متناسق.

وقد اعطت هذه الشرفة علواً لبدن المأذنة العلوي بمقطعه الدائري، ذي قطر أقل من جسم المئذنة في تناسب محوري متجانس، كما توجت المئذنة في أعلاها بقبة صغيرة بصلية الشكل لها حافات ذات أضلاع مفصصة شكل (٤ ج)، والتي رتبت بشكل شعاعي، تتمثل فيها حركة المسارات الشعاعية المتصاعدة الى مركز القبة لتتلقفها سارية المئذنة التي تتألف من التحام كرات صغيرة بشكل عمود تعلوها كلمة الله لتخترق بها عنان السماء رافعة صوت الأذان مكبرة وبشهادة أنْ لا إله إلا الله مهللة. فقد استطاعت الوحدات الهندسية للمئذنة بمقرنصاتها وعقودها التوحيدية، وبأضلاعها الشعاعية وترتيبها المتصاعد وشكلها المتجانس ولونها الذهبي المتناغم مع زرقة السماء، لتضيف للمشهد البصري تنوعاً شكلياً ضمن إطار الوحدة التصميمية للمئذنة، وبعدا جماليا إضافة الى بعدها الروحي المعبر عن سمو العقيدة، والروح المطلقة.

شكل (٤ أ) شكل (٤ ب) شكل (٤ ج)

٢,٥. المدخل:

الموقع	في وسط الرواق القبلي يعرف باسم ايوان الذهب
المادة	الآجر المغطى بألواح الذهب
نوع الزخارف	مختلطة
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	عمودي، شعاعي

شكل (٥)

تتكون واجهة المدخل المذهبة من قوس توحيدي مدبب شكل (٥) قد زينت قمته من الداخل بخطوط عددها اثنا عشر خطاً، قد انطلقت من مركز العقد بشكل أشعة الشمس لتستند على رؤوس مثلثات متوجة رقبة المدخل، وتنمو من هذه المثلثات خطوط تكون بدورها معينات تتسع في حجمها وتقل في عددها باتجاهها نحو الأسفل شكل (٥ أ)، وقد ترتبت بشكل متناظر على جانبي المدخل، وارتكزت هذه المعينات بدورها على شريط أفقي من القاشاني مرصع بالآيات القرآنية

المذهبة على أرضية زرقاء ليكتسب المشهد اتزاناً بصرياً وتناغماً لونياً.شكل (٥)

ولقد استند هذا الشريط الكتابي من الجهة الأمامية على زوج من العقود المتناظرة على جهتي المدخل بتكاثف جمالي شكل (٥)، وكانت هذه العقود مدببة الرأس منحوتة في بلاطات الذهب وقد استطالت أجسامها لتحوي على مزهريات وتراكيب قوسيه مصطفة بشكل عمودي شكل (٥ ب)، قد زينت دواخله بأشكال نباتية، وتم إحاطة جوانبها بأشرطة عمودية تحوي على أوراق كاسية مرتبة بتكرارات متتابعة متجهه برؤوسها الى الأعلى.

اما العقد المدبب لمدخل البوابة، والذي تمركز في الواجهة الأمامية، فقد احتوت جهته العلوية على تراكيب شعاعية، مشابهة للعقد الكبير العلوي للمدخل، فأضافت هذه التكرارات المتناسقة اتزاناً وتجانساً للمشهد البصري، كما وقد تدلت من هذا العقد خمسة صفوف من المقرنصات شكل (٥ ح)، قد تراصفت تكويناتها مجتمعة نحو الأعلى، فكانت هذه المقرنصات، بتناظرها العمودي وبلونها الذهبي المتوهج وبنائها الجمالي وبترتيبها المتصاعد قد عبرت عن سمو الجانب الروحي والتي أكدتها مقولة الرسول محمدﷺ (حسين مني وأنا من حسين)، التي زُيّن بها باطن هذا العقد المدبب شكل (٥ ح)، اما الجداران الجانبيان للمدخل فقد زُينا بأطباق نجميه متماسة ذات عشرة رؤوس، وقد رُسِمتْ محيطاتها بنجوم خماسية، ذات حركة وميضية، وقد تم إحاطة هذه الأطباق من الجانبين بأشرطة عمودية تحوي على زوجين من الأشكال الرباعية متماسة ذات الرؤوس المدببة شكل (٥ د) وكأنما في شكلها ارتبط الأسفل بالأعلى واليمين باليسار، وقد اصطفت بتكرارات عمودية متناسقة رابطة بنى

العمارة بالسماء؛ فالمدخل بعقده المدبب (قوس توحيدي) وبأطباقه النجمية ذات الأشكال الوميضية وبلونه الذهبي المتوهج وكتاباته القرآنية ومقرنصاته المتصاعدة وخطوطه الإشعاعية، قد عبرت هذه الوحدات مجتمعة عن سمو العقيدة بتناسق شكلي وبناء جمالي واتزان بصري.

شكل (١٥) شكل (٥ب)

شكل (٥ح) شكل (٥ د)

٢,٦. شباك الضريح:

الموقع	يتوسط قلب الحضرة
المادة	خشب وذهب مع فضة
نوع الزخارف	مختلطة
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	عمودي، شعاعي

شكل (٦)

يتكون الضريح الشريف من تاج قوامه ستة أشرطة أفقية ذات بناء تصاعدي من الذهب المطعم بالفضة شكل (٦) بحيث يكون الشريط العلوي اقل هذه الأشرطة سمكاً وطولاً، وقد زين بالآيات القرآنية، ويليه الشريط الثاني بترتيب متجانس والذي زين بزخارف نباتية دقيقة، اما الشريط الثالث فهو أكبرها سمكا شكل (٦ أ)، ويتكون سطحه من تتابع وحدات ذات تكوينات قوسيه مجتمعة

بهيئة تيجان زهرية قد طعمت بالفضة، وقد تكررت بشكل متجانس بتناغم لوني وتناسق جمالي، وارتكزت هذه الأشرطة الثلاثة على شريط يزيد عنها بالطول وقد زين سطحه بالآيات القرآنية ليضيف للمشهد البصري سموا روحيا. اما الشريط الخامس يماثل الشريط الثالث في سمكه وطوله ولكن بأرضية فضية اللون شكل (٦ ب)، قد زينه سطحه بأشكال ورقية ذات لون ذهبي تحمل زخارف كتابية، قد انسجمت في تكاثف جمالي مع زخارف الشريط الذي يعلو شباك الضريح والذي تناوبت فيه الوحدات المستطيلة المزخرفة بالآيات القرآنية مع والوحدات الزهرية شكل (٦ ب) بترتيب متتابع، وتناسق جمالي لتعطي إتزاناً للمشهد الصوري.

كما واستند تاج الضريح على شباك من الفضة، قوامه شبكة رباعية شكل (٦ ح)، وقد زينَ سطح الشباك بزخارف دقيقة وأنيقة من أشكال نباتية متمثله بأزهار وغصينات لولبية وأوراق كاسية، كما إحتوى الشباك على عقود مدببة خماسية الفصوص شكل (٦ ج)، يعلو كل عقد تركيبة ورقية مفصصة قد زين محيطها ومركزها بتكرار كلمة الله شكل (٦ د)، كما وزينت أعناق عقود شباك الضريح بتراكيب قوسيه اتخذت شكل الورقة شكل (٦ و) متكررة بتناسقٍ جمالي على طول محيط الضريح. فالشباك بعقوده المدببة (قوس توحدي) ذات المحاور العمودية المتماثلة، وتاجه ذي البناء المتصاعد نحو الأعلى شكل (٦)، وبأشرطته المزخرفة بالآيات القرآنية، وبانسجام وحداته وزخارفة المتكررة وتناغمها اللوني وبنائها الجمالي، كل ذلك قد أعطى سمواً روحياً وتناسقاً وإتزاناً شكلياً للمشهد البصري

شكل (٦أ) شكل (٦ب) شكل (٦ح)

شكل (٦ج) شكل (٦د) شكل (٦و)
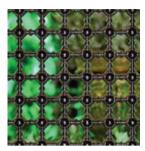
٢,٧. الأعمدة

الموقع	في الواجهة الامامية للضريح
المادة	گرانيت
نوع الزخارف	هندسية
التنظيم البنائي للوحدات الهندسية	عمودي

شكل (٧)

يتكون بدن العمود الدائري المقطع من عشرين قناة تمتد طوليا على شكل خطوط متوازية بشكل عمودي، تعمل بتكراراتها مجتمعة على زيادة طول العمود، وقد ارتكز بدن العمود على قاعدة دائرية القطاع تكون متسعة قليلا من الأسفل ثم ترتفع على شكل اسطوانة محززة بخطوط عمودية ثم تليها اسطوانة ملساء لها قطر يقارب قطر بدن العمود شكل (٧ أ)، اما تاج العمود فيتكون من أربع صفوف من المقرنصات المتدلية والتي رتبت صفوفها المتصاعدة بشكل جمالي لتحويل القطاع الدائري للبدن الى مقطع مربع الأعتاب للعقود العلوية. شكل (٧ ب). وتكرار الوحدات الهندسية من قنوات قد زينت بدن العمود متجهة بحركة مسارات خطوطها العمودية نحو الأعلى، والتي أكدتها تراكب صفوف المقرنصات المتدلية بشكل هرمي من التاج، في إيقاع تراتبي وانسجام شكلي كل ذلك قد أضاف تناسقا جماليا لبنى العمارة المتمثلة بالعمود.

شكل (١٧) شكل (٧ ب)

الفصل الرابع:
نتائج البحث

أولاً: نتائج البحث

١. تكون المعالجات البنائية الخاصة بالتنظيم الهندسي المنفذ على المفردات العمارية للعتبة الحسينية المقدسة على صلة وثيقة بمعطيات تحقق الامتداد البصري والانتقال من مستوى (الصورة المرئية) إلى مستوى جديد من (الصورة – الأثر) التي يكشف من خلالها الفنان المسلم عن تنافذ لغة الخطاب الجمالي المتعالي مع التفاصيل الجزئية المشكّلة للوحدات الهندسية.

٢. تنشأ العلاقات الجمالية في النظم الهندسية عبر حالة من الادراك الذهني البصري للشبكات الرياضية المشكّلة للوحدات الهندسية في عمارة العتبة الحسينية المقدسة مثل حضور الشبكات الرباعية في الكثير من المفردات العمارية الاسلامية كما في شكل (٣-١، ٣-٢)، شكل (٤ أ)، شكل (٦ ح).

٣. يعتمد النظام ألشعاعي المستخدم في الوحدات الهندسية على إظهار توصيفات جمالية من خلال تمركز البؤر البصرية في أفق فضائي متداخل ينسجم مع التشكيلات الشعاعية المتنوعة في أعالي المئذنة والسطوح الخارجية للقبة ودواخلها، ودواخل أقواس الترحيب.

٤. ارتبطت الأهمية الجمالية للنظام الدائري المستخدم في الوحدات الهندسية مع فلسفة الشكل (الدائري) وتكيّف المعنى المتداول من ثنائية البداية والنهاية، وفكرة الاستمرارية والتعاقب الكوني للحياة في الفكر الإسلامي، وجاء حضور هذا النظام في بطن القبة الشريفة، وفي طوقها، والمئذنة، كما في شكل (١ أ) شكل (٢ أ، ٢ ح، ٢ ء)، شكل (٤).

٥. إن النظام المحوري العمودي حقّق تلازماً وظيفياً لمعطيات التجريد الهندسي فضلاً عن ارتباطه بالمعطى الجمالي لطبيعة البناء المعماري الإسلامي، كما في شكل (١ أ، ١ ب، ١ ج) وشكل (٤ ب، ٤ ج)، وشكل (٧، ٦).

٦. ظهرت المقرنصات في شكل (٤ ب) كما توجّت أعالي المئذنة بقباب وكانت مفصصة شعاعية شكل (٤ ج).

٧. إن الاستدلال البصري لمفردة (القبة) في عمارة العتبة الحسينية المقدسة يُظهر استيعاباً معرفياً لقدسية (المكان الديني) وتنوع الأطر الهندسية عليها.

٨. تظهر الطبيعة العمارية للعتبة الحسينية المقدسة اهتماماً بجماليات التشكيل الهندسي للأعمدة والتي تنوعت أشكالها وصياغتها، فقد اتسمت بالانسيابية وكانت ذات بدن يحوي على قنوات وتيجان مقرنصة كما في شكل (٧).

٩. زينت الأبواب بشبكة رباعية قوامها مربعات وظهرت أشرطة كتابية من الآيات والأحاديث النبوية كما في شكل (٥ ح).

١٠. اتسمت شبابيك الضريح المقدس باعتمادها على شبكات رباعية التكوين كما في شكل (٦ ح) وقد زينت بعقود مدببة ذات فصوص كما في شكل (٦ ج)، كما علت هذه الشبابيك تيجان من أشرطة كتابية كما في شكل (٦ أ، ٦ ب).

١١. أعطت تشكيلات السقوف في عمارة العتبة الحسينية المقدسة تناسقاً جمالياً مع الأنظمة الشبكية الرباعية ذات الأشكال النجمية الثمانية والخماسية كما في شكل (٣-١) (٣-٢ ج).

١٢. أظهرت العقود المستخدمة في عمارة العتبة الحسينية المقدسة نسقاً تصميمياً وفقاً لصور العقد وعلاقات البناء الشكلي فيها، ومنها العقود التوحيدية المدببة والعقود المفصّصة والعقود المقرنصة.

١٣. خضعت بعض النماذج البصرية للمقرنصات إلى أنظمة شعاعية مقرنصة كما في شكل (٥ ح)، وهرمية مقرنصة كما في شكل (٤ ب)، شكل (٧ ب).

١٤. حققت سمة (التماثل) بعداً جمالياً واضحاً في الأقواس والأعمدة والعقود والأبواب كما في شكل (٣-١) (٣-٢)، شكل (٤ ب) شكل (٦).

١٥. إن الطبيعة الحركية للوحدات الهندسية المنفذة على مفردات عمارة العتبة الحسينية المقدسة تنطوي على معطيات جمالية تربط خصوصية الفعل الحركي للوحدة الهندسية بالنسق الفضائي المحدد لمسار واتجاه الخطوط والزوايا والأشكال كما ظهر ذلك في شكل (١) شكل (٢ د) شكل (٣-٢) شكل (٤ب، ٤ج) شكل (٥ ح، ٥ د) شكل (٦) شكل (٧).

ثانياً: الاستنتاجات

١. إن النظم الهندسية في عمارة العتبة الحسينية المقدسة، تحتكم إلى قوانين رياضية، وتعزز من قيمة الأثر الروحي والوجداني، الذي يتمثل بمحمولات النزعة الهندسية الزخرفية، فضلاً عن التنظيم الهندسي المتنوع للأشكال والخطوط

والألوان وتوزيع المساحات البصرية ضمن الفضاء العام لبناء العتبة المقدسة.

٢. تعمل التشكيلات العمارية في عمارة العتبة الحسينية المقدسة على إضفاء التنويع على الأشكال الهندسية، وإظهار طاقة الشكل المعماري ضمن تصورات المكان الديني، وبما يتلاءم مع نمط العلاقات الجمالية المتشكلة على مفرداتها.

٣. يمثّل (الجمال الهندسي) في عمارة العتبة الحسينية المقدسة، استدلالاً فكرياً لتحوّل السياق البنائي للعناصر من المستوى الحسي إلى المستوى المدرك ذهنياً، ووفقاً لخصوصية البنى التصميمية للمفردات العمارية.

٤. اتسمت مفردات عمارة العتبة الحسينية المقدسة بالتكامل الجمالي والوظيفي، وتنظيم الصياغات الهندسية للوحدات، وتحفيز الخواص الحركيّة للعناصر ضمن وحدات معمارية فاعلة.

٥. سعى المعماري المسلم إلى اقتراح معالجات تضمينية للأسس المثالية والمعايير المنطقية في أبنية النظام المعماري الإسلامي عبر فتح آفاق جديدة لعلاقة الدال الهندسي بالمدلول الجمالي (الروحي)، والذي يكشف من خلالهِ عن المعاني والدلالات الوجدانية العميقة ومن ثمّ يمثّل اظهاراً حقيقياً لتجلي طبيعة الجمال السامي في المفردات العمارية الإسلامية.

٦. ساقت عمارة العتبة الحسينية المقدسة نماذجها البصرية إلى مستوى مفاهيمي يتصل بالرؤية التطوّرية للأنساق الجمالية في فن العمارة الإسلامية من خلال استيعاب التحولات المعرفية والاجتماعية التي رافقت معطيات النهضة الإسلامية وتكامل المشروع الإسلامي.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
١. احمد عبدالكريم، النظم الإيقاعية في جماليات الفن الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١.
٢. إسماعيل شوقي إسماعيل، الفن والتصميم، كلية التربية الفنية – جامعة حلوان، ١٩٩٩.
٣. الألفي، ابو صالح، الموجز في تاريخ الفن العام، دار نهضة، مصر، قاهرة، ١٩٧٧.
٤. الألفي، ابو صالح: الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه، ط٢، دار المعرفة، لبنان، ب ت.
٥. الأنصاري، رؤوف محمد علي، عمارة كربلاء، دراسة عمرانية وتخطيطية، الصالحاني للطباعة، دمشق، ٢٠٠٦.
٦. البسيوني، محمود، اسرار الفن التشكيلي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠.
٧. بشر فارس، سرالزخرفة الإسلامية، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ب ت.
٨. بلقيس محسن هادي، تاريخ الفن العربي الاسلامي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩٠.
٩. البهنسي، عفيف، ٢٠٠٣ العمارة الهوية والمستقبل، دائرة الثقافة والإعلان، المركز العربي للفنون، الشارقة.
١٠. البهنسي، عفيف: الفن الإسلامي، ط٢، دار الطلاسم، دمشق، ١٩٩٨.
١١. ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الاسلاميه، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.
١٢. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، ع٣٧، مجلس الوطني للثقافة ولفنون والاداب، الكويت، ١٩٨١.
١٣. الرفاعي، انور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ط٢، دمشق، ١٩٧٧.
١٤. سامي رزق بشاي، وآخران: تاريخ الزخرفة، مراجعة: قدوري محمد أحمد، الشروق الحديثة للطباعة والتغليف، القاهرة، ب ت

١٥. سكوت، روبرت جيلام، أسس التصميم، ت عبدالباقي محمد إبراهيم، ط٢، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠.
١٦. سيد احمد بخيت على، تصنيف الفنون العربية والإسلامية دراسة تحليلية نقدية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٢.
١٧. الشيخ شبر فقيه، رسالة الفن والجمال في الفكر الإسلامي المعاصر، دار المتقين، بيروت، ٢٠١٠.
١٨. شيرين إحسان شيرزاد، لمحات من تاريخ العمارة والحركات العمارية وروادها، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ب ت.
١٩. شيرين أحسان، مبادئ في الفن والعمارة، دار العربية، ب ت.
٢٠. صالح لمعي، التراث المعماري الإسلامي في مصر، بيروت، ١٩٧٥.
٢١. الصائغ، سمير، الفن الإسلامي- قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.
٢٢. صفا لطفي، تاريخ الفن والعمارة الإسلامية، صائغ، لبنان، ٢٠١٢.
٢٣. عاصم محمد رزق، الفنون العربية الإسلامية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٧.
٢٤. عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠.
٢٥. عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨.
٢٦. فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢.
٢٧. الكحلاوي، محمد، الفن الإسلامي المفهوم النشأة والجماليات، سلسلة الفنون والجماليات، ٢٠١٠.
٢٨. كلود عبيد، التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨
٢٩. كونيل، ارنست، الفن الإسلامي، ت: عيسى احمد، دار الصادر بيروت، ١٩٦٦.
٣٠. المالكي، قبيلة، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٧.

٣١. محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية (خصوصيتها، ابتكاراتها، جمالياتها)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ١٩٩٨.
٣٢. محمد حسين جودي، الفن العربي الإسلامي، دار المسرة، عمان، ٢٠٠٧.
٣٣. محمد الحسيني عبدالعزيز، دراسات في العمارة والفنون الإسلامية، طباعة المطبعة العصرية، الكويت، ب ت.
٣٤. محمد قطب، مناهج الفن الإسلامي، ط٦، دار الشروق، ١٩٨٣.
٣٥. محمد عبدالعزيز مرزوق، الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٥.
٣٦. مصطفى عبدالرحيم، ظاهرة التكرار في الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
٣٧. مصطفى عبده، الإسلام يحرر الفن من القيد الوثني والأسر الكهنوتي، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩.
٣٨. يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، ع٣٠٤، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٤.
٣٩. يحيى وزيري موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب الثاني، ط٢، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.
٤٠. اليسير، رنا إسماعيل، وتاريخ العمارة بين القديم والحديث، أثراء للنشروالتوزيع، الأردن، ٢٠١٠.

المعاجم والقواميس

٤١. ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ج٦، دار المعارف، ب ت.
٤٢. إبن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ج١٣، دارالمصرية للتأليف والترجمة، ب ت.
٤٣. التهانوي، العلامة محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ٢، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.
٤٤. جبران مسعود، الرائد، معجم القباني في اللغة والإعلام، ط٣، دار العلم للملايين،

بيروت، ٢٠٠٣.

٤٥. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١-٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٤٦. الزيات، احمد حسن، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث ج١-٢، ط٥، دار الدعوة، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ب ت.

٤٧. الاعلمي، الشيخ حسين، تفسير الصافي، ج٣، منشورات الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ٢٠٠٨.

الرسائل والاطاريح الجامعية

٤٨. الخزاعي، عبدالسادة عبدالصاحب فنجان، الرسم التجريدي بين النظرة الإسلامية والرؤية المعاصرة دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

٤٩. الرفاعي، أنصار محمد عوض الله، الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، أطروحة دكتوراه، التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٢.

٥٠. القره غولي، محمد علي علوان: جماليات التصميم في رسوم ما بعد الحداثة، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٦.

٥١. الجبوري، زينب رضا حمودي كاظم، جماليات تنوع التكوينات الزخرفية الداخلية في العتبات المقدسة (العراق وسوريا أنموذجا)، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة، بابل، ٢٠١٠.

٥٢. عصام علي شكر، نظريات الجمال وتطبيقها على العمارة العربية الإسلامية (الفترة العباسية في العراق)، رسالة ماجستير في الهندسة العمارية، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

٥٣. العلوي، لؤي سليم محمد الزخرفة الإسلامية بين الشكل والمعنى، رسالة ماجستير في الهندسة العمارية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٥٤. الفتلاوي، حازم جساب محمد علي، جمالية التصميم الزخرفي الاندلسي (قصور الحمراء في غرناطة انموذجا)، رسالة ماجستير، كلية الفنون، جامعة بابل، ٢٠١١.

٥٥. القره غولي، أنوار علي علوان عباس، الأنظمة التصميمية للفنون الزخرفية في المساجد الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، ٢٠١٠.

الدوريات والنشرات

٥٦. الزيباوي محمود، الفن الإسلامي في رؤية سمير الصايغ، مواقف للحرية والإبداع والتغير، بيروت – لبنان، ب ت.

٥٧. اسعد عرابي (المفردات التشكيلية المتوسطية في الفن الاسلامي)، مجلة مواقف للحرية والابداع والتغير، بيروت – لبنان، ب ت.

٥٨. صخر فرزات، مدخل الى الجمالية في العمارة الإسلامية، مجلة فنون عربية، العدد ٥، المجلد الثاني، دار الواسط للنشر، لسنة ١٩٨٢.

٥٩. المالكي، قبيلة فارس، العقد المدبب في العمارة العربية الاسلامية بين قصدية الابتكار وتلقائية الهدف، المورد، وزارة الثقافة دار الشؤون الثقافية العامة، ع٤، ٢٠٠٦.

٦٠. المدفعي، قحطان، (العمارة تجسيد لفكرة الانسان تكيفها البيئة)، مجلة افاق عربية، ع٣، ب ت.

٦١. الملا، يوسف، من وحي الإسلام – نظرات فاحصة في العمارة الإسلامية، جريدة أخبار الخليج، ع١٢٧٩٦، البحرين، ٦ ابريل ٢٠١٣.

٦٢. يحيى حسن الوزيري، القبة في العمارة الإسلامية بين أصالة التصميم والتطوير الواعي، مجلة عالم البناء، مركز الدراسات التخطيطية والعمارية، ع٧٢، أغسطس، ١٩٨٦.

63. Strommenger, Eva, "5000 Years of the art of Mesopotamia" .H.N. Abrams, New York, 1961.

64. Hamlin, Talbot, "Architecture Through Ages" .G.P. Putnam‘s sons, N. Y, 1953.

65. Dan Cruickshank, Sir Banister Fletcher's A History Of Architecture, Twentieth Edition, 2008.

66. S. Clarke, R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, unknown date.

67. Gelerenter. Mark. 1995. Sources of Architectural Form: a Critical History of Western Design Theory: Manchester University press.

68. Fleming. William. Arts and Ideas. 1968. Syrocuse University Itolt. Rinehart and Winston. ING.

69. MAMLUK ART, The Splendour and Magic of The Sultans, Museum With No Frontiers, Al-Dar Al-Masriah. Al-lubnaniaii, Egypt, 2001.

جماليات التذهيب في المخطوطات القرآنية في العتبات المقدسة في كربلاء

Aesthetcism of Gilding in Quranic Manuscripts in the Holy Shrines in Karbala

أ.م. د. شوقي مصطفى الموسوي
م.م. سامرة فاضل الفتلاوي
جامعة بابل
كلية الفنون الجميلة
ماجستير فنون تشكيلية من كلية الفنون الجميلة بجامعة بابل

Asst. Prof. Dr. Shawqi Mustafa Al-Musawy
M. A. Samira Fadhil Al-Fatlawy
Babylon University
College of Fine Arts
M. A. From Plastic Arts

الملخص:

تناول البحث الموسوم (جماليات التذهيب في المخطوطات القرآنية في العتبات المقدسة في كربلاء) الذي يهتم بزخرفة المخطوط بشكل عام والتي اصبحت بمثابة تجلي حقيقي للعلاقة الجدلية بين الفن الزخرفي والفكر الإنساني وملازمته للعقائد الدينية سواء كانت تلك العقائد وضعية ام سماوية؛ اذ احتوى البحث على اربعة فصول اهتم الفصل الاول منها بالاطار المنهجي والمتمثل بمشكلة البحث التي اهتمت بالتعرّف على جماليات التذهيب والياته في المخطوط القرآني للكشف عن التنوع والتجدد الذي نشاهده في تصميم المخطوط، فضلا عن اهمية البحث والحاجة اليه وهدفه الموسوم (تعرف جماليات التذهيب في المخطوطات القرآنية في العتبة الحسينية المقدسة). في حين احتوى الفصل الثاني على الاطار النظري الذي تضمن على مبحثان اولهما تضمن التذهيب في التكوين الزخرفي ومايحويه من اليات اشتغاليه، في حين جاء المبحث الثاني تحت عنوان المخطوطات القرآنية (آليات وتطبيقات).. بينما تضمن الفصل الثالث تحليل عينة البحث البالغة (٢) نموذج عينة.

وصولا الى الفصل الرابع المتمثل بعرض نتائج البحث الحالي ومن اهمها:

١. استعان المزخرف المسلم بتذهيب العناصر الكتابية (نصوص القران الكريم) من اجل منح المخطوط القرآني قيم جمالية خالصة لإضفاء.

٢. عمد الفنان إلى إبراز بعض الآيات من السور القرآنية ليجعلها متداخلة مع التكوينات الزخرفية من خلال تكثيف عملية التذهيب التي تمنح المشهد الزخرفي جماليات مثالية خالصة.

٣. وايضا بعض الاستنتاجات:

أ. سعى المزخرف المسلم الى اظهار القيم الجمالية من خلال اتخاذ التكوينات المذهبة قاعدة للانطلاق نحوالجمال الإلهي، الذي يتحقق من خلال فعل التأمل العميق.

ب. وقد ختم البحث الحالي بالتوصيات ومن اهمها: (جماليات المشاهد الزخرفية في مصاحف الأستاذ طه البستاني).

Abstract

The present research entitled (Aestheticism of Gilding in Quranic Manuscripts in Karbala's Holy Shrine) dealt with the ornamentation of manuscripts in general which was considered a real manifstsation of the argumentative relation between the ornamental art and the human mind and its adherence to religious doctrines whether nagative or positive. The research included four sections. Section one dealt with the methodical framework represented by the problem of the research which dealt with the aesthetcism of gilding with its mechanisms in the Quranic manuscripts to show the variety and renewal which we notice in the manuscript designing in addition to the importance of the research and the need for it and also its aim entitled (knowing the aesthetcism of gilding the Quranic manuscripts in Imam Husain's holy shrine). Section two dealt with the theoretical framework which included two subsections: the first dealt with the gilding in the ornamental construction with the working mechanisms

whereas the second subsection had the title, the Quranic Manuscripts (mechanisms and application). Section three was an analysis of the sample of the research which consisted of two samples. Section four dealt with the results the most important of which are:

1. The Muslim decorator resorted to gilding the written elements (Holy Quran Texts) to give the Quranic manuscripts pure aesthetic values.
2. The artist intended to highlight some suras of the holy Quran in order to make them overlapped with the ornamental constructions by the gilding process which gives the ornamental scene a pure idealistic aestheticism.
3. The research came out with the following important conclusion:

A. The Muslim decorator tried to highlight the aesthetic values by assuming the gilding constructions as a basis for proceeding towards the divine aestheticism which is achieved through deep consideration.

B. The research ended with some recommendations, the most important of which is: (The aestheticism of the ornamental views in the professor Taha Al- Bustany books).

الفصل الاول
الاطار المنهجي للبحث

اولاً: مشكلة البحث وأهميته

حدد الفكر الإسلامي الأطر العريضة للفن الإسلامي وبما يحويه من صور فكرية وفنية خالصة للجمال المطلق وآليات اشتغاله في الفن بشكل عام وفي زخرفة المخطوطات بشكل خاص، حيث شهدت الزخارف المرتبطة بالمخطوطات الإسلامية تنوعاً واضحاً في الأسلوب والأداء، وحفلت بالعديد من التكوينات الزخرفية التي زيّنت المخطوطات الإسلامية المرتبطة بالفكر والعقيدة الروحية كزخرفة المصاحف الشريفة على وجه الخصوص، ابتداءً من العصر العباسي الاول ووصولا إلى القرون (الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر) للهجرة، والتي كانت محمّلة بدلالات روحية خالصة تعتمد عمليات التركيب والتذهيب وطرق التلوين والتكوين، فالمخطوطات الإسلامية وبالتحديد التي تشمل (المصاحف وزخرفتها) كانت تجد ملامسة واضحة لطبيعة الفكر الروحي الإسلامي المغذي للمعطيات الإنسانية والوجدانية التي أفصح عنها (القرآن الكريم) و(السُنَّة النبوية) وما يتناسب مع جوهر الإسلام الواضح.

ومن خلال ما تقدم، نلاحظ أن مقاربات الجمال أوالجمالية في الفكر

أوالفن الإسلامي قد أخذت بالاتساع في المفهوم والتطبيق ضمن إطارات فكرية وفلسفية وجمالية بحدود فن المخطوطات القرآنية في العصر الإسلامي. وبالتالي نذهب بالقول أن الدراسة الحالية تحاول أن تتصدى للمشكلة المتوسمة بإيجاد المقاربات المفاهيمية والإجرائية لتطبيقات جماليات التكوين الزخرفي في المخطوطات القرآنية للوقوف على الكيفية الأدائية والفكرية التي استعان بها الفنان المسلم في إنشاء تكوينات زخرفية ذات طابع جمالي بحدود فن المخطوط، ما يتيح للدراسة الحالية أن تكشف عن الجمال في المخطوطات القرآنية. وأن عملية الكشف عن المخطوطات الغير منشورة مسبقاً تعد عملاً مهماً يحتاج إلى العديد من الدراسات الجمالية حولها ومن هنا آثر البحث الحالي القاء الضوء على المنظومة الجمالية والفكرية ذات الأبعاد الإنسانية والروحية لبنية التذهيب في فن المخطوط. لذا حاول الباحثان التصدي لهذه الإشكاليات ومن ثم الإجابة عن التساؤل التالي: أين تكمن جماليات التكوين الزخرفي في المخطوط القرآني؟

وبناءاً على ما تقدم تتجلى أهمية البحث الحالي في الكشف عن آليات اشتغال الجمالية في كيفية تذهيب المخطوطات القرآنية، وبحدود مراحل تطور فن المخطوط في الفكر الإسلامي فضلاً عن ذلك أن الكشف عن العديد من المخطوطات القرآنية ونشرها لأول مرة تفيد المختصين من الاطـلاع عليها ودراستها.

ثانياً: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى: التعرّف على جماليات التذهيب في المخطوطات القرآنية في العتبات المقدسة في كربلاء.

ثالثاً: حدود البحث:

اقتصر البحث الحالي على دراسة وتحليل نماذج زخرفية مصورة لمخطوطات قرآنية غير منشورة سابقاً في خزانة العتبتين الحسينية والعباسية المقدستين في كربلاء وللحقبة بين القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الهجري.

رابعاً: تحديد المصطلحات:

جاء في عنوان البحث عرض لمصطلحات وجب تعريفها من قبل الباحثان لأهميتها أولاً وثانياً للاختلاف المتواجد في تناولها، وهذه المصطلحات هي (الجمالية – التذهيب – المخطوط).

١. الجمالية اصطلاحاً:

- عرفها علوش: بأنها نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية، وتختزل جميع عناصر العمل في جماليته. وتهتم بالمقاييس الجمالية بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية(١).
- يعرفها ريد بأنها: هي الجمال في حد ذاته كما أنها تعني الموقف الذي يجعل الجميل مقياساً عاماً(٢).
- وردت الجمالية في المعجم الميسر بأنها تُعنى بالقيم والعناصر التي تكسب العمل جمالاً فنياً(٣).
- وبعد الاطلاع على التعريفات السابقة للجمالية ومناقشتها تبنا الباحثان تعريف سعيد علوش في معجم المصطلحات المعاصرة كونه يتفق مع هدف البحث.

٢. التذهيب:

يعرفه الباحثان اجرائيا: (هي عملية معالجة التصاميم بمادة الذهب، ذات الطابع الزخرفي والجمالي في فن المخطوط القرآني والوظيفية للقرآن الكريم، لما للذهب من قيمة روحية وجمالية عالية في الفكر الاسلامي).

٣. المخطوط اصطلاحاً:

- **عرفه النقشبندي بأنه:** هوكل ما يكتب بالمداد على الورق سواء أكان الورق مصنوعاً من قراطيس البردي أم من الكاغد أم من الأكتاف وسواءً كان المخطوط على شكل لفائف أم مجموعة من كراريس أم أوراقاً محفوظة بين دفتين(٤).
- **وفي معجم مصطلحات المخطوط عرف بانه:** المنسوخ بالحرف العربي والمخطوط غير العربي المنسوخ بالحرف العربي كمخطوطات الدول الإسلامية غير العربية كلغات افريقية السوداء واللغات الهندية الأوربية كالفارسية والأفغانية والأوردووغيرها(٥).
- **عرفه طباع بأنه:** مصطلح مستحدث في الأدبيات العربية يقابل المطبوع، وهوتراث الأمم المكتوب بخط اليد(٦).

وبعد إطلاع الباحثان على التعاريف السابقة للمخطوط عرفاه إجرائياً: كل ما كُتِبَ أوزخرف باليد باستخدام المداد وبلون واحد على ورق أوقراطيس.

الفصل الثاني:
الاطار النظري

المبحث الاول: التذهيب في التكوين الزخرفي:

يعد التذهيب من المعالجات التصميمية الزخرفية التي بدورها تعزز الجوانب الجمالية والوظيفية للقرآن الكريم، فضلاً عن كون الذهب من المعادن الثمينة فان له قيمته الروحية حيث ذكر في الكتاب العزيز ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (الحج/ ٢٣) وكذلك ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف/ ٧١). فاللون الذهبي: «هولون من الألوان الحيادية وهولون معدن الذهب وهومن المعادن الثمينة والنادرة في الطبيعة ومن خاصية هذا المعدن انه لا يصدأ، وللون الذهب دلالات معنوية وروحية كثيرة»(٧).

لقد كانت المصاحف الأولى التي كتبت في العهد الراشدي الى حدٍ ما، خالية من التحلية والتذهيب والتعشير(٨)، وعلامات الفصل بين السور، ولم تعرف الزخرفة وتحلية المصاحف إلا في العصر العباسي، كانت الصفحات الأولى والأخيرة وعناوين السور تحظى بعناية أكثر في تذهيبها وزخرفتها فاشترك العديد

من الفنانين المسلمين في زخرفة آيات القرآن الكريم واستغرقوا في ذلك أعواماً كثيرة، (وكانت المصاحف في الصدر الأول من الإسلام على هيئة سجل أولفافة قد تشمل الواحدة منها على سورة أوأكثر، ثم أخذت شكل الأفقر أوالعمود في فترة العصر الأموي وما بعده)[٩]. إذ يقوم الخطاط بكتابة المادة المكتوبة وترك مسافات لتزيين صفحات القرآن الكريم وهوامشه الجانبية فضلاً عن الصفحات الأولى والأخيرة. ويقوم بهذا العمل متخصص في رسم الزخارف بالألوان المختلفة. ثم يسلم المخطوط بعد ذلك للمذهب الذي يقوم بتذهيب وتلوين هذه الزخارف.

دخل التذهيب ميدان المخطوطات العربية منذ وقت مبكر فقد استخدمه أمراء بني العباس في كتبهم ومراسلاتهم لكن القرآن الكريم كان هوالكتاب الوحيد الذي ارتبط به فن التذهيب منذ نشأته عند العرب (فان تعظيم القرآن كان يحث كثير من الفنانين على العناية بتذهيب المصاحف، حيث كان لتذهيبها صلة وثيقة بكتابتها بالخط الجميل[١٠]. وكان التذهيب في القرن الثالث للهجرة بسيطاً ونادراً ما كان إلى ابعد من أغلفة الكتب، وأحياناً كان يقتصر على القرآن الكريم ومن المصاحف المذهبة (مصحف ابن البواب) انظر (الشكل-١) حيث ذهب الغلاف وذهبت الفواصل ورؤوس الآيات. وبرز في التذهيب فنانون مشهورون (كاليقطيني، وإبراهيم الصغير وأبي موسى بن عباد وغيرهم الذين كانوا يلونون الحروف لتميزها عن بعض وكذلك بعض الحركات)[١١].

وقد قام المسلمون بتذهيب مواضع الزخرفة في المصاحف على وجه الخصوص ثم انتقلوا إلى تذهيب الخط باستخدام ماء الذهب (شكل-٢) ويقال أن المأمون أهدى إلى مسجد مدينة مشهد مصحفاً مكتوباً بماء الذهب على رق ازرق داكن[١٢].

وتعتبر مرحلة التذهيب هي المرحلة المهمة بعد مرحلتي الكتابة والتزيين التي مر بها المخطوط، وكانت وظيفة المذهب تأتي مكملة لوظيفة الخطاط أوالرسام، (وكان المصور الذي يتقن فن التذهيب يحرص على أن يضاف لاسمه لفظ «مذهب» كما أن المؤرخين لا يفوتهم أن يتحدثوا عن جمعه بين هذه الفنين الرفيعين)[١٣] وإلى جانب مداد الذهب استعمل المذهبون والمزوقون أنواعاً أخرى من الأحبار الملونة حصلوا عليها بعد تجارب علمية طويلة، الهدف منها الحصول على ألوان جذابة يمكنها أن تضفي جمالاً على الزخارف التي تزيين الصفحات القرآنية. كما أوجدت بدائل رخيصة للذهب مع الحصول على نتائج مقاربة كالذي حضره (جابر بن حيان) فقد حضر كبريتيد النحاس مع غيره من المعادن حبراً مضيئاً استخدمه الخطاطون بدلاً من الذهب وكانوا يدعونه (المرقيشيا الذهبية)[١٤].

يمكننا القول أن فن التذهيب قام على أيدي فئة من الناس احترفت هذه المهنة وعرف أصحابها بالمذهبين وباتت تتمتع بمكانة عاليه في المجتمع الإسلامي لارتباط عملها في الأساس بتذهيب المصاحف، وكان لها الفضل في ظهور، هذا الفن الرفيع عند المسلمين.

المبحث الثاني: المخطوطات القرآنية (آليات وتطبيقات)

يتوجه فن المخطوط في الفكر الإسلامي الى إدراك القيمة الجمالية المتحققة من خلال الشكل عندما حاول الفنان المسلم تقصي جماليات الشكل الزخرفي بمختلف عملياته سواء في التصميم اوالتذهيب، بكونه من أهم الجوانب الأساسية التي تعتمد الظاهرة الجمالية.

حيث كانت المصاحف القرآنية التي نسخت بالخط العربي بانواعه وعلى

وجه الخصوص الخط الكوفي الخالي من الحلي وبعض العناصر الزخرفية الكتابية والنباتية والهندسية التي عرفت في صدر الإسلام وعلى وجه الخصوص المصاحف التي نسبت كتابتها إلى الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام التي حملت صفات المخطوط العربي وصنعته وخصائصه، بحيث كتبت على الرق وكانت الكلمات خالية من الشكل والإعجام[١٥] (شكل-٣).

وبعد توسع رقعة الإسلام أصبح من الصعب على غير العرب قراءة القرآن ونطق آياته بصورة صحيحة، حتى قام أبوالأسود الدؤلي بتنقيط الحروف ولكن ليس لتمييز الحروف كما هوالحال الآن بل ليسهل على الناس النطق الصحيح فجعل النقطة فوق الحرف دليل الفتحة، وجعلها تحت الحرف دليل الكسرة وأمام الحرف دليل الضم، واستخدم نقطتين للدلالة على التنوين[١٦].

ثم استعملت النقط للإعجام وللتمييز بين الحروف ولكن بلون مغاير لمداد الكتابة حيث استعمل فيها الأحمر والأصفر والأخضر، وكانت هذه بداية ظهور الألوان على المخطوطات العربية وبالأخص القرآن الكريم[١٧].

ثم قام العرب بإيجاد طريقة لإزالة اللبس الحاصل نتيجة لكثرة النقط فاستبدلوا نقط التشكيل بحركات تكتب في أعلى الحرف للدلالة على الفتحة، وأسفله للدلالة على الكسرة واستعملوا واواً صغيرة توضع فوق الحرف للدلالة على الضمة، وتكرار الحركات يدل على التنوين[١٨]. ثم بدأت تظهر النقط التي تفصل بين الآيات على شكل مربعات ودوائر تحليها وريقات وزخارف ملونة ومذهبة ثم بدأت زخرفة فواتح المصحف (سورة الفاتحة وأول سورة البقرة) بأشكال هندسية ونباتية، وهكذا بدأت زخرفة المصاحف وتذهيبها حيث صارت تزخرف

الفضاءات المحيطة بالسور بأبدع الزخارف بشكل شرائط واستخدم فيها التذهيب بالإضافة إلى الألوان المختلفة، وكذلك علامات الأجزاء والأحزاب والأعشار كانت ترسم بأشكال دائرية مزخرفة بعناصر نباتية ملونة ومذهبة ووضعت بداخلها الكلمات والأرقام بالخط الكوفي المزخرف كما في (الشكل-٤)(١٩).

وبالتالي نجد ان الفنان المسلم قد استعان بزخرفة المصاحف القرانية ببعض العناصر الكتابية المتمثلة بالنصوص القرآنية وبعض الأحاديث النبوية الشريفة في تزيين جدران الجوامع والمراقد المقدسة وبعض المدارس الدينية في بغداد منذ أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) فضلاً عن تواجد الكتابات على بعض التحف المعدنية والأواني الفخارية المزججة وبعض المصوغات الإسلامية بشتى أنواعها كوسائل للتبرك بالآيات القرآنية أوالأدعية أومن اجل تخليد ذكرى الأشخاص أولتحديد تاريخ بطابع زخرفي جميل(٢٠).

وجد الفنان المسلم في الزخرفة والتجريد طريقاً يخترق حدود الزمكانية متجهاً نحوالباطن ومن ثم محاولاً عبر هذا المعراج الوصول إلى الجمال الخالص. فالزخرفة تعتمد بشكل أساسي على مجموعة من العناصر الدقيقة كالأشكال العضوية المنظمة تنظيماً هندسياً، والأشكال الهندسية المجردة والكتابية التي ترتبط مع بعضها البعض بشكل متآلف ومنسجم وفقاً لمجموعة من القواعد والأسس التنظيمية والرياضية. فتتخذ في تشكيلاتها صوراً متعددة، هي صياغات شكلية مبتكرة تجسد رغبة الإنسان في تحقيق الجمال والكمال في الفن، من خلال إدخال قوانين الطبيعة إليه، سيما القانون الهندسي والمنطق الحسابي الذي يحكم أغلب الظواهر في الطبيعة(٢١).

اذ تتنوع المخطوطات في أشكالها تبعاً لمضامينها فالمخطوطة الطبية (شكل-

٥) تختلف عن مخطوطة الجغرافية (شكل-٦) وتختلف عن مخطوطات المصاحف وتختلف عن المخطوطات في العلوم الإسلامية (شكل-٧) وهكذا، وهذا ما يفند ادعاء بعض القائلين أن العرب ليس لديهم فن، أويمتاز الفنان العربي المسلم بأنه سطحي، فما اختلاف أشكال الكتب في تلك الحقبة التاريخية إلا دليلاً على وعي الفنان المسلم وذكائه وقابليته على التجدد والإبتكار.

واستمرت الفنون الزخرفية عند المسلمين بالازدهار والتطور تبعاً لدرجة قوة الدولة وكانت إرثاً يأخذهُ الخلف عن السلف حتى باتت جزءاً لا يتجزأ من وجدان المسلمين، فالزخرفة تجذب فكر المسلم وتلفت انتباهه وتثير وجدانه وتشعره بأهميته وعراقة تراثه الحضاري الضخم في مفاهيمه التاريخية وحياته الاجتماعية وقيمه الجمالية[٢٢].

المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري:

١. اتفق اغلب المفكرين في الشأن الجمالي الى أن الأشكال الهندسية تحيل ذهن المتلقي إلى جمال المعاني في حين نجد بعض الفلاسفة قد أشاروا إلى ارتباط الجمال بالمنفعة والخير.
٢. إن معرفة سمات العناصر التشكيلية مرهون بوجودها مع عناصر أخرى بالنظر إلى طبيعة العلاقات القائمة فيما بينها.
٣. يسعى الفنان المزخرف الى اقتراح اشكالاً اكثر تعبيراً عن المضامين المستوحاة من مصادر متعددة أهمها البيئة التي يتواجد بضمنها
٤. اعتمد المزخرف المسلم على مبدأ تتجانس التكوينات الزخرفية في الفنون
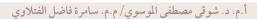
الزخرفية من خلال دراسة العلاقة بين المساحات والأبعاد لابداع إيقاعات يتقبلها المتذوق جمالياً.

٥. اعتمد الفنان المسلم في معظم المخطوطات على مادة الورق والجلد الطبيعي ليظهر مهاراته الزخرفية.

٦. حظيت الصفحات الأولى وعناوين السور في المخطوطات الاسلامية الأولى بعناية كبيرة في تذهيبها بعد كتابة النص القرآني وتزينه.

دراسات سابقة:

لم يجدا الباحثان على دراسة سابقة حول موضوعة التذهيب، بعد أن بحثت في العناوين الواردة في مكتبات جامعة بابل وبغداد والبصرة وكذلك في الشبكة الدولية المعلوماتية (الانترنيت).

الفصل الثالث

اجراءات البحث

- **مجتمع البحث**: اعتمد البحث الحالي على المخطوطات القرآنية المزخرفة بالذهب والتي ظهرت بأبهى حلتها في القرون (الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر) للهجرة والبالغة(٢٠) مخطوطة مزخرفة متواجدة في العتبة الحسينية المقدسة بكربلاء.
- **عينة البحث**: تم اختيار بعض نماذج مصورة لمخطوطات العتبة الحسينية المقدسة، بصورة قصدية كعينة للبحث الحالي والبالغة (٢) مخطوط.
- **منهج البحث**: اعتمدا الباحثان (المنهج الوصفي التحليلي) في تحليل نماذج عينة البحث للتعرف على جماليات التذهيب في التكوينات الزخرفية في المخطوطات القرآنية بدءاً من الوصف العام ومرورا بمرحلة التحليل.
- **تحليل العينة**:
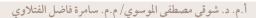
نموذج (١)

المخطوط: المصحف الشريف

اسم الناسخ: غير معروف

تاريخ النسخ: يرتقي إلى القرن الثاني عشر

الخامة: ورق ترمة

القياس: ١٨,٩سم × ١٢سم

العائدية: مكتبة العتبة العباسية/ كربلاء/ العراق
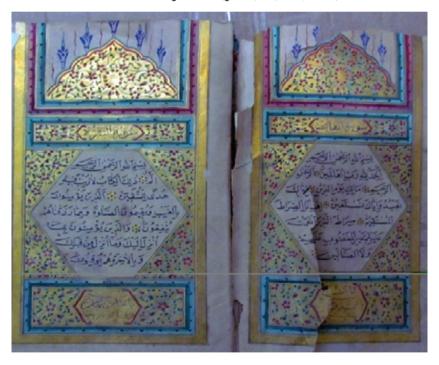
الوصف العام:

يتوسط المشهد الزخرفي في هذه المخطوطة تكوين كتابي بخط النسخ العربي وبمداد أسود وكانت فواصل السور على شكل دائرة ذهبية يتوسطها نقطة تمثل المركز ويدور حولها ست نقاط تناوبت ألوانها بين الأحمر والأزرق بينما وضعت علامات القراءة بمداد احمر على الأرضية البيضاء التي كانت على شكل هندسي سداسي. وفي أعلى التكوين وأسفل النص الكتابي تواجد شريطين زخرفيين تماثلا من حيث الشكل واختلفا من حيث المساحة يحتوي كل واحد منهما على فضاء كتابي في وسطه محدد بالأحمر وقد أطر التكوين بإطار مكون من لونين هما الأخضر والأزرق السمائي المنقط بالأخضر وأحاط بالنص القرآني والأشرطة الزخرفية وردات صغيرة مكونة من خمس نقط مجتمعة حمراء اللون وبراعم وكذلك سيقان وأوراق نباتية خضراء اللون على الأرضية الذهبية. ويعلوالتكوين قبة على هيئة محراب يتوسطها اثنتا عشرة نقطة حمراء تكون دائرة تنبثق منها وتحيطها أغصان متشابكة تحمل وروداً وبراعماً مماثلة لتلك الموجودة في بقية الفضاءات سواء الأشرطة الزخرفية أوالمحيطة بالنص الكتابي. ويلاحظ أن التكوين الزخرفي المكون من تسعة تموجات متجهة نحوالأعلى قد حمل فوق إطارين مفتوحين من الأعلى الأقرب باللونين الأخضر والسمائي المنقط بالأخضر ويليه الثاني باللونين الأحمر القرمزي والوردي المنقط بالأحمر.

وحددت المساحة الذهبية المتموجة من الأعلى باللون الأحمر والذهبي وانبثقت منها تكوينات زخرفية مكررة بالتناوب اشتملت على خطوط متعرجة حمراء وتكوينات هندسية تشبه المنارة من حيث تكوينها المعماري بلون نيلي. ثم

أحاط الفنان العمل جميعه بإطار ذهبي مفتوح الطرفين من الأعلى تاركاً الفضاء المحيط بالقبة بلون الورقة نفسها.

التحليل:

لقد تميز المخطوط من ناحية تلوينه بالذهب الذي اعتمد فيه المزخرف على خاصية القص واللصق التي تتمتع بها رقاقات هذا المعدن الثمين. وكذلك تلاحظ الفطرة التي عمل بها الفنان تكويناته الزخرفية التي امتازت بالبساطة والاختزال قياساً بغيرها للوصول بالتكوين العام إلى تراكيب جمالية تعبر عن المعنى الكلي الحامل للمضامين والدلالات الروحية التي تعلن للمتلقي عن مستويات جمالية في الشكل الهندسي واللون الذهبي والعناصر النباتية.وقد استخدم المزخرف كذلك خاصية الضغط حيث عمد إلى ضغط أشكاله الزخرفية على معدن الذهب ثم تلوينها مما يعطيها قيم ملمسية مختلفة، وكذلك يزيد من انعكاس وتلألؤ الضوء فيزيد من جمالها وأعطى الشكل العام للنص الكتابي وبوجوده داخل التكوين السداسي حدوداً إضافية محدوسة تحيلنا إلى تأمل اللامرئي؛ حيث لا يخرج المتلقي من الموضوع الذي أمامه وهوالقرآن الكريم فكانت الزخرفة المحيطة تعيد القارئ إلى النص من خلال عمليات التركيب والتجريد الحاصل بين التكوينات الزخرفية في هذا المخطوط النادر نجد أن آليات الحدس قد أخذت طريقها في توحيد عناصر الزخرفة (الهندسية – النباتية – الكتابية) بمضامينها الروحية التي تحفل بالجمال الروحي لحظة تطهير الفنان لعناصره الزخرفية من لواحقها المادية المكانية والتعبير عن الجوهر اللامتناهي

للنفاذ من خلاله إلى الجمال المطلق.

رسم المزخرف تكويناته الزخرفية لغاية معينة والغاية هنا تخدم قدسية القرآن وعملية قراءته لأنها تعيد الذاكرة من التشتت إلى المرابطة مع الله تعالى، فلم يكن الهدف من تجميل القرآن بزخرفته الزينة فحسب وذلك لأن القرآن هوجميل بحروفه والتي لها تشكيلات رائعة ناهيك عن معناها السامي، فكانت الزخرفة لا تحيلنا إلى الأشياء الظاهرة المحدودة وذلك لعدم الوقوف مع الطبيعة بل أراد الفنان المسلم أن ينقلنا باتجاه مطالعة الروح في محاولة للوصول إلى الكمال ومن البديهي أن الجمال هومن مقوماته. فالتكوين الزخرفي العام قد امتثل للقوى الروحية الباطنة لدى الفنان ضمن تجربة طقوسية لربما صوفية تجعل من الأشكال الهندسية (المربع – المخمس – المسدس) فضلاً عن الأشكال ذات التكوين المعماري المتمثلة بالمحراب الذي هورمز لاتجاه القبلة (المركز)، وثيقة الصلة بالنفس الإنسانية كقوة مقدسة؛ على اعتبار أن المعرفة الصوفية تعتمد الإشراق في كل شيء ابتداءً من عالم الشهادة (الحس) مروراً بالعقل وما فوقه وصولاً إلى عالم الغيب ليصبح التجريد بمثابة تعبير عن اللامتناهي اللامحدود للإمساك بالجمال الروحي.

كان للتوافق اللوني دوره في إظهار الجمال من خلال استخدام المزخرف للأخضر والأزرق والأحمر والوردي، لما في هذه الألوان من انسجام؛ حيث نجد أن المزخرف قد لجأ إلى استخدام التكرار الجامد مرة والمرن المتناوب مرة أخرى ليضفي بعداً جمالياً آخر على التكوين الذي يدل على البساطة من ناحية الشكل والغلومن ناحية القيمة فنجد أن أشكال العناصر الزخرفية المكونة للوحدات قد

تماثلت في معظم التكوينات تماثلاً تاماً وفي بعضها تماثلاً جزئياً وهذا بدوره أدى إلى تكوين إيقاع غير رتيب.

على اعتبار أن الفنان المسلم قد أكد اللذة الحقيقية للجمال المتمثلة بنشوة الروح الذي أكدها الفيلسوف ابن سينا بعيداً عن اللذة الحسية، أي أن الجمال هنا في التكوينات الزخرفية جمالاً يدرك بالعقل والقلب معاً بحدود مفهوم التجريد. أما العنصر الزخرفي الأكثر انتشاراً في التكوين المتمثل بالزهرة المكونة من خمسة فصوص فإن الرقم خمسة يحيلنا بلا شك إلى ما هوأسمى من مجرد تعريف قيمة الرقم الخاصة، فإن له قيمة روحية تعود بالنفس إلى تذكر أركان الإيمان والتي وردت في القرآن الكريم ﴿... وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى...﴾ (البقرة/ ١٧٧) والذي يؤمن بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله إيماناً صادقاً تكون روحه قد تطهرت من الآثام والمعاصي وابتعدت نفسه عن الشهوات فلا يرى سوى الجمال الإلهي المتجلي في مخلوقاته.

نموذج (٢)

المخطوط: المصحف الشريف المترجم بالفارسية

تاريخ النسخ: يرقى إلى القرن الثالث العشر الهجري

نوع الزخرفة: نباتية هندسية

الخامة: ورق ترمة

القياس: ٤٨,٧ سم × ٢٩ سم

عدد الأسطر: ٧ أسطر

العائدية: المكتبة الحسينية العامة/ كربلاء المقدسة/ العراق

الوصف العام

تتمركز وسط المشهد الزخرفي الآيات القرآنية وقد أحيطت بسحب مذهبة وكتبت أسماء السور على أرضية بيضاء بخط الثلث بالأزرق اللازوردي وبقية الآيات بخط النسخ بالمداد الأسود وفي الأعلى عناصر زخرفية دقيقة جداً من الأزهار والأغصان والثمار والأوراق بوضعية متناظرة بأشكالها الزخرفية وألوانها التي تراوحت بين الأبيض والأحمر القرمزي والأزرق المبيض والأخضر والأصفر الذهبي والتي نقشت على مساحة لونية زرقاء لازوردية وذهبية وبيضاء. وتوسط قاعدة التكوين ورقة نجيلية ذهبية توسطها معين قرمزي قسم إلى أربع فصوص وقد أحاطها تكوين زخرفي بهيئة قلب قاعدته في الأعلى ورأسه إلى الأسفل أرضيته البيضاء دارت فيها وتشابكت سيقان ذهبية ذات عقد، وحدد التكوين بلون أحمر يفصله عن التكوين القبلي الزخرفي الأكبر منه والذي لم يكن مغلقاً تماماً فقد تفرع منه أربع مساحات بشكل طولي في الجانبين من الأعلى والأسفل ليضم شكلين أنصاف معين الأعلى كبير والأسفل صغير مرتبطان معاً وفي مركزه العلوي نصف معين اسود اللون تحيط به أوراق حمراء يبدو كأس زهرة من اليمين واليسار.

وقد مثل الخط المنكسر في أعلى التكوين للشريط الزخرفي اللازوردي الرقمين (٧،٨) مشتركين في الأضلاع ويخرج من السبعات أوراق نجيلية ارتبطت بساق واحدة من الأسفل وكانت بشكل متقابل وتحمل وسطها زهرة اللوتس وأحاطتها أوراق نباتية وزهرات مختلفة في الشكل والحجم ولكنها بلون ذهبي وأحاط بالنص القرآني والزخارف التي تعلوه والتي في أسفله شريط

ازرق منقط بالسمائي ودار حوله شريط زخرفي ابيض احتوى على وردات حمراء وزرقاء بحجم الـوردات التي وضعت كفواصل للآيات بأوراق ذهبية، ولم تكتمل دورة الشريط حيث ترك مفتوحاً من الأعلى. وحدّه من الجهة الخارجية إطاران احدهما أزرق والآخر أحمر تركا دون زخرفة وبين صفحتي الكتاب كان هناك شريطاً زخرفياً أبيضاً احتوى على ورقات نباتية ذهبية مكررة رسمت بشكل مائل، وجمع صفحتي المخطوط المتقابلين شريطاً زخرفياً عريضاً على أرضية بيضاء تتخللها تكوينات معينة زرقاء وعلى جانبي الشريط كتابة بخط النستعليق وهي عبارة عن أدعية باللغة الفارسية. وتموجت وتشابكت السيقان والأوراق النباتية المذهبة وكذلك الورود المختلفة والبراعم وقد استخدم الفنان صبغة حمراء وزرقاء على رؤوس الأوراق النجيلية منها.

التحليل:

استعان الفنان المسلم بجماليات التذهيب للمساحات بين الألوان المتضادة (الخضراء والحمراء والصفراء الذهبية) كونها تسهم في تحقيق بعد جمالي يبتغيه الفنان آنـذاك، من خلال استعانته بجماليات التكرار وفاعليته الإيحائية على نحومتنوع، مما ساعد على لفت انتباه المتلقي وشده لمناخات روحانية تحث على التكامل في رحاب التأويل؛ حيث نجد أن المزخرف قد اهتم بتحوير الأشكال النباتية ومن ثم تلوينها بألوان تختلف عن ألوانها الطبيعية، من أجل يحيل إلى التفكر بالخالق الذي لم يخلق الكون اعتباطاً. فهويلهم الإنسان، ومن خلال الإلهام يميل الإنسان إلى تشكيل عناصره الزخرفية بطريقة تجعل المتلقي يتجرد

من عالمه الأراضي ليسمومعها نحوالعالم المثالي نحوالجمال والكمال؛ حيث جعل له القابلية أن يبدع ويستفيد من المظاهر الطبيعية والتي تثير قابليته في التأثير على المقابل من خلال أشكاله.

حيث نجد أن ظاهرة التكرار قد هيمنت على مشهد المخطوط بحدود التكوينات الزخرفية المذهبة سواء من خلال تكرار اللون الذهبي أوالأزرق اللازوردي أومن خلال تكرار بعض الوحدات الزخرفية ذات العناصر النباتية (الأوراق، الأغصان، الأزهار) فضلاً عن العناصر الكتابية (النص القرآني) لإعطاء المخطوط دلالة جمالية تقوم على أساس فكرة التوحيد في الفكر الإسلامي، هذه التكرارية في التذهيب قد عملت بفعل التجريد والتركيب على إيصال الدلالة الجمالية إلى المتلقي وفق منظومة زخرفية تعزز الإيقاع الذي يحويه المشهد ولا سيما في حضور عنصري اللون والفضاء اللذين ساعدا على تكريس القيم الجمالية.

ونلاحظ أن السيادة في المشهد قد تمثلت بالتكوينات الزخرفية المجردة والمتكونة من الألوان والخطوط المتنوعة وكذلك الأشكال النباتية المتنوعة والتي تناسبت من حيث الحجم واللون فضلاً عن حركة الخطوط واتجاهاتها المتنوعة التي أعطت إحساسا بالجمال، أما الفضاء الذي نراه مغلقاً مرة ومفتوحاً مرة أخرى فقد استخدمه المزخرف ليجعل المتلقي على اتصال بها هوروحي علوي، وذلك من خلال ميل الإنسان الفطري نحوالتناسب الشكلي واللوني والمساحي الذي يعبر عن الجمال الداخلي الذي جبل عليه الإنسان. بمعنى أن جماليات التذهيب ونظم تكوينه في زخرفة المخطوط القراني هوما يهم الفنان المسلم، سعياً

منه إلى الإحاطة بمفهوم التوحيد... فنجده يكثف دلالة المعنى الروحي الديني الذي يبثه إلى المتلقي فتبث في نفسه الخير والسعادة والبهجة لحظة فعل القراءة.

فقد أكد المزخرف على الإتيان بجوإيقاعي في الشكل المضمون يهدف إلى إقامة التواصل مع الروحي في الفن ضمن تحولات دلالية وإيقاعية للأشكال الطبيعية التي أصبحت بفعل التجربة أشكالاً زخرفية تقترب من القانون المستور وراء الأشكال باتجاه الزمان الحقيقي بعيداً عن السردية.

من هنا نستطيع القول بان انتشار مثل هكذا تكوينات زخرفية تحفل بالجمال والجمالية في زخرفة نسخ القرآن الكريم نجده يؤسس ظاهرة زخرفية تستحضر فعل التأمل وآليات التأويل والترميز لصالح الجوهر. فنجد أن الانسجام في اللون (الذهبي - الأزرق - الأخضر - الأبيض) والشكل (النباتي - الهندسي - الكتابي) قد أضاف بعداً جمالياً من خلال التنوع في الوحدة وعلاقة الأجزاء المكونة للوحدة مع بعضها وعلاقتها مع الكل الموحد. مما تقدم نجد أن ظاهرة التذهيب والتكرار والموازنة والانسجام بحدود عنصر الفضاء اللامتناهي قد أعطت لمكونات الزخرفة دلالات رمزية وجمالية، تقترب من الروحانية بطريقة تجريدية تنفرد لاظهار مظاهر الجمال الروحي الكوني والإلهي وإيصالها إلى المتلقي ضمن أجواء الطقوس تنشد الخير باتجاه مفهوم الإحاطة بكل شيء.

الفصل الرابع
عرض نتائج البحث

توصلت الدراسة الحالية إلى جملة من النتائج أهمها:

١. اهتم المزخرف المسلم في تصميم مخطوطاته القرآنية بجماليات اللون الذهبي كما في نماذج العينة.

٢. استعان المزخرف المسلم بتذهيب العناصر الكتابية (نصوص القران الكريم) من اجل منح المخطوط القرآني قيم جمالية خالصة.

٣. لم تكن زخرفة المخطوطات القرآنية لاجل تجميل صفحات القران الكريم فهوكتاب نوراني بحد ذاته وإنما ليعطي المزخرف المسلم لمشهده الزخرفي قيمة أعلى كما في جميع نماذج العينة.

٤. استعان الفنان بجماليات التجريد في الأشكال النباتية في معظم تكويناته الزخرفية لاظهار جماليات التذهيب في المخطوط، عندما استعمل الفنان بعض الأشكال الطبيعية مثل الورود وأوراقها وسيقانها في بعض المخطوطات كما في نماذج العينة.

٥. عمد الفنان إلى اظهار بعض الآيات من السور القرآنية ليجعلها متداخلة مع التكوينات الزخرفية من خلال تكثيف عملية التذهيب التي تمنح المشهد

الزخرفي جماليات مثالية خالصة.

٦. جعل المزخرف الخلفية أوالفضاء الكتابي للنصوص القرآنية على شكل غيمات ممتلئة باللون الذهبي في معظم المخطوطات ليضمن عمله معنى روحي سماوي.

٧. جعل المزخرف النص القرآني محاطاً بعدة أطر هندسية مذهبة في معظم المخطوطات وجعل بعضها مفتوحاً من الأعلى ليسموبالمتلقي نحوفضاءات لا متناهية تبث الجمال إلى الاخر المؤمن، من خلال توحده مع العمل الفني.

٨. ميز الفنان المسلم أسماء السور في معظم المخطوطات بجعلها داخل تكوين زخرفي مذهب في أعلى النص الكتابي.

٩. اعتمد الفنان المسلم على القيمة الجمالية للحرف العربي في تأكيده على البسملة المذهبة في معظم المخطوطات بجعلها تنفرد بالسطر الأول من الآيات لمنح المخطوط القراني جماليات التذهيب والتجريد.

١٠. امتازت معظم المشاهد الزخرفية بالتشعب بجانب التذهيب الذي ينمويتداخل في الوحدة الزخرفية لإنتاج الجمال الخالص مما يعطي وحدة متناسبة الأجزاء تشكل إبداعاً جمالياً.

١١. أكد الفنان المسلم في زخرفة المخطوطات القرآنية على الصبغة الذهبية لإظهار الجمال المثالي من خلال اعتماده عمليات التذهيب والتزويق الزخرفي في أغلب المخطوطات، من اجل منح التكوينات مسحة من القدسية كونها تحتوي كلام الله عز وجل.

١٢. اهتم الفنان المسلم بعمليات التنسيق والتبسيط والتجريد والتركيب وفق

علاقات التنظيم.

١٣. اهتم المزخرف بجماليات النقطة التي جاءت بمثابة المركز الذي انطلقت منه جميع الأشكال الزخرفية قانوناً عاماً للمشهد ألزخرفي فضلاً عن إنها تؤكد الإيحاء بالاستمرارية والانطلاق.

الاستنتاجات

استنتج الباحثان بعض الاستنتاجات من اهمها :

التجأ الفنان المسلم في صياغة المنظومة الزخرفية لمخطوطاته القرانية الى السياقات الفكرية والشكلية التي تدعم الرؤية الجمالية للزخرفة الإسلامية.

١. اكد الفنان المزخرف على تذهيب المخطوط في حدود العصر الإسلامي إنما جاء بمثابة مركزاً مهيمنا من حيث الموقع في إدارة تحريك الأشياء، وهذا المركز مدرك وغير مرئي.

٢. سعى المزخرف المسلم الى اظهار القيم الجمالية من خلال اتخاذ التكوينات المذهبة قاعدة للانطلاق نحوالجمال الإلهي، الذي يتحقق من خلال فعل التأمل العميق.

٣. عدت النقطة المذهبة في تكوين أي مخطوط زخرفي مركزاً للجذب والإهتمام، الأمر الذي استغله المزخرف العربي ليعطي إيحاءاً بالقدرة على التوليد والاستقطاب في نفس الوقت.

التوصيات

يوصي البحث الحالي بما يأتي:

١. إنشاء مركزاً علميا مختص في فن زخرفة المخطوط من ضمن قسمي الفنون

التشكيلية والتصميم والزخرفة في كليات الفنون الجميلة.

٢. إجراء مسابقات لزخرفة المخطوط القراني والخط العربي لإعطاء دافع ومحفز للفنانين من أجل التطوير والاستمرار في هذا المجال.

المقترحات

لتحقيق الفائدة يقترح الباحثان إجراء الدراسة التالية:

((جماليات المشاهد الزخرفية في مصاحف الأستاذ طه البستاني)).

الهوامش

(١) علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٢، ص٦٢.

(٢) ريد، هربرت: معنى الفن، ط٢، ت. سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص.

(٣) بدوي، احمد زكي وآخرون: المعجم العربي الميسر، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩١، ص٢.

(٤) النقشبندي، أسامة: نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج٩، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٩، ص٤٢١.

(٥) بنبين، احمد شوقي ومصطفى الطوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولجي)، ط٢، الخزانة الحسنية، الرباط، المطبعة والوراقة الوطنية الحي الوطني، مراكش، ٢٠٠٤، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٦) طباع، أياد خالد: المخطوطات الدمشقية؛ المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، منشورات الهيأة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٩، ص١١.

(٧) العامري، ضاري مظهر صالح: دلالات اللون في القرآن والفكر الصوفي مصدر سابق، ص ٥٥.

* التعشير: هي عبارة عن مفردات زخرفية تتخذ الهامش الجانبي موقعاً لها وتستخدم للدلالة على الآيات العشر التي وردت ما قبلها.

(٨) قصة الكتابة العربية، دار المعارف، ط٢، مصر، ب.ت، ص١٣٩.

(٩) جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ترجمة عفيف بهنسي، مراجعة عدنان البني، منشورات الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨.

(١٠) : قصة الكتابة العربية، مصدر سابق، ص ١٣٨.

(١١) مارسيه جورج: الفن الإسلامي مصدر سابق، ص ٢٠.

(١٢) المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢، ص٣.

(١٣) الشكري، جابر: الجوانب الفنية في إخراج المخطوطة العربية، مجلد ٣٣، ج١، ٢، مجلة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢، ص ٨٢.

(١٤) نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج٩، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٣٣- ٤٣٤.

(١٥) مرزوق، محمد عبدالعزيز: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٥، ص٢٠-٢١.

(١٦) النقشبندي، أسامة ناصر: حضارة العراق مصدر سبق ذكره ص ٤٥٩-٤٦٠.

(١٧) مرزوق، محمد عبدالعزيز: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه مصدر سبق ذكره، ص٢١-٢٢.

(١٨) النقشبندي، أسامة: مصدر سيق ذكره، ص ٤٦١.

(١٩) الأعظمي، خالد خليل حمودي: الزخارف الجدارية في آثار بغداد، دار الرشيد للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص١٤٦.

(٢٠) فيشر، ارنست: ضرورة الفن، ت. أسعد حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٤٩.

(٢١) أبودبسة، فداء حسين وآخرون: الزخرفة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص٣١.

المصادر والمراجع

* القران الكريم
١. الأعظمي، خالد خليل حمودي: الزخارف الجدارية في آثار بغداد، دار الرشيد للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
٢. بدوي، احمد زكي وآخرون: المعجم العربي الميسر، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩١.
٣. بنبين، احمد شوقي ومصطفى الطوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولجي)، ط ٢، الخزانة الحسنية، الرباط، المطبعة والوراقة الوطنية الحي الوطني، مراكش، ٢٠٠٤.
٤. جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ترجمة عفيف بهنسي، مراجعة عدنان البني، منشورات الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق.
٥. ريد، هربرت: معنى الفن، ط٢، ت. سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
٦. الشكري، جابر: الجوانب الفنية في إخراج المخطوطة العربية، مجلد ٣٣، ج ١، ٢، مجلة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢.
٧. علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٢.
٨. النقشبندي، أسامة: نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج ٩، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٩.
٩. طباع، أياد خالد: المخطوطات الدمشقية؛ المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، منشورات الهيأة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٩.
١٠. العامري، ضاري مظهر صالح: دلالات اللون في القرآن والفكر الصوفي مصدر سابق، ص٥٥.
١١. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج٩، بغداد، ١٩٨٥.

١٢. مرزوق، محمد عبدالعزيز: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٥.

١٣. فيشر، ارنست: ضرورة الفن، ت. أسعد حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

١٤. مناهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧١.

١٥. المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢.

١٦. ــــــــــــــــــ.......: قصة الكتابة العربية، دار المعارف، ط٢، مصر، ب. ت.

الاشكال

شكل ١

شكل ٢

شكل ٣

شكل ٤

شكل ٥

شكل ٦

شكل ٧

باب التراث العلمي

Science Heritage Section

التلوث بالمثقوبات البولية

(دراسة بايولوجية في محافظة كربلاء المقدسة)

Pollution by Schistosoma Haematobium

A Biological Study in the Holy Karbala Province

م. د. سليم مرزة هادي الخفاجي

جامعة كربلاء

كلية الطب البيطري

فرع الأمراض

Lecturer. Dr. Saleem Mirza Hady Al-Khafajy

Disease Division

College of Veterinary Medicine

Karbala University
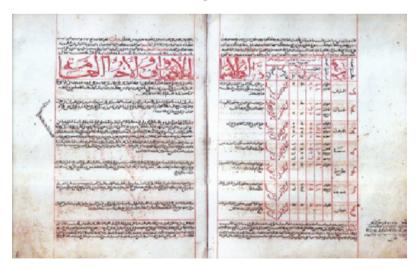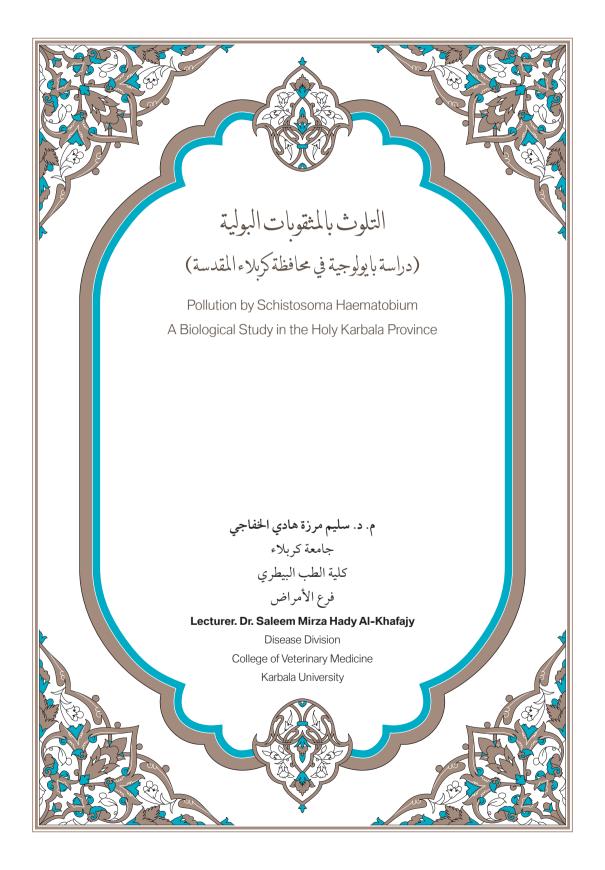
الملخص

أجريت دراسة للتحري عن دودة البلهارزيا في محافظة كربلاء المقدسة (ناحية الحسينية، الهندية، مركز المحافظة) من خلال تحليل البيانات (٢٧٢٠٠١١) عينة إدرار التحري عن بيوض دودة البلهارزيا من خلال الدراسة للأعوام (١٩٨٨-١٩٩٠) كانت الإصابة مرتفعة بدودة البلهارزيا من مجموع الإصابات الكلية خلال الأعوام الأخرى إذ بلغت ١٧,٢٪ (١٩٨٨) و٥٨,٠٪ (١٩٨٩) و٠٢٨,٠٪ (١٩٩٠) على التوالي في حين انخفضت الإصابة خلال الأعوام مابين ١٩٩٦ لغاية ٢٠١٠ اذ تراوحت مابين ٠٠٢,٠٪ و٠٪.

عموما كانت الإصابة الكلية لعشرين سنة منخفضة مقارنة بمناطق العراق الأخرى إذ بلغت ٠٢٦,٠٪ فضلا عن ذلك انحسرت الإصابة وان وجدت في مجتمع الريف مقارنة بمجتمع المدينة. تبين من خلال الاختبار الإحصائي واستعمال اختبار مربع كاي هنالك فرق معنوي للإصابة بدودة البلهارزيا على مدار العشرين سنة الماضية وتحت احتمالية ٠١,٠ و٠٥,٠.

Abstract

This study was conducted to investigate the Schistosoma haematobium in the holy Kerbala province (AL-Hussainiyah district, AL-Handia, kerbala city center). By analyzing the data (2720011) of urine samples to investigate the eggs of Schistosoma haematobium it was shown that for the years 1988, 1989 and 1990 there was high percentage of infection by Schistosoma haematobium compared with the total infection for the other years from 1996-2010. It was 2.17% (1988), 0.58% (1989) and 0.028% (1990) subsequently while it was between 0.002% to 0% for the years 1996-2010.

Generally, the total infection for the twenty years was low compared with the other cities of Iraqi; it was 0.026%. In addition to this, the infection in rural areas of Iraq was higher than that in its urban areas or community. By applying a statistical test and by using x2 it was shown that there was a significant difference of infection by Schistosoma haematobium all through the past twenty years by nearly 0.01 and 0.05.

المقدمة

المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) من الطفيليات المرضية التي تؤثر في الانسان لما تحدثه من مضارعلى الجهاز البولي ويقدر أن هنالك ٢٠٠ مليون شخص مصاب في ٧٦ دولة في العالم بطفيلي Schistosoma haematobium.

هنالك ٥٠ مليون حالة مزمنة اذ تتسبب بسرطان المثانة وتليف بالكبر وتم تشخيص هذه الحالات بالأشعة فوق الصوتية وهذه تسبب أنواع مرضية واسعة لإصابات الجهاز البولي[١].

تلعب الهجرة ما بين دول العالم دوراً في نقل الإصابة بهذا الطفيلي فضلا عن توفر القواقع والتعامل معها نتيجة السباحة دور في حصول الإصابة أجريت العديد من الدراسات حول انتشار طفيلي المثقبة البولية ولايسع المجال إلا لذكر البعض منها اذ بينت دراسة لانتشار المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) في لايبيريا إذ تم جمع ٣٢٢ عينة إدرار من الرجال ووجد أن ٥٠٪ من المفحوصين كانوا مصابين بالمثقوبة البولية (دودة البلهارزيا).ففي ألمانيا في منطقة ليوم أجريت دراسة للتحري عن المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) لطلاب المدارس الابتدائية، إذ تم فحص ٥٠٠ تلميذ ووجد إن نسبة الإصابة كانت ٢, ٥٤٪[٢].

حيث أجريت دراسة في النيجر من قبل برنامج السيطرة على الوفيات بواسط المثقبة البولية لاطفال المدارس الابتدائية، اذ تم جمع ١١٤ عينة إدرار لمدة ٣٤

شهراً كذلك استخدم عقار برازكويين بتركيز ٤٠ ملغم، فوجد من خلال الدراسة ان نسبة الإصابة بلغت ٤٣٪ أما عند إعطاء العلاج فقد لوحظ إن ٧٤,٥٪ منهم تماثلوا للشفاء خلال الشهر الخامس[٣].

وأجريت دراسة حول انتشار المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) بين أطفال المدارس الابتدائية في زمبابوي اذ تم فحص ٥٥١ تلميذاً ووجد ان ٦٠٪ من التلاميذ المفحوصين كانوا مصابين بالمثقوبة البولية (دودة البلهارزيا)[٤].

وبيّن باحثون بدراسة مسحية لانتشار المثقوبة البولية(دودة البلهارزيا) بين مجتمع مدينة أباتا ولارنتوفي مدينة جوس اذ تم فحص ٣٠٠ عينة إدرار ووجد ان نسبة الإصابة بالمثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) كانت ٣٣,٠٪[٥].

كذلك أجريت دراسة للسيطرة على المضيف الوسطي للقوقع التابع للمثقوبة البولية في مدينة َينيا وان القضاء على القوقع من خلال تغيير في طبيعة بيئة الماء المتواجد فيه القوقع.

فضلا عن ذلك أجريت دراسة حول القضاء على سركاريا المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) حيث تمت إضافة الى النفط الماء بنسبة ١-٥ اذ تم التقليل من إعداد السركارية في الماء بنسبة ٩٩,٢٪[٦].

أجريت دراسة من قبل باحثين في مدينة غانا حول المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) والتي من الممكن أن تتطور إلى سرطان من الصعب تشخيصه إلا بالجهاز الناظور الكيسي حيث وجد من أصل ١٠٠٠٠٠ حالة إصابة كان منها ٣-٤٪ من الممكن ان تتطور إلى سرطان المثانة البولية[٧].

وفي الكامرون اجريت دراسة عن التحري للمثقوبات البولية لثلاثين سنة

ماضية ووجد أن أعوام التسعينات هي الأكثر إصابة بذلك الطفيلي فضلا عن وجود مثقوبة في تلك الدراسة.

S. guineensis[٨].

وبعد استعراض المراجع الهدف من الدراسة حيثُ ان مدينة كربلاء المقدسة لم تجرَ فيها دراسة للتحري عن المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) فلذلك أجريت الدراسة للتحري عن وبائية الإصابة في منطقة كربلاء المقدسة.

المواد وطرائق العمل

أجريت دراسة للتحري عن دودة البلهارزيا في محافظة كربلاء المقدسة (ناحية الحسينية، الهندية، مركز المحافظة) للفترة من ١٩٨٨–٢٠١٠ (إذ استخدمت السجلات المختبرية لأعوام لغاية ٢٠١٠) إذ تم فحص ٢٧٢٠٠١١ عينة إدرار واجري الفحص ألمجهري باستعمال طريقة المسحة المباشرة وطريقة التطويف. باستعمال المحلول الملحي المركز لغرض التحري عن بيوض دودة البلهارزيا كما استخدم الاختبار الاحصائي كاي لإيجاد معنوي الاصابة خلال للأعوام[٩].

ت	السنة	عدد العينات	عدد المصابين	نسبة الاصابة
١	١٩٨٨	١٦٢١٨	٣٥٢	٪٢,١٧٠
٢	١٩٨٩	٤٦٨١٩	٢٧٣	٪٠,٥٨
٣	١٩٩٠	١١٨٠٧١	٣٤	٪٠,٠٢٨
٤	١٩٩١	٩٧٢٤٨	٣	٪٠,٠٠٣
٥	١٩٩٠	٨٤٠١٢	٥	٪٠,٠٠٦

٦	١٩٩٣	٤٢٢٢٧	٩	٪٠,٠٢١
٧	١٩٩٤	٢٨٨١٦	٩	٪٠,٠٣١
٨	١٩٩٥	٢٩٣١٦	٦	٪٠,٠٢
٩	١٩٩٦	٢١٠٣٣	٢	٪٠,٠٠١
١٠	١٩٩٧	٢٤٨٢٨	٠	٪٠
١١	١٩٩٨	٢٢١٠٨	٠	٪٠
١٢	١٩٩٩	٢٠٤٥٥	٦	٪٠,٠٢٩
١٣	٢٠٠٠	١٩٦٥٥	٠	٪٠
١٤	٢٠٠١	١٧٥٥٤	١	٪٠,٠٠٥٤
١٥	٢٠٠٢	٣٠٣٣٠	١	٪٠,٠٠٣٢
١٦	٢٠٠٣	٣٩٣٤٤	٠	٪٠
١٧	٢٠٠٤	٧١٤٩٩	٤	٪٠,٠٠٥٥
١٨	٢٠٠٥	٥٦٠٢٦٥	١	٪٠,٠٠٠١٧
١٩	٢٠٠٦	٦١٥٧٨٨	٥	٪٠,٠٠٠٨١
٢٠	٢٠٠٧-٢٠١٠	٨١٤٤٢٥	٠	٪٠
	المجموع الكلي	٢٧٢٠٠١١	٧١١	٪٠,٠٢٦

جدول (١) يبين الإصابة بدودة البلهارزيا في محافظة كربلاء المقدسة من سنة ١٩٨٨-٢٠١٠

X^2 المحسوبة ٦٧,٩٨٩٩

0.01 X^2 الجدولية ٣٢,٩٨

0.05 X^2 المحسوبة ٢٤,٨٧

النتائج والمناقشة

وجد من خلال الدراسة أن الأعوام ١٩٨٨ و١٩٨٩ و١٩٩٠ كانت الإصابة فيها مرتفعة بـدودة البلهارزيا من مجموع الإصابات الكلية خلال الأعوام الأخرى في حين انخفضت الإصابة خلال الأعوام ما بين ١٩٩٦ لغاية ٢٠١٠ ويعزى ذلك لأسباب عديدة منها عوامل فيزيائية والمتمثلة بالحروب من خلال الأسلحة والإشعاعات والتي قد توثر في المضيف الوسطي القوقع والسركاريا السابحة في الماء اوعمليات تنظيف الأنهار(١٠).

أوقد يكون سبب ذلك التطور في مجال استعمال الأسمدة الكيميائية في مجال الزراعة والتي من الممكن ان تترشح للأنهار المجاورة والتي قد تكون محتوية على أطوار الطفيلي اوقد تؤثر تلك المواد الكيميائية (الفوسفاتية) في تكاثر تلك القواقع مما يؤدي الى انخفاض نسبتها في الأنهار والشواطئ وخاصتةً في الأعوام ١٩٩٦-٢٠٠٧ التي زاد فيها اقبال الدولة والفلاحين نحواستعمال الأسمدة الكيميائية فضلا عن التلوث بواسطة مخلفات المصانع والمعامل الصغيرة والتي تطرح تلك المخلفات الى الأنهار الصغيرة والكبيرة(١١).

يلعب البناء العمراني والتوسع فيه دوراً في تقليل الإصابة بتلك المثقبات البولية حيث ان التطور بالبناء العمراني الذي شهدته محافظة كربلاء المقدسة قي السنوات الحديثة كان له دور في التخلص من انهار وسواقي فضلا عن تحول

بعض المناطق الزراعية إلى مناطق سكنية لغرض السكن مما أدى الى انحسار بعض الأنهار.

كذلك شهدت أعوام التسعينيات قلة مياه الأنهار وعدم وصول الماء بشكل كافي إلى الأنهار من المصبات مما يودي الى جفاف العديد من الأنهار وأدى ذلك إلى القضاء على الأحياء النهرية وبكافة انواعها كالاسماك وانواع كثيرة من القواقع النهرية والتي تعتبر كمضائف وسطية لانواع من طفيليات[١٢].

عموما كانت الاصابة لعشرين سنة منخفضة مقارنة بمناطق العراق الاخرى اذ بلغت ٠٢٦, ٠٪ فضلا عن انحسار الإصابة وان وجدت في مجتمع الريف مقارنة بمجتمع المدينة فذلك يعزى الى توفر الأنهار والشواطئ والتي قد تتواجد فيها القوقع والسر كاريا التابعة للطفيلي المثقوبة البولية كذلك كان لتماس المجتمع الريفي دور والمتمثلة بالعمل حفاة أثناء السباحة واستصلاح الأرض ما يجعلهم اكثر عرضة للإصابة بهذه المثقوبة البولية (دودة البلهارزيا) لانها من الممكن ان تخترق الجلد لتصل عبر الاوردة المساريقية السفلية للحوض لتصل الى المثانة البولية[١٣].

المصادر

1. Bethony J, Williams JT, Kloos H et al. (2001). Exposureto Schistosoma mansoni infection in a rural area in Brazil. II: household risk factors. Trop Med Int Health,6: 136-145.
2. Bacelar A, Castro LG, de Queiroz AC, Cafe E (2007).Association between prostate cancer and schistosomiasis in young patients: a case report and literature review. Braz J Infect Dis, 11: 520-522.
3. Riffenburgh RH, Olson PE, Johnstone PA (1997). Association of schistosomiasis with cervical cancer:detecting bias in clinical studies. East Afr Med J, 74: 14-16.
4. Swellam M, El-Aal AA, AbuGabel KM (2004a). Deletions of p15 and p16 in schistosomal bladder cancer correlate with transforming growth factor-alpha expression. Clin Biochem, 37: 1098-1104.
5. WHO Expert Committee (2002). Prevention and control of schistosomiasis and soil-transmitted helminthiasis. World Health Organ Tech Rep Ser, 912: 1-57.
6. Richter J (2003). The impact of chemotherapy on morbidity due to schistosomiasis. Acta Trop, 86: 161-183.
7. Webster BL, Southgate VR, Littlewood DT (2006). A revision of the interrelationships of Schistosoma including the recently described Schistosoma guineensis. Int J Parasitol, 36: 947-955.
8. Fuentes, MV., Kristensen, TK., McCarroll, JC., Yilma, JM., Zhou, XN.; 2001. A global network for the control of snail-borne disease using satellite surveillance and geographic information systems. Acta Tropica. 79, 7-12.

٩. الحديثي، إسماعيل عبدالوهاب وعواد، عبدالحسين حبش (١٩٨٦). علم الطفيليات. مطبعة جامعة البصرة: ٤٨٥ صفحة.

10. WHO. Report of the WHO informal consultation on schistosomiasis control. 1998

11. Traore M, Traore HA, Kardorff R, et al.1998 () The public health significance of urinary schistosomiasis as a cause of morbidity in two districts in Mali. Am J Trop Med Hyg; 59 (3): 407-13.

12. Malone, JB., Bergquist, NR., Huh, OK., Bavia, ME., Bernardi, M., Bahy, M.M.El, Kloos, H., Lemma, A.; 1977. Schistosomiasis in irrigation schemes in the Awash Valley,Ethiopia. American Journal of Tropical Medicine and Hygiene. 26, 899-908.

13. WHA. Schistosomiasis and soil-transmitted helminth infections. Resolution 54.19. 54th World Health Assembly 2001.

ت	السنة	عدد العينات	عدد المصابين	نسبة الاصابة
١	١٩٨٨	١٦٢١٨	٣٥٢	٪٢,١٧٠
٢	١٩٨٩	٤٦٨١٩	٢٧٣	٪٠,٥٨
٣	١٩٩٠	١١٨٠٧١	٣٤	٪٠,٠٢٨
٤	١٩٩١	٩٧٢٤٨	٣	٪٠,٠٠٣
٥	١٩٩٠	٨٤٠١٢	٥	٪٠,٠٠٦
٦	١٩٩٣	٤٢٢٢٧	٩	٪٠,٠٢١
٧	١٩٩٤	٢٨٨١٦	٩	٪٠,٠٣١
٨	١٩٩٥	٢٩٣١٦	٦	٪٠,٠٢
٩	١٩٩٦	٢١٠٣٣	٢	٪٠,٠٠١
١٠	١٩٩٧	٢٤٨٢٨	٠	٪٠

١١	١٩٩٨	٢٢١٠٨	٠	٠٪
١٢	١٩٩٩	٢٠٤٥٥	٦	٠,٠٢٩٪
١٣	٢٠٠٠	١٩٦٥٥	٠	٠٪
١٤	٢٠٠١	١٧٥٥٤	١	٠,٠٠٥٤٪
١٥	٢٠٠٢	٣٠٣٣٠	١	٠,٠٠٣٢٪
١٦	٢٠٠٣	٣٩٣٤٤	٠	٠٪
١٧	٢٠٠٤	٧١٤٩٩	٤	٠,٠٠٥٥٪
١٨	٢٠٠٥	٥٦٠٢٦٥	١	٠,٠٠٠١٧٪
١٩	٢٠٠٦	٦١٥٧٨٨	٥	٠,٠٠٠٨١٪
٢٠	٢٠٠٧-٢٠١٠	٨١٤٤٢٥	٠	٠٪
	المجموع الكلي	٢٧٢٠٠١١	٧١١	٠,٠٢٦٪

References

1. Jan den Boer, “Waste Management Planning and Optimisation, Handbook for Municipal Waste Publisher: ibidem-Verlag, Jessica Haunschild u Christian Schon (2005).
2. Atkeyelsh Persson, “Best Practices of Municipal Solid Waste Management: The Role of Households and Municipalities in Solid Waste Management: The Case of Sweden”, Publisher: LAP Lambert Academic Publishing (2009).
3. James R. Mihelcic, Julie B. Zimmerman,“Environmental Engineering: Fundamentals, Sustainability”, John wiley & sons, (2009).
4. Border, D. (2003) ‘A review of composting of controlled wastes’, Environment Agency Technical Report, in preparation.
5. Boulos, S., Pocock, R. And Gilbert, E. (2006), ‘The state of composting and biological waste treatment in the UK’, The Composting Association, Wellingborough.
6. British Standards Institution, ‘Specification for composted materials’, PAS 100:2005, London, (2005).
7. McDougall, F. R. And White, P. R., Integrated Solid Waste Management: A Life Cycle Inventory, Blackwell Science, (2001).
8. A. Porteous, “Dictionary of Environmental Science and Technology”, 3rd ed., Chichester and New York, John Wiley and Sons, (2003).
9. NAW, ‘Municipal waste management report for Wales 2004-05’, National Assembly for Wales, Cardiff, (2006).
10. Environment and Heritage Service, ‘Municipal waste management Northern Ireland 2005/06 summary report’, Environment and Heritage Service, Belfast, (2006).
11. Burnley, S. J., Ellis, J. C., Flowerdew, R., Poll, A. J. and Prosser, H., ‘Assessing the composition of municipal solid waste in Wales’, Resources, Conservation and Recycling, 49 (3) 264-283, (2007).

managing the SW of the site without appropriate attention to those impacts and their reliable mitigation at the construction site and evaluation process.

Because of the importance of the 3 R's action in influencing not only the magnitude of the waste-stream, but also its characteristics, it is essential that careful consideration be given to the influence of waste-stream reduction and waste reuse and recycling in developing a long term waste management program for an area such as construction sites. Furthermore, those responsible for development of a waste management program in an area should work with the governmental agencies, the legislative and regulatory bodies, and the public in a highly developed, organized and coordinated program to significantly reduce the magnitude and improve the character of the SW that must be managed at any construction site.

Noise

Through appropriate control of some construction sites operations and adequate land buffers between the some construction sites active areas of active deposition and adjacent properties, the noise problems of some construction sites can be reduced to insignificant levels. Vehicles are equipped with noise reduction devices (mufflers) in accordance with regulation required and local authority standards for health and safety.

2. Materials Recovery Facility (MRF)[10-11]

This is a reliable technology to recover materials from the construction site for recycling. Such measure is highly possible to recover: paper, metals, plastics, glass, wood and any other recyclable materials.

Conclusion

All approaches for SW generated from construction sites have potentially significant adverse impacts on public health and the environment. It is highly inappropriate today for those responsible for developing waste management approaches for an area to focus on the development of site without

waste each day so that SW trucks arrive at the construction site, to take away that waste, at a rate of one or two every day, must have adequate road capacity and structural integrity as well as a proper maintenance program to mitigate to some extent the adverse impacts of the truck traffic.

Litter

Litter is controlled by placement of temporary fencing or portable litter fences downwind from the working face, if necessary. The fencing, the operational area, and the construction site in general are policed on a daily basis to pick up any accumulated litter.

Dust Problems

Dust can be controlled through efficient watering of the roadways and other areas of the construction site where dust is generated. At some construction sites, this is difficult to accomplish, however, because of the shortage of water and its cost. Under those conditions, operator may conduct dust control to the least extent possible to just get regulatory requirements enforced.

attract rodents and insects that can serve as vectors of disease.

Dust

Some construction site operations contribute significant dust to the ambient air near the operation. Truck traffic over dirt roads during drier parts of the year and within the area of the construction site can result in appreciable airborne dust.

Noise

The heavy equipment used in the construction site operations and noise from trucks can significantly increase noise levels on adjacent and nearby properties so that they are damaging to public health and welfare.

1. Explanation of How These Impacts may be mitigated[9]

Truck Traffic Problems

The number of SW trucks that reach the construction site during a period of time should be carefully evaluated and become one of the deciding factors in the establishment of the "size" of a waste. The construction site that generates

Discussion

There are several impacts of S.W. 1 in and around the construction site which are[8]:

Truck Traffic

Truck traffic is one of the major causes of adverse impacts of construction site to those who own or use properties near the construction site. It is becoming increasingly clear that the transport of the SW in trucks will be one of the principal sources of adverse impacts to nearby property. In addition to noise and annoyance concerns of truck traffic, increased truck traffic can have adverse impacts on traffic flow and therefore, public safety.

Litter

One of the significant adverse impacts of municipal solid waste of construction site on owners and users of lands near the construction site is off-site litter (paper, plastic, garbage, etc.). This litter can represent a significant degradation of the aesthetic quality of the area and in some instances, a public health hazard. While most of the litter is paper and plastic, some of it contains food wastes and other material that could

Area at risk	Potential effect
Water	Pollution of ground or surface water
Air	Odour, dust smell, CO_2
Land and soil	Contamination by pollutants relevant to the development.
Architectural	Changes to amount of land built on and use of the land, heritage effect on existing buildings of architectural interest.
Noise	Effect on the ambient noise climate, peak noise levels, sleep disturbance, loss of amenity.
Landscape	Change to the landscape, such as the amount of land covered, and hard and soft landscaping.
Archaeological	Threat to ancient monuments, site with special classifications
Flora and fauna	Effects on habitats, both land and water with special concern for specific sites or sensitive sites.
Population	Pollutants or emissions affecting leisure and recreation, infrastructure and land use.

Table 1: Potential effect of solid wastes generated from construction site [7,8]

The programme developed is to set a procedure that is practicable and applicable which gives a very clear picture on how to manage the solid waste without leaving them dispersing all around the area whether residential or commercial etc. Above all, the scope of environmental impact also studied and given full consideration when this programme has been developed[7].

Potential effects of solid waste generated from construction sites are listed in Table 1 below.

Figure 1: construction site at Karbala University (old campus)

Figure 2: construction site near Karbala city centre

Methods of Research and Activities

Several construction sites in Karbala city including Karbala University, I have visited and pictured them (see Figure 1 and 2 below) to study these sites in order to develop a programme to manage solid waste generated at each sites. Some of the photos below clearly show no specific procedure has been adopted to manage the waste and as a result these wastes spreading around each site by the times it reaches area far away from the construction site itself.

legislation concerning packaging, additional significant reductions in the magnitude of the MSW stream can be achieved[4]. It is clear that any planning for landfills should include a detailed analysis of the realistically anticipated waste stream with conventional waste reduction efforts, as well as that which could be achieved through highly aggressive waste stream diversion efforts. It is possible that such an analysis would reveal that the amount of waste in need of management by land filling is considerably less than is currently anticipated by the waste management authority of the region[5-6].

Introduction

The traditional model for municipal solid waste (M.S.W.) management consists of receiving in a community's waste stream, preparing it (often minimally), and sending it to a licensed landfill[1]. Predictably, after decades of processing household waste in this way, communities across the country are running out of convenient and cost-effective landfills-a problem made more acute both by community resistance to approving new landfills and by the government restrictions regulating the design of the few landfills that are approved[2]. In future applications, landfill development will undoubtedly take longer to complete and cost more to build, manage, and close. For all of these reasons, the traditional waste management model will not continue to be a politically acceptable solution due to its critical dependence on landfills and the public's resistance to them[3].

It is likely that through aggressive 3 R's (waste Reduction, Reuse, and Recycling) action, including, where necessary,

Key word

waste management, solid waste, municipal waste, environmental impact, pollution, environment protection, programme, development, health, materials recovery facility (MRF).

الملخّص

ان تطوير هذا البرنامج له من الاهمية لادارة النفايات في مواقع البناء المختلفة داخل وخارج مدينة كربلاء المقدسة والذي يشمل ايضا الكيفية التي يمكن من خلالها استعمال الموارد اضافة الى الطرح النهائي للمواد غير القابلة للتدوير في اتجاه تيار النفايات. طرق جمع النفايات، تدويرها ثم نقلها لطرحها كل هذه العمليات لها تأثير على التكلفة وما يتحرر عنها الى البيئة قد تم أخذه بنظر الاعتبار وبدقة بالغة عند تطوير هذا البرنامج.

قبل عام ١٩٧٠، الطمر أو الردم الصحي كان نادر الوجود، النفايات الصلبة كانت تطرح والمواد العضوية المطروحة تحرق لتقليل حجمها وهذا كان شائعا. هذا البرنامج لادارة النفايات الصلبة ليومنا الحاضر والذي يتضمن تقنيات أكثر كفاءة في استهلاك الطاقة وحماية صحة الانسان وبيئة مدينة كربلاء المقدسة من مخلفات ونفايات تلوث المدينة المقدسة وبالتالي تشوه من منظر المدينة.

التغيرات والتحسينات في التقنيات ناتجة عن الحاجة لخفض التأثير المباشر على البيئة والسكان الذين يعيشون بالقرب من مواقع البناء. كما وان البرنامج تم تطويره بحيث أن التقنية يمكن وضعها واستعمالها لانجاز اكبر كفاءة في ادخار الموارد والطاقة وفوق ذلك كله حماية البيئة والصحة العامة واللذان هما الهدف الاساسي للبرنامج.

تطوير برنامج لإدارة النفايات الصلبة
لمواقع البناء داخل مركز مدينة كربلاء المقدسة وخارجها

أ. م. د. نعيم محمد علي الانصاري
فرع الكيمياء الصيدلانية
كلية الصيدلة
جامعة كربلاء

of saving resources, energy and above all environment protection.

Abstract

The development of this programme is highly significant to manage solid waste (S.W.) at different construction sites in and around Karbala city center, which also involved how resources are used as well as end-of-life deposition of materials in the waste stream. Ways to collect, recycle, transport, and dispose of S.W. that affects cost and environmental releases were looked at very carefully when this programme developed. Prior to 1970, sanitary landfills were very rare, S.W. was "dumped" and organic materials in the dumps were burned to reduce volume and this was common(1). This programme for today solid waste management is involving technologies that are more energy efficient and protective of human health and the environment. These technological changes and improvements have resulted from the needs to reduce direct impact on environment and residents living nearby construction sites. The programme developed so technology can be deployed and used to achieve the more efficient

Science Heritage Section

Literature Heritage Section

Art Heritage Aesthetic Section

Contents

know the future.

- The development with all its dimensions: intellectual, economic, etc. Knowing the heritage enhances tourism and strengthens the green revenues.

And due to all the above, Karbala' Heritage journal emerged which calls upon all specialist researchers to provide it with their writings and contributions without which it can never proceed further.

Edition & Advisory Boards

- Watching the changes, the alternations and additions which show duality of the guest and luxury in Karbala' geographic area all through history and the extent of the relation with its neighbours and then the effect that such a relation has, whether negatively or positively on its movement culturally or cognitively.
- having a look at its treasures: materialistic and moral and then putting them in their right way and positions which it deserves through evidence.
- The cultural society: local, national and international should be acquainted with the treasures of Karbala' heritage and then introducing it as it is.
- To help those belonging to that heritage race consolidate their trust by themselves as they lack any moral sanction and also their belief in western centralization. This records a religious and legal responsibility.
- acquaint people with their heritage and consolidating the relation with the descentdant's heritage, which signals the continuity of the growth in the descentdant's mode of life so that they will be acquainted with the past to help them

heritage of a wider race to which it belongs i.e. Iraq and the east. And in this sequence, the levels of injustice against Karbala' increase: once, because it is Karbala' with all that it has of the treasures generating all through history and once more because it is Karbala', that part of Iraq full of struggle and still once more because it is that part that belongs to the east, the area against which aggression is always directed. Each level has its degree of injustice against its heritage, leading to its being removed and its heritage being concealed; it is then written in shorthand and described in a way which does not actually constitute but ellipsis or a deviation or something out of context.

(3)

According to what has just been said, Karbala' Heritage Centre belonging to Al-Abbas Holy Shrine set out to establish a scientific journal specialized in Karbala' heritage dealing with different matters and aiming to:

the researchers viewpoints are directed to studying the heritage found in Karbala' with its three dimensions: civil, as part of Iraq and as part of the east.

- The most precise material to explain its history.
- The ideal excavation to show its civilization.

And as much as the observer of the heritage of a particular culture is aware of the details of its burden as much as he is aware of its facts i.e. the relation between knowing heritage and awareness of it is a direct one; the stronger the first be, the stronger the second would be and vice versa. As a consequence, we can notice the deviation in the writings of some orientalists and others who intentionally studied the heritage of the east especially that of the Muslims. Sometimes, the deviation resulted from lack of knowledge of the details of the treasures of a particular eastern race, and some other times resulted from weakening the knowledge: by concealing an evidence or by distorting its reading or its interpretation.

(2)

Karbala': it is not just a geographical area with spatial and materialistic borders, but rather its materialistic and moral treasures constituting, by itself, a heritage of a particular race, and together with its neighbours, it forms the greatest

Issue Prelude

Why Heritage? Why Karbala'?

(1)

Human race is enriched with an accumulation both materialistic and moral, which diagnoses, in its behaviour, as associative culture and by which an individual's activity is motivated by word and deed and also thinking; it comprises, as a whole, the discipline that leads its life. And as greater as the activity of such weights and as greater their effect be as unified their location be and as extensive their time strings extend; as a consequence, they come binary: affluence and poverty, length and shortness, when coming to a climax.

According to what has been just said, heritage may be looked at as a materialistic and moral inheritance of a particular human race, at a certain time, at a particular place. By the following description,the heritage of any race is described:

- The most important way to know its culture.

contained a good number of researches and studies of some academic writers according to the five sections of the journal with a view of working the domains of the past with mixing it with the present data or even looking up to the future. All this time intertwisting is kept within the bounds of one circle which is Karbala.

This issue has included various academic viewpoints according to the research or study provided. A number of researches have adopted description as a method for achieving their research aim; some others have followed or adopted the experimental method and accordingly have followed the practical approach. Still some others have tended to the historical approach as a way for knowledge detecting. Others have combined two approaches belonging to two different periods to achieve what their researches aiming to. Others have adopted more approaches of the above mentioned ones.

This issue of the second year has come full of academic researchers writings but the continuity or age of the journal cannot be long without continuing such writings. Accordingly, it is our hope that the researchers, especially those specialists in Karbala heritage, provide us with their new researches and studies.

First Issue Word

The Second Lighting of the Candle

Great projects start with a humble step and it is no harm that the privileges come late or some hinderences arise. It is shameful that the initiator, in his new project, quits with the first hinderence or feels disappointed. He is supposed to continue trying and to insist on achieving his goal. Without persistence and insistence no access is achieved.

This way the team of the two boards, the editorial and the advisory, address their steps as they start their second year with their fresh newborn, Karbala Heritage Authorized Journal. In their way, there may still be obstacles furnishing a grave journal with an international horizon pursued by heritage knowledge seekers from everywhere. But ambition alone is not sufficient; it needs strong determination with high impetus.

As an outcome of the determination of the two boards, the editorial and the advisory, is this magnificent book which has

wherefores of the disapproval.

e. Researches to puplished are only those given consent by experts in the field.

f. A researcher bestowed a version in which the meant research published, and a financial reward of (150,000) ID.

12. Taking into consideration some points for the publication priorities, as follows:

- Research participated in conferences and adjudicated By the issuing vicinity.
- The date of research delivery to the edition chief.
- The date of the research that has been renovated.
- Ramifying the scope of the research when possible.

13. Receiving research be by correspondence on the E-mail of the Journal: (turath@alkafeel.net), http://karbalaheritage.alkafeel.net, or Delivered directly to the Journal's headquarters at the following address: Karbala heritage center, Al-Kafeel cultural complex, Hay Al-Eslah, behind Hussein park the large, Karbala, Iraq.

or submitted to any means of publication.

10. In the journal do all the published ideas manifest the viewpoints of the researchers themselves; it is not necessary to come in line with the issuing vicinity, in time, the research stratification is subject to technical priorities.

11. All researches are exposed to confidential revision to state their reliability for publication. No research retrieved to researchers, whether they are approved or not; it takes the procedures below:

a. A researcher should be notified to deliver the meant research for publication in a two-week period maximally from the time of submission.

b. A researcher whose paper is approved is to be apprised of the edition chief approval and the eminent date of publication.

c. With the rectifiers reconnoiters some renovations or depth, before publishing, the researchers are to be retrieved to the researchers to accomplish them for publication.

d. Notifying the researchers whose research papers are not approved; it is not necessary to state the whys and

publication place, version number, publication year and page number. Such is for the first mention to the meant source, but if being iterated once more, the documentation should be only as; the title of the book and the page number.

6. Submitting all the attached sources for the marginal notes, in the case of having foreign sources, there should be a bibliography apart from the Arabic one, and such books and researches should be alphabetically ordered.
7. Printing all tables, pictures and portraits on attached Papers, and making an allusion to their sources at the bottom of the caption, in time there should be a reference to them in the context.
8. Attaching the curriculum vitae, if the researcher cooperates with the journal for the first time, so it is to manifest whether the actual research submitted to a conference or a symposium for publication or not. There should be an indication to the sponsor of the project, scientific or nonscientific, if any.
9. For the research should never have been published before,

Publication Conditions

Karbala Heritage Quarterly Journal receives all the original scientific researches under the provisos below:

1. Researches or studies to be published should strictly be according to the globally –agreed– on steps and standards.
2. Being printed on A4, delivering three copies and CD Having, approximately, 5000-10,000 words under Simplified Arabic or times new Roman font and being pagination.
3. Delivering the abstracts, Arabic or English, not exceeding a page, 350 words, with the research title.
4. The front page should have the title, the name of the researcher/researchers, occupation, address, telephone number and email, and taking cognizance of averting a mention of the researcher / researchers in the context.
5. Making an allusion to all sources in the endnotes, and taking cognizance of the common scientific procedures in documentation; the title of the book, editor, publisher,

In the Name of Allah
Most Gracious Most Merciful

But We wanted to be gracious to those abased in the land, and to make them leaders and inheritors

(Al-Qasas-5)

Al-Abbas Holy Shrine

Karbala heritage: Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage /

Al-Abbas Holy Shrine. - Karbala: secretary general for Al-Abbas Holy Shrine, 2015.

Volume: pictures; 24 cm

Quarterly - first number second year (2015-)

PRINT ISSN: 2312-54889

ONLINE ISSN: 2410-3292

ISO: 3297

Bibliography.

Text in Arabic; and summaries in English and Arabic

1.Karbla (Iraq) - History - periodicals 2.Husayn ibn Ali, - 680 - periodicals - 3.karabala (Iraq) - History - Wahhabi invasion - periodicals 4.Karbala (Iraq) - social aspect - periodicals.

A8 2015.V2 DS79.9.K37

Classification and Cataloging Unit of Al-Abbas Holy Shrine

Republic of Iraq Shiite Endowment

Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage

Issued by:
Al-Abbas Holy Shrine
Division Of Islamic And Human Knowledge Affairs
Karbala Heritage Center

Licensed by Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable For Seientific Promotion

Second Year, Second Volume, First Issue
March, 2015 A.D. Jumada Al-Ula, 1436 A.H.